كمال السيد

الإمام المهدي ع

نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل

الغدير
بيروت - لبنان

الإمام المهدي عج

نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل

الغدير للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان- بيروت - حارة حريك – بناية البنك اللبناني السويسري
ص.ب ٢٤/٥٠ – بيروت – لبنان
الرمز البريدي : ١٠١٧-٢٠١٠ برج البراجنة – بعبدا
هاتف ٠٣/٦٤٤٦٦٢ – ٠١/٥٥٨٢١٥
تلفاكس ٠١/٢٧٣٦٠٤

E-mail:
feqh@islamicfeqh.org
magazine@alminhaj.org
Web pag:
www.islamicfeqh.org
www.alminhaj.org

■ الحقوق جميعها محفوظة ■

لمركز الغدير للدراسات الإسلامية
و لا يحق لأي شخص ، أو مؤسسة ، أو جهة
إعادة طبع الكتاب او ترجمته إلا بترخيص من المركز.

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

الإمام المهدي عليه السلام

نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل

كمال السيد

الغدير
للطباعة والتوزيع

كلمة المركز

بين يديك ـ قارئي العزيز ـ كتاب الامام المهدي نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل وهو ـ كما بيدو من عنوانه ـ محاوله لدراسة موضوعة المهدي الموعود والاشارة الى موقعه على خريطة الوجود الانساني . . وقد سعى الكاتب خلال فصول الكتاب ، ونجح في ذلك الى لفت نظر القارىء إلى أهمية المصلح الموعود الذي تنتظره البشرية ، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً مرجعاً في ذلك جذور التفكير المهدوي الى عمق التاريخ البشري من خلال البشارات الأولى بظهور المصلح في الكتب السماوية السابقة حيث عقد الكاتب فصلاً كاملاً للحديث عن هذا الموضوع وتطرق بالتفصيل لما ورد في التوراة والانجيل من الاشارات والرموز المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام وظهور الامام المهدى . ويعتبر هذا التناول امتيازاً يسجل للكاتب إذ أبرز اهتماماً خاصاً بالنصوص العبرية التي اعتبرها تتحدث عن شخص الامام محمد بن الحسن العسكري بوصفه المهدي الموعود الذي سيظهر آخر الزمان وقرن بين العديد من هذه النصوص وما ورد من الاشارات في القرآن الكريم التي رأى فيها الكاتب أيضاً اشارة الى ظهور المهدي وقد اقتطع للتدليل على وجهة نظره نصوصاً كثيرة من الكتب السماوية السابقة بلغتها الاصلية مع ترجماتها العربية .

كما سلط الكاتب الضوء على الظروف السياسية والاجتماعية والعقائدية التي رافقت ولادة الامام المهدي في زمن الدولة العباسية وكذلك التطورات التي حصلت في الدولة الرومانية وعلاقاتها مع الدولة العباسية تلك الفترة وقد رمى الكاتب من خلال ذلك الى الربط بين الاوضاع المضطربة التي عاشتها الدولة العباسية بسبب النزاعات التي أثارها القادة الاتراك المتنفذون وبين الظروف الصعبة التي أحاطت بالولادة المباركة للامام المهدي (عج) واضطراره عليه السلام الى الاختفاء والغيبة عن الانظار . كما أنه قصد من الحديث عن الدولة الرومانية وما عاشته من الاحداث الداخلية ابان تلك الفترة

الى تقرير حقيقة تاريخية اشارت إليها الروايات والاخبار وهي ان السيدة نرجس والدة الامام المهدي كانت تنحدر في نسبها من الأسرة العمورية النبيلة الحاكمة في الدولة الرومانية انذاك . وقد وفق الكاتب الى حد بعيد في رسم صورة دقيقة وأمينة عن الظروف المحيطة بعصر الولادة والغيبة وما تخلل ذلك من ارهاصات وتداعيات جعلت من ولادة الامام الحجة وتسنمه قيادة الامة الروحية ومن ثم غيبته امراً طبيعياً محتماً لا يمكن تجنبه أو انكاره .

ولا يملك القارىء وهو يتابع أحداث التاريخ الاسلامي وتحليل المؤلف لوقائع هذا التاريخ ومفرداته إلاّ أن يبدي اعجابه البالغ بالاسلوب الادبي المتدفق والحس الانساني الرفيع الذي تنطق به عبارات الكتاب وكلماته ولا غرو فالكاتب روائي اسلامي معروف طالما رسم بريشته الصادقة احداث هذا التاريخ وصور بقلمه الامين سيرة شخصياتنا الاسلامية الرائدة وما جرىٰ عليها من الاحداث ونهضت به من الادوار . ويلاحظ أن المؤلف حاول طيلة فصول الكتاب مخاطبة الحس الوجداني والفني لدى القارىء لاستيعاب الحقيقة المهدوية ولم يقصر كتابه على المناقشات العقلية وحدها لتقرير هذه الحقيقة .

لقد مزج الكاتب بين المنهجين بنجاح يدعو للاعجاب في الفصل الاخير من الكتاب والمعنون بـ «عالم الغد» حيث عرض تحليله للظروف الاستثنائية التي تعيشها البشرية اليوم مشيراً الى الظلم الذي تمارسه القوىٰ المهيمنة على مقدرات الانسانية والدور القذر الذي تقوم به الصهيونية لتكريس السيادة اليهودية علىٰ العالم والتحكم بمصير الانسان في الأرض .

ليخلص بعد هذا كله الى النتيجة التي قصدها من بحوث الكتاب وهي انه لابد للعالم من مصلح يطفىء ظمأ البشرية المحرق للعدالة ويجسد كلمة الله سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾ .

البشارة

القرآن والكتب السماوية الأخرىٰ

يتضمن القرآن الكريم والروايات المعتبرة المتواترة والكتب السماوية بشكل عام بل وحتىٰ كتابات بعض من مدّعي النبوّات بشائر بمستقبل مشرق ينتظر البشرية .

فهناك في صميم البشائر يوم موعود تستحيل فيه الأرض الخراب الىٰ جنة وارفة الظلال يغمرها السلام .

وفي ذلك المنتظر تتطهر الأرض من الظلم والقهر والاضطهاد ، وتنعم الانسانية بالعدالة ، حيث يظهر انسان الهي يرفع راية الحق والعدالة وينشر الخير في ربوع العالم ، وهو لدىٰ طائفة كبرىٰ من العالم يتمثل في شخص الامام المهدي قائم آل محمد ونجل الامام الحسن العسكري عليه السلام .

ويتضمن القرآن اشارات الىٰ اليوم الموعود نشير الىٰ بعض الآيات :

ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾[1] .

وتتضمن هذه الآية الكريمة نقاطاً هامّة هي مسألة الاستخلاف وتحكيم الدين في الحياة وانتشار الطمأنينة والأمن والسلام .

وقد ورد في الأثر ان الامام علياً زين العابدين قرأ هذه الآية وقال : «هم والله

---

(١) النور: ٥٥.

شيعتنا أهل البيت ، يفعل الله ذلك بهم علىٰ يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ : لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1] .

ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾[2] وقد ورد في الأثر عن الامام علي عليه السلام أنه فسر هذه الآية بظهور المهدي عليه السلام وانتشار كلمة لا إله إلّا الله في ربوع العالم[3] كما فسرها الامام الباقر بذلك أيضاً[4] .

ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[5] .

يقول الامام علي عليه السلام في مناسبة وهو يشير الىٰ تنكّر الدنيا له وغدر الزمان : «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس علىٰ ولدها» ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ويقول ابن أبي الحديد في شرحه : «ان اصحابنا يقولون : انه وعد بإمام يملك الأرض ويستولى علىٰ الممالك» .

ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾[6] .

روي عن الامام الباقر في تفسير الآية قوله : «أن ذلك وعد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض»[7] .

---

(١) الطبرسي مجمع البيان: ١٥٢/٧.
(٢) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.
(٣) المهدي الثورة الكبرى: ١٢٤ ناصر مكارم الشيرازي.
(٤) علي الكوراني، عصر الظهور: ٣٥٧.
(٥) القصص: الآيتان ٥، ٦.
(٦) الأنبياء: ١٠٦.
(٧) تفسير البيان: ٢٥٢/٧.

علىٰ أن الآية الكريمة التي ذكرت آنفا وهي قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ تعدّ من أقوىٰ الاشارات لأن انتصار الاسلام على جميع الأديان لم يتحقق بشكل كامل منذ صدوع سيدنا محمد ﷺ بالرسالة وحتى يومنا هذا، ولذا فان امكانية تحقق هذا الوعد الالهي ستتم بظهور الامام المهدي وانتصار حركته العالمية.

عن الامام الكاظم عليه السلام قال: «يظهره علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم»[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام: «والله ما أنزل تأويلها بعد... حتىٰ يقوم القائم ان شاء الله، فإذا خرج القائم لم يبق مشرك إلّا كره خروجه، ولا يبقىٰ كافر إلّا قتل»[2].

وهناك مجموعة آيات أخرىٰ يشير المفسرون فيها الىٰ ظهور الامام المهدي في آخر الزمان وتشكيله الدولة العالمية كقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[3].

المهدي في بشارات العهدين:

«ستخرج من القدس بقية من جبل صهيون
غيرة رب الجنود ستصنع هذا»[4].

«ابتهجي كثيراً يابنت صهيون
هو ذا ملكها سيأتي اليك
عادل ومنصور»[5].

ونورد هنا مقطعاً هامّاً من كتاب أهل البيت في الكتاب المقدس وتحت عنوان

---

(١) تفسير البرهان: ٣٣٠/٤.
(٢) بحار الأنوار: ٦٠/٥١.
(٣) هود: ٨٦.
(٤) سفر اشعيا ٣٧: ٣٢ الأصل العبري العهد القديم ص٦١٢.
(٥) سفر زكريا ٩: ٩ الأصل العبري العهد القديم ص١٣٤.

أشعيا يبشر بالقائم :

א 2 וְנָחָה עָלָיו
וְהִ֣ יִהְיֶה רְחַ֤ חָכְמָה֙ וּבִינָ֔ה רֽוּחַ־עֵצָ֥ וּגְבוּרָ֖ה רֽוּחַ דָּעַ֥ת
וְרַאֲ֥ יְהוָֽה׃ וַהֲרִיחֵ֖ בְּיִרְאַ֣ת יְהוָ֑ וְלֹא־לְמַרְאֵ֥ עֵינָ֖ 3
יָכִ֔ין וְלֹא־לְמִשְׁמַ֥ אָזְנָ֖ יוֹכִֽיחַ׃ וְשָׁפַ֤ בְּצֶדֶק֙ דַּלִּ֔ים 4
וְהוֹכִ֥יחַ בְּמִישׁ֖וֹר לְעַנְוֵ־אָ֑רֶץ וְהִכָּ֤ה־אֶ֙רֶץ֙ בְּשֵׁ֣בֶט פִּ֔ו וּבְרֽוּחַ
שְׂפָתָ֖יו יָמִ֥ית רָשָֽׁע׃ וְהָיָ֥ צֶ֙דֶק֙ אֵז֣וֹר מָתְנָ֔יו וְהָאֱמוּנָ֖ אֵז֥וֹר ה
חֲלָצָֽיו׃ וְגָ֤ר וְאֵב֙ עִם־כֶּ֣בֶשׂ וְנָמֵ֔ר עִם־גְּדִ֖י יִרְבָּ֑ץ וְעֵגֶ֤ל 6
וְכְפִ֙יר֙ וּמְרִיא֣ יַחְדָּ֔ו וְנַ֥עַר קָטֹ֖ן נֹהֵ֥ בָּֽם׃ וּפָרָ֥ וְדֹ֖ תִּרְעֶ֑ינָה 7
תִּרְבַּ֥ יַלְדֵיהֶ֖ וְאַרְיֵ֥ כַּבָּקָ֖ יֹאכַ֥ תֶּֽבֶן׃ וְשִׁעַשְׁוָ֤ 8
עַל־חֻר־פָּתֶן֙ וְעַל֙ מְאוּרַ֣ צִפְעוֹנִ֔י גָּמ֥וּל יָדָ֖ הָדָֽה׃
לֹא־יָרֵ֥עוּ וְלֹא־יַשְׁחִ֖יתוּ בְּכָל־הַ֣ קָדְשִׁ֑ כִּֽי־מָלְאָ֤ הָאָ֙רֶץ֙ 9
דֵּעָ֣ אֶת־יְהוָ֔ כַּמַּ֖יִם לַיָּ֥ מְכַסִּֽים׃ וְהָיָ֣ בַּיּ֣וֹם הַה֔וּא י
שֹׁ֥רֶשׁ אֲשֶׁ֖ עֹמֵ֣ד לְנֵ֣ס עַמִּ֑ים אֵלָ֥יו גּוֹיִ֖ם יִדְרֹ֔שׁוּ וְהָיְתָ֥ה
מְנֻחָתֽוֹ׃ כָּבֽוֹד׃

٢ ـ ڤي ناحا علاف روح يهڤا

قي روح حُخما أو قينا

روح عيتسا قي گڤورا

رُوح دَعَت في يزأت يهقا

٣ ـ قي هَر يحو بيزأت يِهقا.

ڤي لا لمرئيه عيناف

قي لا لمشمع أو زناف يشفوط

٤ ـ قى هو خيّح بميشور لِعنقي آرتس.

قى هِكّا آرِتس بشيفط بيف

قى برّوح سافاتاف يا ميت راشاع.

٦ ـ قى گار زئيف عم كيقس

قى نامار عِم گدي يرباتس

ڤي عيگل في كفير قي مري ياحدو

ڤي نَعَر قِاطان نوهيك بام

٨ـقي شِغشَع يونيق عَل حرباتن

ڤي عَل مِئورَت تِسقعوني گامول يادوهادا

٩ـلو يار يعوا في لو يشحيتوا

بخُل هار قُذشي

كِي ما لأىٰ هآرتس

ديعا إت يِهڤا گميم لِيَم مِخِسَيم.

١٠ ـقي هايا بيوم هَهُو

يَسيّ أشير عوميد لنيس عميم

إيلاف گوييم يَدْرشوا

في هايتا مِنوحا توكا فود[1] .

وهذا النص الذي اخبر به «اشعيا النبي» يعني :

٢ـويحلُّ عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم

وروح المشورة والقوة، روح المعرفة

ومخافة الرب.

٣ـولذته في مخافة الربّ، ولا يقضي بحسب مرأى

عينيه، ولا بحسب مسمع أذنيه

٤ـويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض

ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت

المنافق بنفخة شفتيه.

٦ـويسكن الذئب والخروف، ويربض النمر مع الجدي

---

(١) سفر أشعيا ١١: ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، الأصل العبري، العهد القديم، ص٦٢٥.

والعجل والشبل معا، وصبي صغير يسوقها.

٨ ـ ويلعب الرضيع علىٰ سَرَب الصلّ

ويمد الفطيم يده علىٰ جُحز الأفعوان.

٩ ـ لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسيّ.

لأن الأرض تمتلىء من معرفة الربّ

كما تغطيّ المياه البحر.

وأما في الفقرة (١٠) فقد جاءت الاشارة الىٰ الامام بأحد القابه وهو «القائم» :

١٠ ـ وفي ذلك اليوم سيرفع «القائم» رايةً للشعوب

والأمم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجدا.

وتجدر الإشارة في هذه الفقرة الىٰ أمرين :

الأول : إن لفظة «يسّسي» في الفقرة (١٠) من النص العبري .

تعني : سيرفع ، وقد جاءت بصيغة الاستقبال لدخول حرف (الياء) عليها[١] ، والماضي منه (ناسا) بمعنىٰ : (رفع)[٢] ، ومترجم (العهد القديم) في النسخة العربية[٣] لم يترجم لفظة (يسّي) العبرية والتي تعني : (سيرفع) ، بل أبقاها بدون ترجمة الىٰ العربية محاولة منه لبس المعنىٰ وإثارة الغموض حول مفهوم «القائم» عليه السلام .

وأما الأمر الثاني : أنّ لفظة «عوميد» جاءت (كأسم فاعل)[٤] .

وتعني : (القائم) (عاقد) و(هِعْميد) بمعنىٰ (قام وأقام)[٥] .

لذا فإن هٰذه «البشارة» تنطبق علىٰ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمد عليهم السلام لانه لم يكن في

---

(١) د. زين العابدين محمود، قواعد اللغة العبرية، ص٩٨.

(٢) د. ربحي كمال، المعجم الحديث، عبري ـ عربي، ص٣١٥.

(٣) سفر أشعيا ١١: ١٠، ص١٠٠٥.

(٤) د. زين العابدين محمود، قواعد اللغة العبرية، ص٣٨.

(٥) المعجم الحديث، ص٣٤٩.

«بني اسرائيل» ولا في ولد اسماعيل عليه السلام رؤساء بهذا العدد، وان البركة والخير الكثير لا يناسب إلّا الشجرة المحمدية المباركة، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير وكثرة النسل من الصديقة الطاهرة (فاطمة الزهراء) سلام الله عليها[1].

الامام المهدي عليه السلام والنداء السماوي:

يمكن أن نلحظ من خلال بشارة «يوحنا» الاشارة الىٰ الامام المهدي عليه السلام حيث جاء في «سفر يوحنا»[2].

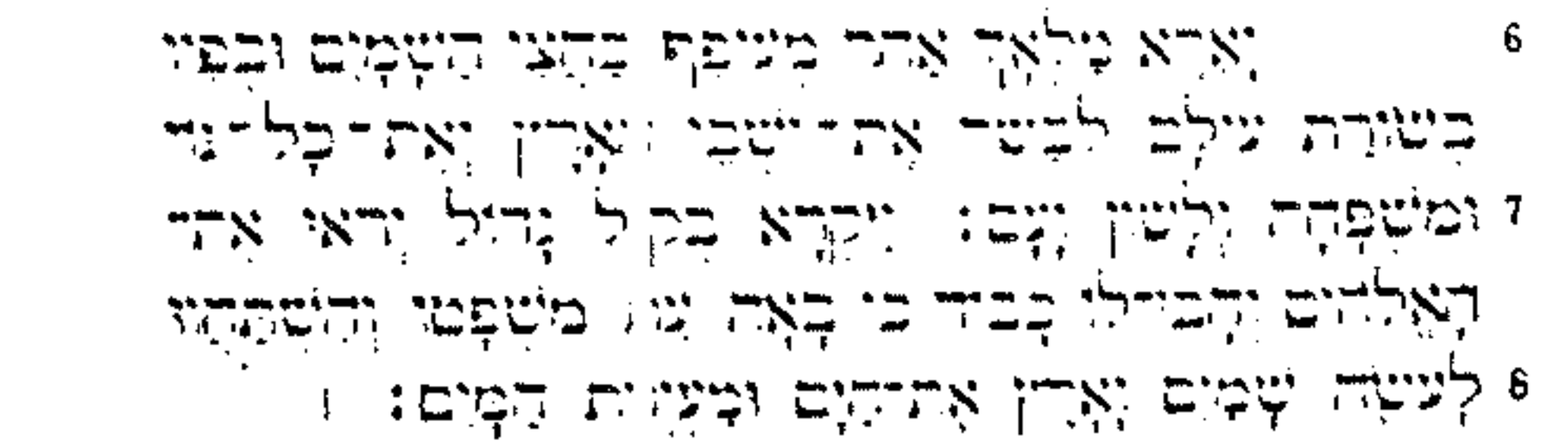
6 וְאֶרְאֶה מַלְאָךְ אַחֵר מְעוֹפֵף בַּחֲצִי הַשָּׁמַיִם וְלוֹ
בְּשׂוֹרַת עוֹלָם לְבַשֵּׂר אֶת־יֹשְׁבֵי הָאָרֶץ אֶת־כָּל־גּוֹי
7 וּמִשְׁפָּחָה וְלָשׁוֹן וָעָם: וַיֹּאמֶר בְּקוֹל גָּדוֹל יְרֵאוּ אֶת־
הָאֱלֹהִים וְהַבִּילוּ כָבוֹד כִּי בָאָה שְׁעַת מִשְׁפָּטוֹ וְהִשְׁתַּחֲווּ
6 לְעֹשֵׂה שָׁמַיִם וָאָרֶץ אֶת־הַיָּם וּמְעָיְנוֹת הַמָּיִם:

قا إيريه مَلآخ

معوفيف بحتسي هشاميم

أو بفيف بسورَت عولام

لِبَسير إت يوشقيه هآرتس

ڤي لا شون ڤاعم

---

(١) العلامة المحقق السيد عبدالله شبر، تفسير القرآن الكريم، ص٥٦٧.

(٢) «سفر يوحنا» ١٤: ٦ ـ ٧، الاصل العبري، ص٤٧٤.

فيقرا بقول گدول:

يزؤا إت ها إيلوهيم

قا هابوالوكابود

كي باءى عيت مشفاطو

ڤي هشتحفوا الاعوسيه شامايم

قا آرتس إت هيّام أوقعينوت همايم

ويعني هذا النص :

ثم رأيت مَلاكا طائرا في وسط السماء.

معه بشارة أبدية ليبشّر الساكنين علىٰ الأرض

وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب

منادياً بصوتٍ عظيم: خافوا الله وأعطوه مجداً

لأنه قد جاءت ساعة حكمه

واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه

نجد في هٰذا النص الذي أخبر عنه «يوحنا» إشارة الىٰ (الصيحة الحق) ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ . يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾[1] .

فالقائم عليه السلام ينادى باسمه واسم أبيه حسب ما جاء في أية (٤١) وما جاء في آية (٤٢) (الصيحة بالحق) هي صيحة القائم من السماء وذلك يوم الخروج[2] ، ونلاحظ بعد تحليل (النص العبري) من الناحية اللغويّة أنّ المنادي الذي ينادي في السماء حيث عُبِّر عنه (بالملاك الطائر) يحمل بشارة أبدية للعالم : (بسوْرَت عْولام) ، ولفظه

---

(١) سورة ق: ٤١، ٤٢.

(٢) تفسير القمي، ص٣٤٤، ج٢.

(بسورت) اسم مضافة الىٰ (عولام) : أي العالم وهي مشتقة من الفعل (بِسيَر) : أي : (بَشَر ، نبّأ)[1].

وهٰذه البشارة الأبدية لجميع سكان الارض : (يوشقيه هارتس) ولفظة يوشقيه : سكـــان مشـــتقه مـــن الفـــعل (يـــاشف) : (سكـــن وأقـــام) وأمـــا (هآرتس) فـــتعني : (الأرض)[2]. ثمَّ هناك تفصيل آخر بأن هٰذه «البشارة الأبدية» حسب النص العبري تشمل : (كل گوي) : كل أمة ، و (كل مشبحا) : كل قبيلة ، و (كل لاشون) : كل لغة ، و(كل عام) : كل شعب[3].

ثمّ نجد تأكيداً علىٰ مسألة مهمة أخرىٰ وهي الإخبار بقرب ساعة حكم الرب . بواسطة دولة الامام (عج) : (بـــاءىٰ عـــيت مشـــفاطو) أي : (قَـــرُب وقت حـــكمه) ، (فباءىٰ) مشتقة من الفعل (با) أي : (قَرُب ، جاء) ، وعيت : تعني : (وقت ، مدة) وأمّا (مشفاطو) فجاء هنا كاسم بمعنىٰ (حكم ، قضاء) والفـعل مـنه (شـافَطْ) : (حَكـمَ ، قضىٰ)[4]]. [5]

وهناك اشارة لها مغزاها في هذا الموضوع وهي ما وعد الله سبحانه ابـراهـيم الخليل :

[واما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها أنذاك اباركه وأنمّيه واكثره جداً جـداً ويلد اثني عشر رئيساً واجعله أمّةَ عظيمة][6].

يقول الاستاذ عودة مهاوش في شرح هذا النصوص ونصوص أخرى :

---

(١) المعجم الحديث، ص٧٨.

(٢) المعجم الحديث، ص٢٠٨، ٥٩.

(٣) المعجم الحديث، ص٨٤، ٢٨٨، ٢٤٠، ٣٤٩.

(٤) المعجم الحديث، ص٦٢، ص٣٦١، ٢٨٩، ص٤٨٩.

(٥) أحمد الواسطي أهل البيت في الكتاب المقدس: ١٢٤.

(٦) سفر التكوين ١٧: ٢٠.

أضف إلىٰ ذلك أن مراجعة بسيطة للنصوص السابقة تُظهر أن الله تعالى لم يعد ابراهيمعليه السلام بأن يجعل العهد مع إسحاق ، بل أن صيغة العبارات التوراتية تظهر أن ذلك لم يكن وعداً بل قضاءاً نافذاً علىٰ عكس ما ورد حول اسماعيلعليه السلام حين وعد الله تعالى أن يجعل ذريته عظيمة ويجعل منه اثني عشر رئيسا .

ما معنى «اثني عشر رئيساً»؟

لقد أوضحنا فيما سبق أنّ النبيّ المعزّي الذي وعد به الانبياء هو اسماعيليّ وهو محمّدصلى الله عليه وسلم وبيّنا أيضاً أن الله تعالى سيبارك أمم الأرض بذرية ابراهيمعليه السلام من خلال ابنه اسماعيلعليه السلام .

والملاحظ من النصّ الذي اوردنا حسب «أعمال الرسل» ان ثمة صلة موجودة بين الاثني عشر رئيسا وذاك النبي المبشر به ، فاننا نجد أن صاحب السفر يذكر أوّلاً أن جميع الأنبياء بشّروا به ، ثم انه يربط بين أيام ذاك الرسول ، وبين الايفاء بعهد الله لابراهيم بمباركة جميع عشائر الأرض بنسله .

وبما أنّ النبي المعزي إسماعيلي ، وبما أن عهد الله لابراهيم كان هو أن يبارك جميع عشائر الأرض بنسل ابنه اسماعيل بتكثيره جداً ويجعل ١٢ رئيساً من ذريّته ، ولأن الايفاء بعهده تعالى لابراهيم يبدأ في أيّام ذاك النبي الاسماعيلي المعزي ، لذلك فالاثنا عشر رئيسا لابد وان يكون زمان مجيئهم بعد مجيء ذاك النبي المعزي .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أُخرى فاننا نجد أن المسيحعليه السلام قد وعد الحواريين أصحابه بانه سيدعو الله تعالى ليرسل لهم المعزّي ليبقى معهم إلى الأبد .

(يوحنا ١٤ : ١٦) .

فالأبدية هذه لابّد لها من أن تتبلور في وجهين :

أولاً: بخلود رسالته، ودعوته، ثانياً بخلود ذريّة النبي المعزي، فنحن نجد أن اليهود يعتبرون خلودهم وبقاءهم الأبدّي من خلال وجود أولادهم وذرياتهم من بعدهم.

فالبقاء الأبديّ هنا لابدّ وأن يكون له نفس المعنى الذي تبنّاه الكتاب المقدّس في أغلب أسفاره، وعلى هذا فبقاء هذا النبي المعزي بين بني البشر إلىٰ الأبد يكون لا محالة من خلال بقاء نسله وذريته.

وبما أن عهد الله تعالى لابراهيم عليه السلام كان بأن يلد ابنه اسماعيل اثني عشر رئيسا بعد مجيء النبي المعزي ـ كما أوضحنا ـ فان هؤلاء الرؤساء في أزمنة تمتد من بعد مجيء ذاك النبي إلى يوم القيامة حتى يصدّق الانجيل بقوله: انه سيبقى معهم (أي المعزي) إلىٰ الأبد. وعند التفحص والتطبيق نجد أن المقصود من هؤلاء الرؤساء الاثني عشر هم الأئمة الاطهار من آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا يكون قد تبيّن لك عزيزي القارىء أن التوراة والانجيل قد بشرا ـ بدون شك ـ بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبقيام اثني عشر رئيسا، وإماما من بعده من آله وذريّته، يباركون جميع عشائر الارض لما يجلبونه عليهم من هداية وقيادة إلىٰ طريق الرحمن جل ذكره[1].

ونختتم هذا الفصل بما أورده الاستاذ سعيد أيوب في دراسته القيمة عن المسيح الدجال: إن المعسكر الذي سيواجه المسيح الدجّال وأتباعه ورجال الكنيسة المرتدة هو الإسلام وإن القائد الذي سيكون على رأس هذا العسكر هو: [المهدي المنتظر][2].

---

(١) عودة مهاوش ـ الكتاب المقدس تحت المجهر: ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) قال الشوكاني في التوضيح: إن الأحاديث الواردة في المهدي متواترة. وقال الكتاني في النظم المتناثر: والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي متواترة. وقال الشافعي كما في النظم المتناثر أيضاً: تواترت الأخبار أن المهدي من هذه الامة وأن عيسى يصلي خلفه وجمع ≺

يقول النبيﷺ : [المهدي يواطىء اسمه اسمي . . .][1] .

فهل يـقابل هـذا الإسم في الإنجـيل المـتداول مـعالم له ؟ لقـد جـاء في سـفر الرؤيـا أن القـائد الذي سـيخوض مـعارك آخـر الزمـان اسمـه : [. . . الأمـين الصادق . . .][2] ! ! ! ؟[3]

وجاء في مصادر الإسلام أن منهج المهدي :

[. . . يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً . . .][4] .

---

* السيوطي أحاديث المهدي في الحاوي للفتاوي وقال: هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والأخبار الواردة في المهدي. وقال ابن القيم: المهدي رجل من أهل بيت النبي من أولاد الحسن يخرج آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً. فهذه أقوال بعض أئمة الإسلام في مجئ المهدي آخر الزمان (النظم المتناثر ص٦٤، ٢٨٢) (المناهل لابن القيم ص٢٣). ولقد نصت الأحاديث على أن اسم المهدي يوافق اسم النبيﷺ. وهذه الأحاديث رواها أحمد (الفتح الرباني ٢٤/٤٩) وقال عن عبدالله بن مسعود: إن النبيﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي» وفي رواية بلفظ آخر «لاتنقضي الأيام ولايذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطىء اسمي» وروى أبو داود عن عبدالله عن النبيﷺ «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم» قال راويه في حديث «يطول الله ذلك اليوم» ثم اتفقوا «حتى يبعث فيه رجلاً مني» أو «من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي زاد في حديث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا» (أبو داود ٤/١٠٧). وروى الترمذي عن عبدالله قال: قال رسول اللهﷺ «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي» وقال: حديث حسن صحيح. الجامع ٤/٥٠٥.

(١) رواه ابن عساكر وآخرون (كنز ١٤/٢٦٨).

(٢) قال ابن القيم عن أسماء النبيﷺ: «.. وأما إن جعل من كل وصف من أوصافه اسم. تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق والمصدوق، والرؤوف الرحيم، والأمين والصادق إلى أمثال ذلك (زاد المعاد ١/٨٨) والأمين الصادق هي تلخيص موجز لسيرة النبيﷺ فهو الأمين قبل البعثة والصادق بعد البعثة، فهو لا ينطق عن الهوى، واجتاز الحياة بالأمانة والصدق وهاتان الصفتان استخدمهما برونوفسكي وهيلر عند الإشارة الأولى إلى النبيﷺ في كتابه «ارتقاء الإنسان» والثاني في كتابه «مجمل تاريخ العالم».

(٣) سفر الرؤيا ١٩/١١، كتاب الحياة ط٨٢.

(٤) أبو داود وآخرون أشرنا إليه عند الحديث عن المهدي.

ويقابل هذه الصفات في سفر الرؤيا أنه هو :

[... الذي يقضي ويحارب بالعدل ...][1] .

وجاء في مصادر الإسلام عن نسل المهدي :

[... المهدي من عترتي . من ولد فاطمة ...][2] .

ويقابل هذه الصفات في سفر الرؤيا :

[امرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً ... ولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد ...][3] .

قالوا في التفسير : [إنها امرأة فاضلة .. وقور ... ويأتي النسل من هذه المرأة ! !][4]] .

وإن نسل هذه المرأة سيواجه المخاطر ، والتنين سيقاتل باقي نسلها الذين يعملون بوصايا الله[5] والإكليل الذي على رأس المرأة إشارة للقيادة ، والاثني عشر كوكباً ، هم أسماء الرسل[6] .

قلت : إذا كان المهدي من ولد فاطمة ، والمهدي هو آخر القادة ، فمن الطبيعي أن يكون جميع أخوته هم المذكورين عند أهل الكتاب[7] ، أي أصحاب الشجرة

---

(١) سفر الرؤيا ١٢/١٩ كتاب الحياة ط. ٨٢.

(٢) أبو داود (٤/١١٧) ابن ماجه (١٢٦٨/٢) الحاكم (٥٥٧/٤).

(٣) سفر الرؤيا ١/١٢، ٥ الكتاب المقدس ط٨٣.

(٤) يوم الدين / ستيفنسن ص٨٧، ١٠٩، تفسير الرؤيا / حنا ص٢٧٢، جين داكسون. مجلة آخر ساعة العدد الصادر في ١٩٨٤/٩/٢٦.

(٥) الرؤيا: ١٢/١٦.

(٦) كشف المستقبل / هملتون ص٣٤، ٥١ ط دار النفير بيروت.

(٧) الأحاديث الواردة في أولاد فاطمة لا حصر لها ومنها «أن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا» رواه البخاري والترمذي (التاج الجامع للأصول ١/٣٥٦) «إن النبي أبصر حسناً وحسيناً قال اللهم إني أحبهما فأحبهما» رواه الترمذي (التاج ٣/٣٥٨) والجدير بالذكر أن أولاد الحسن والحسين اشتغلوا بالعلم في عصر الفتن وكانوا شجعانا عند البأس.

الواحدة ، التي خرجت من المرأة المتسربلة بالشمس والقمر . فإذا كانت بعض التفاسير قد أشارت إلىٰ الشمس بأنها تمثل والد المرأة وهذا الوالد كالشمس لأنه يملأ الأرض نوراً ، فيكفي أن نقول إن والد المرأة هو محمدﷺ . وإذا كانوا قد قالوا إن القمر يرمز إلى زوجها لأنه يضيء الليل فيكفي أن نقول إن زوجها هو علي بن أبي طالب . ولقد كان بحق قمراً ينير في ليل فتنة هي في الحقيقة أحزنتنا كثيراً . وهذه الفتن أدت إلى اضطهاد نسل المرأة وبنظرة واحدة لعلماء أهل الكتاب في كتاب «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني ، ستجعلهم يعلمون أن نبوءة سفر الرؤيا التي قالت بأن هذا النسل سيضطهد صحيحة ![1] .

---

(١) سعيد أيوب ـ عقيدة المسيح الدجال: ٩٨ ـ ١٠١.

الميلاد

ولادة الإمام المهدي وظروف الغيبة الصغرىٰ

المشكلة التاريخية:

تبرز المشكلة التاريخية في دراسة كثير من الأفكار والتيارات التي كان لها دور في الحضارة الاسلامية واسهاماً في بنائها، غير أن مشكلات التاريخ تكاد تكون معضلات فيما يخص دراسة ولادة الامام المهدي التي تؤكدها بعض المدونات التاريخية المحدودة في مقابل صمت للمدوّنات الكبرىٰ في تاريخ الاسلام.

وهذه المسألة تعود الىٰ طبيعة الدور الذي اضطلع به ائمة أهل البيت وموقف الحكومات المتعاقبة ازاءهم.

وليس هناك من جدل حول أهمية كونهم أئمة وأن طرحهم أنفسهم بهذا العنوان جعلهم يمثلون خط المقاومة المستمرة للخلفاء الذين تسنموا مناصبهم واعتبارهم خلفاء للرسولﷺ وفي هذا تكمن حالة من التهديد الدائم والمستمر فإذا اضفنا الىٰ ذلك أن اضطلاع الأئمة وباساليب مختلفة ومستويات متعددة بمهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد جعلهم في حال لا يحسدون عليها من الحصار والتضييق والاعتقال في بعض الأحيان.

ولأن رسالة الأئمةعليهم السلام كانت هي قيادة عملية التغيير الحقيقية وهي تغيير الذات والاعماق ايماناً منهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فقد دفعهم ذلك الىٰ الاهتمام بمنطقة التغيير الحقيقية، وهي صياغة الاعماق ولذا نجدهمعليهم السلام لا ينفعلون بما يطفو علىٰ سطح الحياة من زبد الحوادث وكان همهم الدائم الاعماق

الهادئة في بحر الحياة ، أما سطح البحر الذي يزخر بالامواج المتلاطمة ، فقد كان يحرّك السياسيين وذوي الطموح من الذين ينفعلون بوقائع الأحداث غافلين عن الحقائق الكامنة في الاعماق .

فيما الأئمة ينظرون الىٰ المديات البعيدة في نظرة شمولية لحركة التاريخ والتجربة الانسانية ، انهم يمثلون مركز الاعصار الذي ينعم بالسكينة مع ان موقعه في القلب .

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام منذ تسنم المأمون الخلافة بعد حرب أهلية مدمّرة ، فقد عمد الىٰ خطوة مثيرة اكتسبت ظاهرياً مشروع المصالحة بين البيتين العباسي والعلوي ، لكنها انطوت علىٰ فكرة احتواء الأئمة من خلال سياسة التقريب الىٰ البلاط والتي تنطوي على عملية اقصائية عن قواعدهم الشعبية من الامّة .

بل أن هذه السياسة تدخل مرحلة جديدة وحساسة بعد صعود الطاغية العباسي «أبي جعفر المتوكل» وخطوته في استدعاء الامام الهادي جدّ الامام المهدي الىٰ سامراء والتي لم تكن مدينة كبغداد وانما كانت ثكنة عسكرية كبرىٰ بناها المعتصم لاسكان فرقه العسكرية وقوّاته حيث يشكل العنصر التركي المستقدم عمادها الكبير .

كما أن اهتمام المؤرخين وفي طليعتهم الطبري كان محصوراً بالوقائع التسجيلية وتاريخ الخلفاء مما جعلهم لا يلتفتون الىٰ غيرهم فالوقائع تعد ثروة التأريخ الوحيدة .

وما عقد المشكلة ان الشيعة بشكل عام لم يكونوا ميالين الىٰ تدوين تاريخ الأئمة بسبب حساسية الوضع وكونهم جميعاً في قائمة المعارضين .

في صميم البحث

ان من شروط دراسة مثل هذا الموضوع الذي ينطوي علىٰ أبعاد متعددة تتصل بالتاريخ والحاضر والمستقبل أن يأخذ الباحث بنظر الاعتبار ثلاث نقاط تنسجم مع منطق الانصاف وبدونها سيكون الباحث تعسفياً في منهجه :

الأولىٰ : بحث الموضوع في ظروفه التاريخية والجغرافية والظروف الأخرىٰ .

الثانية : المسلسل الطويل والمتناسق في البشارة .

الثالثة : حساسية الاسم ومسألة الغيبة .

وفيما يخص النقطة الأولىٰ يستلزم بحث ودراسة الحقبة السامرائية والظروف التي أدت الىٰ تأسيس مدينة سامراء ومسار الاحداث فيها أي دراسة تستوعب حوالي نصف قرن من الزمن من سنة ٢٢٠هـ الىٰ سنة ٢٧٥هـ.

اما النقطة الثانية فاننا سنجد بشارة واضحة بظهور الامام المهدي تنتقل منذ عهد الرسالة عن النبي ﷺ وفي اطار متوحد يشير ويؤكد هويته :

من ولد فاطمة

التاسع من ولد الحسين

الامام الثاني عشر

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر حول الاثني عشرية في أحاديث النبي ﷺ :

ونصل الآن إلى السؤال الرابع وهو يقول : هَبْ أنّ فرضية القائد المنتظر ممكنة بكلّ ما تستبطنه من عمر طويل ، وإمامة مبكرة ، وغيبة صامتة ، فإنّ الإمكان لا يكفي للاقتناع بوجوده فعلاً .

فكيف نؤمن فعلاً بوجود المهدي ؟ وهل تكفي بضع روايات تُنقل في بطون الكتب عن الرسول الأعظم ﷺ للاقتناع الكامل بالإمام الثاني عشر على الرغم مما في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف ؟ بل كيف يمكن أن نثبت أنّ للمهدي وجوداً تاريخياً حقّاً وليس مجرد افتراض توفرت ظروف نفسية لتثبيته في نفوس عدد كبير من الناس ؟

والجواب : إنّ فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً ، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً ،

وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك . وقد أُحصي أربعمائة حديث عن النبيﷺ من طرق إخواننا أهل السُنّة[1]، كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسُنّة فكان أكثر من ستة آلاف رواية[2]، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة .

وأما تجسيد هذه الفكرة في الإمام الثاني عشر عليه الصلاة والسلام فهذا ما توجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به .

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين :

أحدهما إسلامي .

والآخر علمي .

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر .

وبالدليل العلمي نبرهن على أنّ المهدي ليس مجرد أُسطورة وافتراض ، بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية .

أما الدليل الإسلامي :

فيتمثل في مئات الروايات الواردة عن رسول اللهﷺ والأئمة من أهل البيتعليهم السلام والتي تدلُّ على تعيين المهدي وكونه من أهل البيت . .

ومن ولد فاطمة . .

ومن ذرية الحسين . .

وأنه التاسع من ولد الحسين . .

وأنّ الخلفاء اثنا عشر . فإنّ هذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من

---

(١) يلاحظ كتاب (المهدي) للسيد «العم» الصدر قدس الله روحه الزكية. (الشهيد الصدر).

(٢) يلاحظ كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر للشيخ لطف الله الصافي. (الشهيد الصدر).

الكثرة والانتشار على الرغم من تحفّظ الأئمةعليهم السلام واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام، وقايةً للخلف الصالح من الاغتيال أو الإجهاز السريع على حياته. وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك إضافة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها، فالحديث النبوي الشريف عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده وأنهم اثنا عشر إماماً أو خليفةً أو أميراً ـ على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ـ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسُنّة بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين، ويلاحظ هنا أنّ البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري، وفي ذلك مغزىً كبير؛ لأنه يبرهن على أنّ هذا الحديث قد سُجّل عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له؛ لأنّ الأحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبيصلى الله عليه وآله وسلم وهي انعكاسات أوتبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذى تشكل انعكاساً له، فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على أنّ الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، وضُبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أنّ هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى، فقال: «إنّ الخلفاء بعدي اثنا عشر».

وجاء الواقع الإمامي الاثني عشري ابتداءً من الإمام عليٍّ وانتهاءً بالمهدي؛ ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف[1].

---

(١) بحث حول المهدي / ١٠٣ ـ ١٠٧.

وأقل عمر لمسلسل البشارة يمكن أن يكون في حدود قرنين ونصف، واستعراض نصوص البشارة يؤكد توحدها في هوية واحدة.

فيما نجد في النقطة الثالثة ارثاً ثقيلاً يضع اسم الامام المهدي ضمن الممنوعات المؤكدة والمحرّمات الأكيدة فيما يخص التصريح باسمه «لأنهم لو وقفوا علىٰ الاسم اذاعوه» فمعلومات مثل الاسم والعنوان تعدّ أمانة كبرىٰ في عنق المؤمن هي المحك الحقيقي لايمانه وصدقه.

وهذه النقاط الثلاث هي التي ستنقل البحث من أجواء المختبر حيث درجة الحرارة الثابتة والسكون فلا رياح ولا مطر ولا صواعق وكل شيء هادىء تماماً كالاجواء في سطح القمر!! إنّ أية محاولة لتقييم ومحاكمة موضوع بالغ الحساسية كهذا الموضوع وبأدوات وظروف مختبرية تعد ذروة في التعسّف والظلم.

ذلك أن محاكمة موضوع بهذه الطريقة السطحية وبأدوات تشكيكية قاصرة هو مصادره لتاريخ طويل ومرير مليء بالعذابات والدموع زاخر بالطموحات والآمال بغد أفضل كما انها طعنة نجلاء في قلوب الذين ينتظرون ذلك الأمل، مع التأكيد على ان الأنتظار السلبي لا يشكل إلّا مقطعاً عابراً ومحدوداً في طريق مليء بشموع الكفاح والجهاد الذي يستمد زيته من شجرة الأمل[1].

---

(١) يمكن أن نؤشر هنا ثلاثة ملاحم حركية في طليعتها ثورة الامام الخميني ونهضته، وخطوة الشهيد محمد باقر الصدر وحركة الشهيد محمد صادق الصدر.

ولا ينكر أحد عقيدة الامام الخميني في المهدي عليه السلام وقد ساد شعار ثوري وما يزال حول ادامة الثورة حتى ظهور الامام الغائب عليه السلام.

وللشهيد الصدر بحث هام ورائد في مسألة المهدي «بحث حول المهدي» كما أن للشهيد صادق الصدر موسوعة كبرى حول الامام المهدي. تشتمل علىٰ بحوث تاريخية هامّة، فالايمان بالامام المهدي ليس اسطورة تبعث علىٰ الخدر بل انه الزيت الذي يمدّ القلوب بالثورة والأمل والدفء.

قدر من التفصيل

سامراء ظروف التأسيس والنسيج العام:

تكاد المصادر التاريخية تجمع علىٰ أن تاريخ بناء سامراء يعود الىٰ سنة ٢٢٠هـ وهي فكرة افرزتها هواجس سياسية دفعت بالمعتصم الىٰ انتخاب هذا المكان علىٰ ضفاف دجلة شمالي بغداد وعلىٰ مسافة ٦٠ ميلاً عربياً عنها[١].

وبالرغم من أن الموضوع سوف يدفعنا الىٰ بحث شخصية المعتصم الذي يعد نهاية لعصر وبداية لعصر ثان في الخلافة العباسية، لكننا سوف نكتفي بمعلومات سريعة قد تفسر وتوضح قرارات وسياسات ومواقف في مسار الحكم العباسي واتجاهاته السياسية والادارية.

فالمعتصم هو أبو اسحاق محمد بن الرشيد وأخو المأمون. أمه تركية تدعىٰ «ماردة» ولعل الوراثة قد لعبت دوراً كبيراً في تكوين شخصيته فقد عزف منذ طفولته عن الدراسة واتجه الىٰ فنون الفروسية والحرب جعلته أقرب في الشبه لسكان الصحارىٰ القاسية في بردها وجفافها.

كما أن اعتبار أخواله من الاتراك قد أثر في اختيار عنصر جديد يعتمد عليه في ادارة دولته الكبيرة، خاصة في ظل استمرار التحديات التي ورثها مع مملكته، فثورة بابك الخرّمي ما تزال تقلق أمن الدولة اضافة الىٰ الوضع المتوتر علىٰ امتداد الحدود مع دولة الروم واستمرار الاشتباكات المحدودة، وأحيانا الغارات الوحشية التي يشنها

---

(١) اختلف الباحثون في تعليل البواعث التي دفعت بالمعتصم الىٰ تأسيس مدينة سامراء، فقد رأىٰ فريق ان السبب يعود الىٰ الاتراك الذين كانوا يؤذون الناس فخلق وجودهم في بغداد مشكلات كثيرة (كتاب البلدان لليعقوبي / ٢٣).
فيما يرىٰ فريق آخر ان وراء ذلك اسباباً عديدة منها سياسته العنصرية الخاطئة في اعتماد العنصر التركي دون العرب ودعمه المعتزلة واضطهاد خصومهم والمصاعب التي واجهته في فتنة الهنود الذين عرفوا في التاريخ بالزط وموقفه المعادي للعلويين. تاريخ الاسلام السياسي د. حسن ابراهيم ط القاهرة ص٧١.

الروم كلما سنحت فرصة .

وسنرىٰ وفي غضون فترة قياسية ظهور عناصر جديدة غير عربية ولا فارسية عناصر تنتمي الىٰ سكان مناطق وأقاليم قاسية في مناخها وظروفها ، فضلها المعتصم لاسباب كثيرة في مطلعها بعدها عن الترف والمدنية التي تسلب المرء في رأيه امتيازات المحارب الشجاع ، اضافة الىٰ جهلها بالاسلام فهي مهيأة الىٰ أن تكون قوّات مرتزقة لا تعرف غير الطاعة وتنفيذ الأوامر وحراسة الحكم العباسي .

سوف نرىٰ ظهور «المغاربة»[1] الذين سيؤلفون قوّات الحرس الخاص و «الفراغنة» لمهمات أمنية أخرىٰ اضافة الىٰ الجيش الجرّار المؤلف من ٢٥٠/٠٠٠ جندي تركي . وقد سنّت قوانين تحظر علىٰ الجنود الاتراك التزوج من غير التركيات ومنعت أيضاً الطلاق . وقد شهدت بغداد تدفق آلاف الفتيات التركيات الىٰ أسواق الرقيق .

ومن هنا انبعثت هواجس المعتصم في الحفاظ علىٰ هذه العناصر التي عوّل عليها في حكمه فجاءت فكرة تأسيس عاصمة بعيدة عن بغداد مصدر الترف والقلق السياسي والامني .

فمدينة سامراء في الأصل ثكنة عسكرية كبرىٰ تم بنائها باسلوب الأوامر العسكرية .

ولذا فان اسم سامراء الذي شاع منذ البداية هو «العسكر» والذي اضحىٰ لقباً للامامين علي ونجله الحسن فالعسكر ليس محلّة في سامراء نسب اليها الامامان انما هو اسم المدينة ، فالنسيج العام الذي طبعها هو نسيج العسكر ، يكفي أن نتصوّر وجود أكثر من ٢٥٠/٠٠٠ جندي ووجود اكثر من ١٦٠/٠٠٠ حصان في اسطبلات كبيرة لنتصور طابعها العام .

---

(١) كان استقدامهم في البداية للعمل في بناء «سامراء».

وبالرغم من تدفق آلاف العمال وظهور الأسواق واسكان الجـنود الاتـراك في أحياء سكنية خاصّة مع أسرهم وعوائلهم ألاّ أن كل ذلك لم يغير من صورة سامراء العسكرية فظل اسم «العسكر» متداولاً الىٰ جانب الاسم الرسمي «سر من رأى» .

وعلىٰ مدىٰ شهور كانت همّىٰ البناء مستعرة فقد وزع المعتصم مسؤوليات التنفيذ علىٰ أركان دولته ، إذ اسند تنفيذ الجوسق الخاقاني قصر الخليفة العام الىٰ «أبو الفتح خاقان» .

كما اسند تنفيذ بناء القصر «العمري» الىٰ عمر بن فرج ، والىٰ «ابن الوزير» بناء «القصر الوزيري» ، كما وزع المعتصم أسناد الأراضي الشمالية علىٰ القادة الاتراك لبناء أحياء مستقلة تمنعهم من الاختلاط ببقية الاجناس الأخرىٰ ، وكان اهتمامه بالعنصر التركي واضحاً في سياسته فالاتراك في تلك الفترة لا يعرفون سوىٰ السيوف والخيول ولا يتحدثون إلّا عن القلاع والحروب ..

وظهرت شخصيات تركية في المؤسسة العسكرية كانت تمارس وظائف خدمية باعتبارهم غلماناً ورقيقاً .

ف «أشناس» الضابط الكبير ظهر فجأة وظهر «وصيف» الذي كان يعمل زرّاداً فاصبح هو الآخر قائداً عسكرياً يقود آلاف الجنود وظهرت شـخصية هـامة هـي شخصية «الأفشين» الذي اعتنق الاسلام وهو الوحيد الذي ينحدر من أسرة كانت تحكم اقليم اشروسنة .

ويتمتع هذا الرجل بموهبة عسكرية فذّة وهو الذي هزم تمرّد بابك الخرمي الذي استمر عشرين سنة ، ويعدّ الفاتح الحقيقي لعمورية وما تزال قصّة محاكمته في تهم لم تثبت ومن ثم اعدامه تثير أسئلة عديدة !

وقراءة في هذه الحقبة تعرّفنا علىٰ شخصية أخـرىٰ هـي «دليـل بـن يـعقوب النصراني» الذي أشرف علىٰ مشاريع هندسية كبرىٰ في طليعتها شق القنوات الجوفية وامداد القصور الكبرىٰ بها ومشروع شق النهر الذي اخفق وهو مشروع جبار عمل

فيه ١٢/٠٠٠ عامل ليل نهار[1].

وتهمنا هذه المعلومة فيما بعد عندما نتطرق الىٰ الدار التي اشتراها الامام الهادي سنة (٢٣٢ ـ ٢٣٤)هـ وهي سنة وصوله الىٰ سامراء في ظروف أقرب الىٰ الاستدعاء القسري منه الىٰ دعوة قابلة للاعتذار.

ولا ننسىٰ الاشارة في هذه العجالة الىٰ شخصية أخرىٰ هي «ايتاخ» الطباخ والذي تدرج في مسؤوليات أخرىٰ فانتقل من ذبح الغنم والبقر الىٰ ذبح الانسان فقد نفذ عمليات اغتيال دموية وكان يقوم بها ببرود قاتل.

أما «بغا» وهو قائد تركي فما يزال في غضون هذه السنوات مشتبكاً مع قوّات التمرّد بقيادة بابك وقد مني بهزيمة مريرة.

وسيكون دور ايتاخ في تلك الفترة دور «مسرور» خادم الرشيد وهو دور اتسم بالغموض والبوليسية في ادارة شؤون الحكم والدولة.

القصور في سامراء.. الجوسق الخاقاني نموذجاً:

كشفت التنقيبات في سنة ١٩٠٧ وما بعدها عن اطلال قصر عظيم، ويكفي أن نشير الىٰ المدرّج الذي يرتفع من الحوض الواسع وعرضه الذي يبلغ ستين متراً لنعرف فخامة هذا القصر.

وهذا المدرج يؤدي الىٰ اكبر واضخم أبواب القصر وهو «باب العامّة» الذي يرتفع الىٰ اثني عشر متراً في الفضاء.

---

(١) الطبري حوادث سنة ٢٤٥هـ «.. وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة (شمال سامراء) من موضع يقال له كرْمى يكون شرباً لما حولها من فوهة النهر اليها، وأمر بأخذ جبلتا والخصاصة العليا والسفلىٰ وكرْمى، وحمل أهلها علىٰ بيع منازلهم وأراضيهم، فأجبروا علىٰ ذلك.. وقدّر للنهر من النفقة مائتي الف دينار فصيّر النفقة عليه الىٰ «دليل بن يعقوب النصراني كاتب «بغا» وألقىٰ في النهر اثني عشر ألف رجل يعملون فيه فلم يزل دليل يعتمل فيه.. حتىٰ قتل المتوكل فبطل النهر..».

ونحاول هنا استعراض بعض ما أشارت اليه التنقيبات بما يوضح صورة عن القصور في سامراء وهي تشترك جميعاً في كثير من المرافق ، ونذكر باعتمادها في الغالب خرائط رومية وسنتابع بعض التفاصيل ابتداءً من باب العامة المؤلفة من جبهة ثلاثية العقود يبلغ ارتفاعها ١٢م وتمتد من ورائها ثلاث غرف مسقفة بعقادات متوازية تطل علىٰ نهر دجلة .

ويقع في الجبهة الجنوبية جناح الحريم الذي يمتد منه ملحق جنوبي ، فيما يمتد البهو من باب العامة في طريق مستقيم الىٰ قاعة الشرف أو البلاط المؤلف من ثلاثة اجنحة تشبه الحرف «T» وهو طراز روماني في البناء ..

ومساحة البهو الشرقي وحده ٣٨ × ١٠/٤٠م تنفتح شرفاته علىٰ ساحة واسعة ٣٥٠ × ١٨٠م تتوسطها نافورتان تستمدان مياههما من دجلة عبر كهريز (قناة جوفية) .

«واذا سار المرء متجهاً الىٰ شرقي الشرفة الكبيرة يأتي السرداب الصغير الكائن علىٰ محور القصر الاصلي . ويؤلف مدخل السرداب غرفة مربعة الشكل يوجد علىٰ جدرانها أفريز مزين بجمال ماشية من ذوات السنامين منحوتة بالجص الملوّن مع نافورة دائرية الشكل .

ويقع سلّم السرداب في الجانب الغربي من البناء الفوقاني . أما السرداب نفسه فهو عبارة عن مغارة في داخل القصر بعمق ٨م وطول ٢١م ، ويوجد في كل جدار من جدران المغارة ثلاثة كهوف تصلها ببعض ممرات خاصة كما يوجد في قاعها حوض ماء ..

وقد ثبتنا هذا النص من موسوعة العتبات المقدسة كتاب سامراء ومعلوماته من مراجع اجنبية اشرفت بنفسها علىٰ التنقيبات وسجلت مشاهداتها بدّقة متناهية .

ان مفردات مثل حوض المياه والسرداب ونوافير الماء والقنوات الجوفية سيكون تذكّرها مفيداً عندما يصل الحديث عن بيت الامام الهادي .

المقطع الأخير من مسلسل البشارة:

نحاول هنا أن نثبت ولو اشارة الىٰ بشارة ثلاثة ائمة عاصروا الحقبة السامرائية وهم الجواد الذي توفي في ظروف غامضة وهو شاب في الخامسة والعشرين وهناك مرويّات وقرائن تؤكد اغتياله .

فمن يقرأ مطلع خلافة المعتصم ومسلسل التصفيات وامّية الخليفة واستجابته السريعة لأي هاجس سيميل الىٰ أن المعتصم قد دبّر عملية الاغتيال باقناع جعفر بن المأمون والاخير أغرىٰ أخته (زوجة الامام الجواد) بتنفيذ المؤامرة .

فذلك الشاب كان يشكل تهديداً لسلطة المعتصم فالتاريخ ذكر صراحة أميّة الخليفة وأشار الى شخصية الامام الجواد العلمية .

هناك روايتان عن عبدالعظيم الحسني تشير الأولىٰ الى أنّه الثالث من ولده هو المهدي الموعود وتؤكدان معاً غيبته ووجوب انتظاره فيما تؤكد الثانية نقطة سنأخذ أهميتها بعد ذلك بنظر الاعتبار وهي حرمة تسميته .[1]

أما الامام الهادي فقد مارس اضافة الىٰ تأكيده البشارة شكلاً من اشكال الغيبة واعطاء دور هام للوكلاء وهي خطوة عملية علىٰ صعيد التمهيد ومحاولة اقناع العقل الاسلامي والضمير بهذا اللون من الارتباط الذي تمليه ظروف سياسية قاهرة .

والرواية التي ينقلها أبو دلف تقول عن الامام الهادي : «**الامام بعدي الحسن ابني ، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**» .

---

(١) كثيرة هي الكتب التي بحثت مسألة الامام المهدي واهتمت بدراسة فلسفة الغيبة، العمر الطويل جدوىٰ الامام الغائب وغيرها وسنجد موضوعا اخر اهتم ببحث حكم تسمية الامام المهدي، وهناك سبع رسائل اثبتها كتاب الذريعة.
ويبدو أن هذه المسألة كانت محل جدل شديد في عصر الشيخ البهائي / شرعه التسمية حول حرمة تسمية صاحب الأمر / الفيلسوف والعارف الأمير السيد محمد باقر المعروف بالداماد ـ مقدمة الإعداد / ٣ ـ ٤.

ومسلسل البشارات يؤكد بشكل مركز علىٰ غيبة المهدي الموعود وعلىٰ خفاء ولادته علىٰ الناس ولهذا دلالات كثيرة جداً علىٰ الصعيد النفسي في ترشيد الوجود الشيعي كقاعدة شعبية تؤمن بقيادة أهل البيت وتدين بولائهم.

الموقف العام في الجبهات والعلاقات الدولية:

سنحاول باختصار استعراض الموقف العام علىٰ الحدود الدولية ليس لاضاءة خلفيات المسرح السياسي في سامراء فحسب بل اننا سنجد بحث ذلك مجدياً عندما نجد في المدّونات الامامية تأكيداً عىٰ أن أم المهدي هي فتاة من القسطنطينية وأنها إحدىٰ أميرات القصر وهي رواية بشر بن سليمان النخاس تاجر الرقيق الذي تولّىٰ مهمة شرائها من بغداد، فالىٰ أي مدىٰ يمكن الركون الىٰ هذه الرواية الوحيدة والتي تضمنت تفاصيل مثيرة ؟!

شهدت خلافة المعتصم انتصارات هامّة جداً وأول انتصار اقترن ببدء خلافته هو القضاء التام علىٰ تمرّد بابك الخرّمي وبالرغم من الغارات التي شنّها الروم والتي اكتسبت طابع الهجوم العام بجيوش جرّارة لتخفيف الضغط عن قلاع بابك في ارمينيا واذربيجان إلّا أن «الافشين» نجح في احراز نصر ساحق ونهائي علىٰ بابك الذي اقتيد أسيراً مع أخيه ليعدم في مكان عرف فيما بعد بـ«خشبة بابك».

أما الانتصار الثاني فهو توغل الجيوش الاسلامية في الجبهة الشمالية وتحرير المدن المحتلة والزحف علىٰ مدينة عمورية مسقط رأس الاباطرة الروم الحاكمين.

وهذا الانتصار الذي تكلّل في فتح المدينة يوازي سقوط العاصمة الىٰ حدّما ويستنتج من يقرأ تفاصيل المعارك الضارية أن هذا الفتح يعود الىٰ القائد العسكري الموهوب الأفشين، وما يهمنا هنا هو أن الهزيمة التي مني بها الروم سيكون لها آثار علىٰ مستقبل الأسرة العمورية الحاكمة.

ولا ننسى هنا أيضاً اكتشاف المعتصم لخطة انقلابية خطيرة تزعمها العباس بن

المأمون وبتأييد وحماس الضباط العرب والتي عالجها المعتصم بدموية وقسوة بالغة .

وفي تلك الفترة تفاقم النفوذ التركي ، وقراءة في تفاصيل كيفية الانسحاب الىٰ سامراء ومسلسل التصفيات تكشف عن الجانب الدموي في شخصية المعتصم وأمّيته الىٰ حدٍّ كبير .

كما ان الاشارة الىٰ محاكمة الأفشين وتنفيذ حكم الاعدام بحقه واشراف قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد تشير الىٰ تطور سيء في تجربة المعتزلة في ادارة دفّة الحكم منذ محنة خلق القرآن .

وقد شهد حكم الواثق محاكمات ظالمة ابرزها محاكمة نصر بن أحمد الخزاعي الزعيم الشعبي البغدادي والتي كشفت عن سوءات الحكم وعرّت أخلاقيته التي وصلت حدّ النذالة خاصّة في مفاوضات تبادل الأسرىٰ مع الروم حيث تم افتداء الأسرىٰ المسلمين الذين يقولون بفكرة خلق القرآن[1] أما الذين رفضوا ذلك فقد تركوا يواجهون مصيرهم المأساوي تحت رحمة تيودورا زوجة الامبراطور وعضوة مجلس الوصاية علىٰ العرش بعد وفاة زوجها تيوفئيل وجلوس ابنها القاصر ميخائيل الثالث (٦ سنوات) علىٰ العرش ، وذكر هذه المعلومة ليس من قبيل الاسترسال بل انها اضاءة لبحث مصير الأسرة العمورية بعد عقدين من الزمن .

نيرون العرب:

ستكون دراسة فترة «المتوكل» (٢٣٢ ـ ٢٤٧)م مفيدة في فهم كثير من الملابسات لأن الطريقة التي وصل فيها الىٰ الحكم تحتاج الىٰ دراسة نفوذ الضباط الاتراك وموقف الرأي العام من تجربة المعتزلة في الحكم خاصة في ظل تنامي نفوذ

---

(١) راجع الطبري في تاريخ الملوك حوادث سنة ٨٤٥م ٢٣١هـ وقد تم افتداء الاسرىٰ علىٰ ضفاف نهر اللامس.

رئيس السلطة القضائية القاضي أحمد بن أبي دؤاد واستغلاله لمنصبه وأحكامه التعسفية التي ذهب فيها الىٰ مديات لا تطاق .

بل إن دراسة شخصية جعفر المتوكل ووقوعه تحت تأثير محظيته اليونانية الحسناء وطلاقه لزوجته «ريطة» التي رفضت طلبه في السفور وارتداء زي الغلمان ستكشف هي الأخرىٰ نقاطاً معتمة وتلقي الضوء علىٰ حوادث تاريخية .

فقد سجل المؤرخون للمتوكل اهتماماً استثنائياً بالأخبار أي أخبار جواسيسه المنتشرين في كل مكان وقد شهدت فترة حكمه تشكيل شبكة رهيبة ومخيفة للجاسوسية وقد أثرىٰ الجواسيس من خلال ادراكهم لتوجهات وتوجسات المتوكل خاصّة عدائه الشديد لأهل البيت عليهم السلام .

يكفي أن نشير الىٰ أوامره بهدم مرقد سيدنا الحسين عليه السلام وهدم الدور المحيطة به وحرث المنطقة بأسرها وفتح مياه الفرات واغراقها ، وهي مهمة امتنع المسلمون والنصارىٰ عن تنفيذها ونفذها اليهود بتعهد «ابراهيم الديزج» اليهودي الذي سنراه يتولىٰ منصباً حساساً في الدولة فيما بعد .

ومن الأفضل أن نواكب وبشكل سريع بعض الحوادث التي أدّت في النهاية الىٰ صعود المتوكل واطاحته بمؤسسات العهد البائد بل واقصائه المذهب المعتزلي وابعاد شخصياته عن مؤسسة الدولة وفسح المجال أمام مذهب جديد ساعد إلىٰ حدّ ما علىٰ تثبيت أركان حكمه .

وصول الامام الهادي الىٰ سامراء:

لعل من الأفضل مواكبة بعض الأحداث التي قد تلقي ضوءً كشّافاً يفيد في تفسير حوادث أخرىٰ في صميم البحث .

قد يعجز الباحث عن اماطة اللثام عن الظروف التي مهدت الطريق الىٰ صعود المتوكل فقد كان قبل ليالي موضعاً لتأنيب أخيه الواثق واحتقار رئيس الوزراء

الزيات بسبب شعره الطويل وظهوره في هيئة أقرب الىٰ المخنثين منه الىٰ الأمراء ، ولذا قام رئيس الوزراء بقصّ شعره وضرب بها وجهه وطرده .

ان من يطّلع علىٰ تفاصيل تلك الفترة خاصّة فترة احتضار الواثق وانعقاد مجلس ضم شخصيات الدولة سيكتشف نفوذ الضباط الاتراك .

لقد حاول الزيات المستحيل في ترشيح ابن الخليفة الطفل ولكن دون جدوىٰ فقد فرض ايتاخ وبغا ووصيف رأيهم في انتخاب جعفر (المتوكل) .

ومن الملفت للنظر ان جعفر كان حين تداول مسألة مصير الخلافة جالساً في الجناح الخاص بالحرس مع بعض الشبان الاتراك .

وقد حمل القائد بغا حلّة الخلافة اليه ، وفي لحظات رأىٰ نفسه الحاكم المطلق لبلاد تمتد من غرب افريقيا الىٰ تخوم أرمينيا والىٰ شواطىء المحيط الهندي .

وأول شيء نطالعه هو التقارير التي رفعت الىٰ المتوكل مباشرة في خطورة الامام علي الهادي . يقول المسعودي : «وكتب بريحة العباسي صاحب الصلاة بالحرمين الىٰ المتوكل : إن كان لك في الحرمين حاجة فاخرج علي بن محمد منها ، فانه قد دعا الىٰ نفسه واتبعه خلق كثير» .

ونجد أن زوجة المتوكل تؤكد علىٰ زوجها ذلك ، وكما ذكرنا أنها كانت جارية ثم اصبحت زوجته الأولىٰ عرفت بحسنها الباهر ولم يذكر التاريخ سوىٰ انها من أصل يوناني وانها استحوذت علىٰ قلب المتوكل واسمها غير معروف لكنها اشتهرت باسم «قبيحة» من باب تسمية الشيء بضده .

وقد استدعى ذلك أن يكذّب الامام التقارير في رسالة الىٰ سامراء لكن ذلك لم يبدد هواجس المتوكل فصدرت عن القصر أخيراً رسالة موجهة للامام تدعوه الىٰ الحضور وقد سطر الرسالة الكاتب العربي البليغ ابراهيم الصولي فجاءت مهذبة الىٰ حدٍّ كبير .

ويذكر الطبري وصول الامام الهادي الىٰ سامراء في سنة ٢٣٤هـ فيما تشير

مدونات الامامية ان رسالة الصولي موقعة بتاريخ ٢٤٣هـ ولعل في كتابة التاريخ الأخير خطأ في تقديم وتأخير عدد الآحاد والعشرات .

وكجملة اعتراضية نسجل ظهور تيارات فكرية تبتعد وبنسبة ما عن جوهر التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ .

فهناك داخل الكيان الشيعي تفكير انحرافي يحاول طرح الأئمة كأرباب أو علىٰ الأقل ان الله سبحانه فوضهم قدرة الخلق والرزق وهو تيار حاربه الامام علي الهادي بكل ما أوتي من قوّة .

كما تصدّىٰ لتيار المجسمة الذي يصوّر الله بصورة البشر له جسم وأطراف .

والتيار الأخير سيكون تحت مظلّة الاتجاه الفكري الذي تدعمه الدولة الجديدة بعد اقصاء المذهب المعتزلي .

ان طريقة استقبال المتوكل للامام الهادي تكشف حقيقة ونوايا السلطات ازاءه فقد تعمد المتوكل عدم استقباله بالرغم من اطلاعه علىٰ وصوله واضطرّ الامام ليمضي ليلة وربّما اكثر في خان الصعاليك ، بل ان الرواية التاريخية التي سجلت ذلك تشير بقوّة الىٰ أن نزول الامام في خان الصعاليك كان بأمر من المتوكل ، فالامام لا يعدم وجود شيعي يستقبله في منزله ، وربّما يمكنه العودة الىٰ بغداد فهي ليست بعيدة ولكن الامام في جميع الأحوال لم تكن لديه خيارات .

ونحن نذكر ذلك لنثبّت من الآن سياسة رهيبة سوف تتطور من سيء الىٰ أسوأ وأن حياة الامام الهادي لم تكن عادية علىٰ الاطلاق بل تحكمها قوانين الاقامة الجبرية والحصار والجو الجاسوسي والتآمر ومحاولات دنيئة للانتهازيين من الذين يهمهم الارتقاء والاثراء ولو علىٰ جماجم الأحرار والابرياء .

وعلىٰ أية حال حصل اللقاء المرتقب ودار فيه هذا الحوار :

قال المتوكل :

ـ ما يقول أبناء علي في العباس ؟

أجاب الامام :

ـ ماذا تريدهم يقولون في رجل أمر الله الناس باطاعة أولاده وينتظر من أولاده أن يطيعوا الله !

دار الامام:

ونعبر هذا الحوار الىٰ أول معلومة هامّة وردت في التاريخ حول الدار التي قطنها الامام في سامراء .

فقد أورد الخطيب البغدادي في تاريخه وفي ترجمته لحياة الامام الهادي «أنه اشتراها من دليل بن يعقوب النصراني» ولم ينتقل منها وتوفي فيها ودفن .

ويورد التاريخ معلومة أخرىٰ هي أنه دفن في وسط الدار ودفن الىٰ جانبه فيما بعد نجله الحسن ثم نرجس وحكيمة وزوجته التي هي جدّة الامام المهدي .

ومن المفيد أن نورد نصاً من كتاب رحلات السيد محسن الامين العاملي ما يعيننا في تصوّر عام لدار الامام :

«.. وسميت في أول الأمر (سر من رأى) ثم خففت فقيل سامراء وتسمىٰ أيضاً «العسكر» لاقامة عسكر المعتصم فيها ، وفيها قبر الامام علي بن محمد الهادي وابنه الحسن بن علي العسكري . كان استدعاهما ملوك بني العباس اليها واجبراهما علىٰ الاقامة فيها خوفاً منهما أن ينازعاهم في الخلافة لاعتقاد جمع من الناس بامامتهما وميل جميع الناس اليهما فماتا بها ودفنا في دارهما . وفيها قبرا حليمة أخت علي الهادي ونرجس زوجة الحسن العسكري وأم المهدي وعلىٰ الجميع قبة عظيمة كسيت بالذهب الإبريز كأنها الجبل الشاهق . وفيها السرداب المسمىٰ بسرداب الغيبة وهو سرداب الدار التي سكنها العسكريان عليهما السلام وذلك ان اتخاذ السراديب أمر متعارف في العراق ، يتقي به الائمة الحرّ في وقت الظهيرة ويقيمون فيه ذلك الوقت .

وكان له طريق تحت الأرض من دار الإمامين التي هي محل دفنهما وبقي هذا

الطريق بعد دفنهما فيها فكان الزوار يخرجون من الحفرة الشريفة في ذلك الطريق حتى يصلوا الىٰ باب السرداب فيدخلوه، كما تدلّ علىٰ ذلك بعض كتب المزارات، سدّ ذلك الطريق وفتح للسرداب باب ملاصق له، وصار يمشي اليه من الحضرة الشريفة علىٰ وجه الأرض.

والسرداب اظنه لفظ مركب من «سرد» وهي بالفارسية بمعنىٰ بارد و «آب» بمعنىٰ ماء أي مبرد الماء».[1]

فالمصادر التاريخة والجغرافية تؤكد أن قبور أهل الدار كانت في حجرة في الدار وأن السرداب جزء من مرافق الدار.

وأنه بدأ الاهتمام بالدار كأثر مقدس بعد وفاة المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩) بل أن الأخير ورد اسمه في مدونات الامامية باعتباره الخليفة الوحيد الذي نظم حملتين للقبض علىٰ الامام المهدي أو اغتياله.

وما يهمنا أن نعرف أن المسافة بين السرداب وضريح الامامين تقدّر (٨٠ ـ ٩٠)م والمسافة يمكن قياسها بدقة.

وبناء علىٰ فرضية أن السرداب أيضاً لا يوجد في الطرف القصي بل أن خرائط القصور السامرائية تجعله في مكان علىٰ محور وسط الدار.

وهنا نذكّر بالمعلومة التي وردت في كتب التاريخ حول «دليل بن يعقوب» الذي اسند اليه المتوكل مشروعه الجبار في شق نهر من دجلة لمدينة المتوكلية شمال سامراء علىٰ مسافة أربعة أميال عربية (٨كم) تقريباً.

كما أن شق القنوات الجوفية (الكهاريز) من دجلة لتغذية القصور والمساجد بالمياه أمر يتفق عليه الجميع.

ونتصوّر من خلال دراسة بعض الروايات التي تصوّر الحفلات الصيفية التي تقام

---

(١) رحلات السيد محسن الامين العاملي: ١٢٤ ـ ١٢٦. ط دار الغدير بيروت.

في القصر السامرائي بهذه الهيئة .

ان الباب الرئيسة تفضي الىٰ رواق وبهو واسع والىٰ ستائر وحجرات في منعطفات موزعة بعدها يأتي مدرج يهبط الىٰ باحة الدار حيث الحديقة وربما بركة مياه ومصطبة صخرية يجلس عليها أهل الدار .

وتكون الحديقة بمستوىٰ أرضية السرداب تقريباً والسرداب يجهز في الغالب بـ «كهريز» (خاص بالقصور الكبيرة) ولأن صاحب دار الامام الاصلي هو دليل ابن يعقوب فمن المنطقي جداً وجود كهريز يدخل السرداب من خلال سدّاد متحكّم ثم يفضي الماء بعد ذلك الىٰ الحديقة .

ونحن نجد في ترجمة الامام الهادي أنه عنّف غلاماً لأنه دفأ له ماء الوضوء والرواية تورد في طياتها صعوبة في احضار الماء[1] .

كما نجد في ترجمة معز الدولة البويهي انه استكمل بناء الحمداني ناصر الدولة في عمارة القبة والسرداب وملأ البئر التي كان العسكري يتوضأ بها أحياناً .

ومن المحتمل أن يكون البئر حوضاً صغيراً داخل السرداب يستمد مياهه من القناة الجوفية .

فتقديرات أولية لمساحة الدار قد تصل به الىٰ أكثر من ١٥/٠٠٠م٢[2] .

ومع أن هذه الدار تعدّ من القصور ولكن السيرة الذاتية للامام والتي تؤكد زهده وتسجل أحياناً خلو الحجرات حتى من البُسط والسجّاد تكاد تصرّح بأن الامام انما اشترىٰ هذه الدار الفخمة[3] جداً لأهداف تختلف تماماً عن غايات سكان القصور فما هي أهداف الامام ؟

---

(١) البحار: ١٢٦/٥٠.

(٢) عن اسحاق الجلاّب قال: اشتريت لأبي الحسن غنماً كثيرة، فدعاني إليه فأدخلني من اصطبل داره الىٰ موضع واسع لا أعرفه فجعلت افرّق الغنم فيمن أمرني به..» البحار: ٣٢/٥٠.

(٣) فلمّا أن دنوا من قصره إذا بلال ينتظر وكان بلال غلام أبي الحسن / البحار ١٣١/٥٠.

ولنسجل في هذه المناسبة ثلاث علامات تعزز الفكرة هي :

أولاً : أن الامام لم يتحول عنها برغبة منه أو استجابة لضغوط أخرىٰ ، وما تزال كما هي الآن باسم الامام بعد أن استحالت الىٰ قباب ومنائر وآثار خالدة .

ثانياً : ان الامام قاوم بشكل يلفت النظر ضغوط المتوكل وتهديداته باخلاء الدار والانتقال الىٰ المتوكلية ، بل أن الامام لم يشرع ببناء داره الجديدة في المتوكلية بالرغم من تهديدات المتوكل التي توعدته بالقتل ومن المحتمل أن يكون تاريخ ذلك بين ٢٤٥ ـ ٢٤٧هـ أي منذ انتقال المتوكل الىٰ قصره الجديد «الجعفري» والىٰ مصرعه في الخامس من شوال ٢٤٧هـ.

ثالثاً : أن الامام قاوم وبشدّة أيضاً ضغوط أحمد بن الخصيب رئيس الوزراء في حكومة المستعين .

وقد قام الاتراك بطرده من رئاسة الوزراء ونفيه الىٰ جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط واسناد المنصب الىٰ ضابط تركي هو «أوتامش» وذلك في سنة ٢٤٨هـ وقبل أيام فقط من اقدام الخصيب علىٰ تنفيذ تهديداته بشأن الدار واجبار الامام علىٰ بيعها .

ونشير هنا الىٰ أن مثل هكذا دار كبيرة ستكون جاهزة لاستحداث ممرات تحت الأرض وانفاق .

وسنرى الطبري عندما يؤرخ سنة ٢٥٥هـ وهي السنة التي شهدت الانقلاب العسكري علىٰ الخليفة المعتز وهو ابن المتوكل من زوجته اليونانية «قبيحة» وعندما حوصرت قصور الخلافة وبالتحديد القصر التي تقطنه هذه المرأة الغامضة بغية القاء القبض عليها ومصادرة كنوزها الاسطورية أنها افلتت من قبضة الجنود الاتراك عبر نفق تحت الأرض يبدأ من غرفة نومها الىٰ مكان خارج اسوار القصر بعيد عن العيون .

وسوف نتوقف أيضاً لدىٰ هذه النقطة عندما نستعرض بعض النقاط في حياة الامام الحسن العسكري .

أوراق من تاريخ الرومان:

هناك أكثر من علاقة تربط بين مسألة المهدي والمسيح والمسيحية والرومية .

ونحن نسجل باختصار ما يتعلق بصميم البحث :

رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبيﷺ : « . . . لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها»[1] .

عن النبيﷺ : «المهدي من ولدي وجهه يتلألأ كالقمر الدري اللـون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي»[2] .

وفي هذا اشارة ضمنية الىٰ أن المهدي يرث عن والدته صفات بني اسرائيل في القامة .

ومدوّنات الامامية تؤكد ان والدة الامام المهدي هي السيدة «مليكا» التي اخفت اسمها الحقيقي وعرفت باسم «نرجس» وأنهـا إحـدىٰ أمـيرات الرومـان في القـصر الامبراطورى فى القسطنطينية .

رواية تاجر الرقيق بشر بن سليمان النخاس:

الرواية وردت في كتب الامامية المعتبرة في اكمال الدين للشيخ الصدوق وكتاب الغيبة للشيخ ، الطوسي ، وسنشير الىٰ أهم المعلومات فيها :

بشر بن سليمان النخاس من أصول أنصارية يقطن سامراء وهو جـار للامـام الهادي تعلم علىٰ يديه فقه الرقيق والتجارة المشروعة فيه .

الامام يرسل كافوراً في المساء لاستدعاء تاجر الرقيق ويحضر الرجل في الوقت المناسب .

---

(١) فرائد السمطين / الجويني ج٢.

(٢) البيان للكنجي: ١١٨.

الامام يكلّفه شراء جارية بمواصفات محددة ، ان جوّ الروايات التي أشارت الىٰ هذا الموضوع توحي بأن الامام الهادي قام بذلك بُعيد انتهاء الحرب الأهلية (٢٥١ ـ ٢٥٢)هـ ومن المحتمل أن يكون ذلك بين عامي ٢٥٣ ـ ٢٥٤هـ.

أي في الوقت الذي استأنفت فيه بغداد حياتها العادية من جديد بعد حرب أهلية مدمّرة .

وتم الشراء في مكان قرب معبر الصراة وهو نهر يتفرع من دجلة في بغداد وهنا تأتي رواية الفتاة للنخاس في قصتها المثيرة .

ـ اسمها الحقيقي «مليكة» بنت يشوعا ابن قيصر الروم وأمها من نسل الحواريين وبالتحديد من نسل شمعون وصي السيد المسيح .

ـ أراد جدّها تزويجها الىٰ أمير من أمراء القصر وحدث ما الغىٰ الزواج .

ـ ترىٰ الفتاة رؤيا عجيبة إذ يخطبها النبي العربي محمدﷺ لأحد أبنائه من السيد المسيح .

ـ تصاب بالحمّى بسبب تلك الرؤيا المثيرة وبسبب حبها للفتىٰ الأسمر الذي خُطبت له .

ـ انها فتاة عاقلة ومثقفة تعرف العربية وتتعاطف الىٰ حدّما مع الأسرىٰ المسلمين .

ـ تخطط الفتاة للسفر الىٰ بغداد عن طريق الاشتراك في الحرب ووقوعها ضمن أسرىٰ الحرب وهذا ما حصل وعندما سُئلت عن اسمها قالت . . «نرجس» وهو اسم الجواري وهكذا أخذت طريقها الىٰ سوق الجواري وهي سوق رائجة آنذاك .

ونورد هنا بعض التفاصيل علىٰ الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية حيث تتبادل الجيوش الاسلامية والرومية الغارات والهجمات .

ويمكن متابعة مسلسل الغارات والاشتباكات منذ فتح عمورية لتأخذ شكلاً عنيفاً في عهد الامبراطورة تيودورا الوصية علىٰ عرش ابنها القاصر ميخائيل الثالث

ونحن نركز علىٰ اشتباكات السنوات ٢٤٩ ـ ٢٥٣ وهي مثبتة في التاريخين الاسلامي والرومي.

وفي سنة ٢٥٣هـ ٨٦٧م وقع حادث هام له أكثر من دلالة وهو قيام «باسيل» بمحاولة انقلابية خطيرة انهىٰ فيها حكم الأسرة العمورية ومؤسساً لحكم اسرة جديدة هي «الاسرة المقدونية» فلنقرأ هذه الصفحات من تاريخ الرومان:

«وهكذا نمرّ بنقفور الأول (٨٠٢ ـ ٨١١) وحروبه مع هارون الرشيد، وميخائيل الأول (٨١١ ـ ٨١٣) وقد ثل عرشه وجز شعره لأن البلغار هزموه، وليو الخامس الأرمني (٨١٣ ـ ٨٢٠) الذي حرّم مرة أخرىٰ عبادة الصور التماثيل والذي اغتيل وهو ينشد ترنيمة للكنيسة، وميخائيل الثاني (٨٢٠ ـ ٨٢٩) الأمي «المتلجلج» الذي عشق راهبة وحمل مجلس الشوخ علىٰ أن يتوسل إليه أن يتزوجها، وثيوفليس (٨٢٩ ـ ٨٤٢) المشرع المصلح، والملك البناء، والإداري الحي الضمير الذي أحيا سنّة اضطهاد محطمي التماثيل وقضى عليه الزحار، وأرملته ثيودورا التي حكمت البلاد نيابة عنه حكما قديراً (٨٤٢ ـ ٨٥٦) وأنهت عهد الاضطهاد، وميخائيل الثالث «السكّير» (٨٤٢ ـ ٨٦٧) الذي أسلم الإمبراطورية بعجزه اللطيف إلى أمه أولا ثم إلى قيصر بارداس Caesar Bardas عمه المثقف القدير بعد وفاتها[1]. ثم تظهر علىٰ المسرح علىٰ حين غفلة شخصية فذة لم تكن منتظرة تخرج علىٰ كل سابقة عدا سابقة العنف، وتؤسس الأسرة المقدونية القوية.

فقد ولد باسيل المقدوني بالقرب من هدريا نوبل Hadriaople من أسرة أرمنية من الزراع. وأسره البلغار وهو صغير وقضى شبابه بينهم وراء الدانوب في

---

(١) ورد في تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٤٦هـ ما يلي: «وذكر عن نصر بن الأزهر الشيعي ـ وكان رسول المتوكل الىٰ الروم في أمر الفداء ـ أنه قال: لما صرت الىٰ القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادي وسيفي وخنجري وقلنسوتي فجرتْ بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة ـ وهو القيّم بشأن الملك..».

البلاد التي كانت وقتئذ معروفة باسم مقدونية. ثم فر منهم وهو في الخامسة والعشرين من عمره، واتّخذ سبيله إلىٰ القسطنطينية، واستأجره أحد رجال السياسة ليكون سائسا لخيوله لأنه أعجب بقوة جسمه وضخامة رأسه. وصحب سيده في بعثة إلىٰ بلاد اليونان، وهناك استلفت نظر الأرملة دنيليس Danielis وحصل علىٰ بعض ثروتها. ولما رجع إلىٰ العاصمة روض جوادا جموحا يملكه ميخائيل الثالث، فأدخله الإمبراطور في خدمته، وظل يرتقي فيها حتى صار رئيس التشريفات وإن لم يكن يعرف القراءة والكتابة. وكان باسيل علىٰ الدوام قديرا فيما يوكل إليه من الأعمال، سريع الاستجابة لها؛ فلما أن طلب ميخائيل زوجا لعشيقته، طلق باسيل زوجته القروية، وأرسلها إلى تراقيه مع بائنة طيبة، وتزوج يودوسيا Eudocia التي ظلت في خدمة الإمبراطور. وهكذا حبا ميخائيل باسيل بعشيقته، ولكن المقدوني ظن أنه يستحق العرش جزاء له على فعلته، فأقنع ميخائيل بأن بارداس يأتمر به ليخلعه، ثم قتل بارداس بيديه الضخمتين (٨٦٦)، وكان ميخائيل قد اعتاد من زمن طويل أن يملك دون أن يحكم فجعل باسيل إمبراطوراً وترك له جميع شئون الحكم. ولما هدده ميخائيل بعزله، دبر باسيل اغتياله وأشرف علىٰ هذا الاغتيال بنفسه، وانفرد هو بالإمبراطورية (٨٦٧)[1].

لنسجل بعض النقاط المفيدة باختصار:

ـ وفاة تيوفئيل سنة ٢٢٧هـ ـ ٨٤١م وهي سنة وفاة المعتصم أيضاً وتيوفئيل ولد في عمورية التي سقطت في قبضة الجيش الاسلامي ٢٢٣هـ ـ ٨٣٧م.

ـ يتربع علىٰ العرش ابنه القاصر ميخائيل الثالث (٦ سنوات) فيتألف مجلس للوصاية برئاسة أمه تيودورا وخاله قيصر باراداس (Caesar Bardas).

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة: ج٣ مجلد ١٦٢/٤ ـ ١٦٤.

وتنفرد الأم بالحكم مدّة ١٤ سنة تشن خلالها حروباً عنيفة ضد الدولة الاسلامية وتقدم علىٰ ارتكاب مذبحة مروعة بحق الأسرىٰ المسلمين راح ضحيتها ١٢/٠٠٠ مسلم[١].

في عام ٨٥٦م قام أخوها قيصر بارادس باعتقالها واجبرها علىٰ دخول الدير..

ويسجل التاريخ وفاتها في سنة ٨٦٧م أي في سنة الانقلاب العسكري بقيادة باسيل الذي ذكر التاريخ الروماني جانباً من أخلاقه فهل كانت الوفاة طبيعية وحدثت تصادفاً في نفس العام ؟!

ـ ان بارداس بعد اعتقاله اخته وزجها في الدير أصبح هو الحاكم الفعلي للامبراطورية يعني اصبح هو القيصر ولا ننسى ان التاريخ ذكره بهذا الاسم أيضاً.

يمكن اجراء تطبيق بين هذه المعلومات ومفادات رواية السيدة نرجس[٢].

ـ وجود شخصية أسمها قيصر باراداس وهو الامبراطور الفعلي للبلاد وهو ما تذكره رواية السيّدة صراحة.

ـ في عام ٨٦٧م ٢٥٣هـ يقوم باسيل المقدوني بقتل قيصر باراداس ثم اغتيال ميخائيل الثالث واعلان نفسه امبراطورا جديداً منهياً بذلك حكم الاسرة العمورية؛ وباسيل كما سجل التاريخ شخصية أمية، عنيفة ودموية.

---

(١) ولعل هذه الحادثة المروّعة هي التي دفعت بـ«قيصر باراداس» الىٰ اعتقالها بعد أشهر، وحادثة قتل الأسرىٰ ذكرها الطبري في حوادث سنة ٢٤١هـ

(٢) يستبعد المستشرق دونا لدسون ان تكون زوجة الامام الحسن إحدىٰ اميرات الروم وانها ابنة يشوع ابن امبراطور الروم، وان هذه القصّة قد وضعت لتؤكد علىٰ نبل الامام (المهدي) من جميع الجهات لكنه لم يستبعد انها كانت من بين أسيرات الحرب في جبهات الامبراطورية البيزنطية اللواتي جيء بهن الىٰ أسواق النخاسة جاريات في بيوت عليه القوم من المسلمين / موسوعة العتبات المقدسة ـ سامراء: ٢٧٦... ان مدونات الامامية التي أوردت تراجم أمهات الائمة واغلبهن من الجواري لم تذكر ذلك إلّا لأم السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام (أمه شهربانو ابنة يزدجرد آخر أكاسرة ايران وأم الامام المهدي وهي من أميرات الروم) ولم تعتمد ذلك قانوناً لتشريف الائمة بأنساب مخترعة.

إنّ تشتت الأسرة العمورية يعزز من تشرّد وفرار أميرات القصر.. كما ان ظهور السيدة نرجس في نفس عام الانـقلاب العسكـري وفي نـفس الفـترة التي شهـدت اشتباكات ضارية وفي نفس الفترة التي تشير اليها رواية «بشر بن سليمان النخاس» وتعرف الامام الحسن على الفتاة في منزل عمته يعزز من مفاد رواية السيدة نرجس باعتبارها إحدىٰ سيدات القصر وأميراته وانها وصلت بغداد علىٰ قدر.

وقصّة الامام المهدي ليست عادية بل أنها وحسب ادبيات هذه المسألة خلاصة لقصص الانبياء بكل ما تتضمنه من معجزات واثـارات وقـد اشـارت كـثير مـن الأحاديث الىٰ أوجه الشبه بين الامام المهدي وعدّة من الانبياء.

ونستطيع أن نناقش رؤيا السيدة نرجس في ضوء ما ورد في القرآن الكريم من قصص مثيرة جداً تشكل الرؤيا فيها ركناً مهمّا وليس هناك ما هو أجلىٰ من سورة يوسف التي تشكل الرؤيا فيها الخيط المحوري علىٰ أمتداد القصة والسورة، فالقصّة تبدأ برؤيا الكواكب وتنتهي بتفسير هذه الرؤيا وخلالها ترد رؤيا الملك التي وضعت الأحداث في مسار أكثر إثارة.

فرؤيا السيدة نرجس اذا ما وضعت في الجوّ العام الذي يؤطر حركة الرسالات الالهية ستبدو اكثر انسجاماً، والقرآن الكريم يزخر بالشواهد المتألقة في هذا المضمار، فموسىٰ عليه السلام ولد وعاش وترعرع في أجواء مثيرة لا تحتاج الىٰ شرح والسيدة مـريم جاءت الىٰ الدنيا بلطف الهي.

وعيسىٰ ابنها ولد عند جذع النخلة معجزة في الخلق..

وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ابن الذبيحين فلم يكن بين اسماعيل والذبح إلّا لحظات انفتحت فيها السماء، وكاد أبوه عبدالله أن يذبح، وكاد هو أن يقتل في هجرته ولم يكن بينه وبين سيوف قريش سوىٰ خيوط العنكبوت.

ومن قبل هوىٰ ابراهيم وهـو أبـو الأنـبياء في قـلب النـار فـجعلها الله بـرداً وسلاماً.

وشاء الله أن تكون السيدة مليكة أو نرجس أماً للمصلح العالمي . . دفع الله عنها زواجاً لم تكن راغبة فيه وقدّر لها زواجاً آخر بعد حين ، وشاء الله لها النجاة من القتل في حوادث الانقلاب العسكري الذي راحت ضحيته الأسرة العمورية الحاكمة ، وشاء الله لها أن تصل بغداد ثم سامراء في رحلة مثيرة لا نعرف تفاصيلها .

فالامام الهادي انتخب لابنه فتاة نبيلة من سلالة الحواريين ومع ذلك فيجب ألّا يكون للصبي الموعود أخوال يسألون عنه ، ولذا ستعيش الفتاة في الظل كأية جارية أجنبية مع انها سيّدة الاماء كما ورد في الروايات .

سامراء.. مشهد ما قبل الولادة:

البلاط في مطلع عام ٢٥٣هـ تقوده قدره غامضة مؤلفة من أم الخليفة المعتز «قبيحة» وهي زوجة الخليفة الذي لقي مصرعه في انقلاب سنة ٢٤٧هـ، يعاونها الوزير النصراني الأصل ابن اسرائيل وأبو نوح وهو غلام نصراني كانت له علاقة قوية بالمتوكل واستطاع الفرار عشية مصرع المتوكل .

كانت سياسة المعتز تنهض علىٰ أساس تصفية أعداء والده وخصومه أيا كانت اتجاهاتهم ، ولذا قام بترقية الضباط المغاربة الذين اصبحوا عماد حرسه الخاص .

فيما عمّت موجة من الاعتقالات بغداد وسامراء طالت عشرات العلويين أو ممّن تُشمّ فيهم رائحة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وكان في طليعة من اعتقل أبو هاشم الجعفري بأوامر شخصية من المعتز بذريعة أن البلاط يفكرّ في ارساله الىٰ «طبرستان» للتفاوض مع الثائر العلوي «الحسن بن زيد» وتهدئة القلاقل هناك ، فنقل مخفوراً الىٰ سامراء وزجّ به في سجن خاص[1] في تلك الفترة كما قلنا وصلت السيدة نرجس سامراء واستقبلت من قبل الامام الذي ارسل وراء اخته حكيمة

---

(١) الطبري: ٥١١/٧ ـ ٥١٢ حوادث سنة ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

واطلعها علىٰ وصول الفتاة وطلب منها أن تأخذها الىٰ منزلها لتعلّمها شريعة الاسلام.

ومكثت الفتاة في منزل السيدة حكيمة شهوراً ويراها الامام الحسن في أخريات عام ٢٥٣هـ أو مطلع عام ٢٥٤هـ وتورد الروايات تفاصيل عن لقاء غير عادي بين سيدنا الحسن عليه السلام والسيدة نرجس.

وتستأذن السيدة حكيمة أخاها في اجراء مراسم الزواج في منزلها وبعد أيام يصطحب الامام الحسن زوجته الرومية الىٰ منزل والده الكبير.

ونستطيع أن نحدس موقف البلاط من العلويين من خلال تعيين ابن أبي الشوارب رئيساً لسلطة القضاء وهو رجل معروف بموقفه العدائي التقليدي للعلويين[1].

في ٢٥ جمادى الآخرة توفي الامام علي الهادي وحضر مراسم العزاء نائباً عن الخليفة طلحة بن المتوكل الذي عرف بالموفق منذ سقوط بغداد بعد حصارها سنة ٢٥١هـ وطلحة سيكون هو الحاكم العسكري العام منذ مصرع المهتدي في سنة ٢٥٦هـ وسيتولّىٰ ابنه الخلافة وسيعرف فيما بعد بـ «المعتضد» سنة ٢٧٩ والأخير هو الذي ذكرته مدوّنات الامامية بتنظيمه حملتين لاعتقال أو اغتيال من يوجد في بيت الامام الهادي.

افرزت الحرب الاهلية وضعاً قلقاً متوتراً في سامراء اتسم بالقلاقل التي عادة ما يثيرها الضباط الاتراك الذين شهدت جبهتهم انشقاقات خطيرة وتناحر من أجل أسلاب الحكم والمزيد من النفوذ.

وفي سنة ٢٥٥ شهدت ميزانية الدولة عجزاً في صرف مرتبات الجيش ويعود هذا في الأصل الىٰ اختلاسات الطغمة الحاكمة بقيادة زوجة المتوكل التي تعد الحاكم

---

(١) المصدر السابق.

الفعلي للبلاد يعاونها كما ذكرنا مجموعة من الاداريين الغامضين مثل ابن اسرائيل وأبي نوح عيسى بن ابراهيم الذي ظل مصرّاً على نصرانيته .

في جمادى الآخرة سنة ٢٥٥هـ قام صالح بن وصيف بعملية انقلابية وسيطرت قواته علىٰ قصر الخليفة المعتز الذي نقل الىٰ مكان مجهول فيما فرض الحصار الشديد علىٰ قصر والدته الثرية جدّاً[١] .

وعقد صالح بن وصيف تحالفاً مع ضابط تركي قوي هو «بايكباك» وفي تلك الفترة انتشرت في أوساط الشيعة شائعات قوية عن نيّة السلطات في اصطحاب الامام الحسن الىٰ الكوفة واغتياله في الطريق .

سنحاول متابعة تفاصيل هامّة منذ يوم ٢٦ رجب ٢٥٥هـ، فقد انفجرت أزمة خطيرة هددت حكومة المعتز بسبب العجز والتسويف في دفع مرتبات قطعات من الجيش واستنجد المعتز بوالدته التي امتنعت من دفع مبلغ ٥٠/٠٠٠ دينار وتذرّعت بأنها لا تملك هذا المبلغ ، وتعللت بأن أموال الدولة لم تصل بعد من الاقاليم ، لكنها في الحقيقة كانت قد ارسلت رسالة مستعجلة الىٰ موسى بن بغا في وقف العمليات الحربية في ايران والعودة بأقصىٰ سرعة لمعالجة الوضع الخطير المتفجّر في سامراء[٢] .

وقبل أن يصل موسى بن بغا كان الوضع قد تدهور والقي القبض علىٰ المعتز وتعرّض للتعذيب والاهانة ثم وقع وثيقة التنازل عن الخلافة باكياً .

وتم تنظيم المحضر باشراف رئيس سلطة القضاء ابن أبي الشوارب . .

وتضمنت الوثيقة تعهداً من الضباط الاتراك بالحفاظ علىٰ حياته وحياة والدته وشقيقته .

---

(١) بالرغم مما أورده التاريخ من مبررات ولكن السبب الرئيس يعود الىٰ هواجس الضباط الاتراك من اجراءات انتقامية قد تقوم بها زوجة المتوكل من الذين اشتركوا في عملية اغتيال زوجها، ولعل اعتراف ابن مخلد بوجود خطة لاغتيال «صالح بن وصيف» يعزز ذلك.

(٢) الطبري: ٥٢٦/٧ حوادث سنة ٢٥٥هـ

وضرب الحصار علىٰ قصر «قبيحة» ورابطت قوة من الجنود الاتراك علىٰ بوابات القصر.

واعلن في الثاني من شعبان عن وفاة الخليفة المخلوع وقبل الاعلان كان قد تم تسمية محمد بن الواثق خليفة.

وعندما صدرت الأوامر باقتحام قصر قبيحة لمصادرة ممتلكاتها فوجىء الجميع باختفائها وفرارها عبر نفق.

وهكذا اختفت عن الأنظار، فانتشر رجال الشرطة للبحث عنها كما رصدت جوائز مغرية لمن يدلّ عليها أو يقدّم معلومات تفيد في القبض عليها، وأُنذر الذين يساعدونها في الاختباء بأقسىٰ العقوبات.

علىٰ أن الشبهات كانت تحوم حول منزل تقطنه احدىٰ زوجات القائد العسكري موسى بن بغا فوضع المنزل تحت المراقبة، ولكن القائد وصيف كان يتهيب اقتحام المنزل خوفاً من خطوة انتقامية يقوم بها القائد موسى بن بغا الذي قد يصل سامراء بين لحظة وأخرىٰ.

وانفجرت أزمة الجيش مرّة أخرىٰ بسبب عجز صالح بن وصيف عن دفع مرتبات الجنود، ولذا أقدم القائد العسكري الذي يحكم البلاد بقوّة بتعريض ابن اسرائيل وأبي نوح وابن مخلد للتعذيب فانهار الأخير واعترف بوجود خطة لاغتيال صالح بن وصيف باشراف قبيحة وابن اسرائيل وأبي نوح (عيسى بن ابراهيم) وشاء القدر أن يتقدم أحدهم ليدلي بمعلومات حول وجود كنوز سرّية تعود لقبيحة فعثر عليها ووجدت أموال أسطورية دفعت صالح بن وصيف للتصريح قائلاً:

ـ قبّح الله قبيحة عرّضت ابنها للقتل في خمسين الف دينار وعندها هذه الأموال في خزانة واحدة من خزائنها![1]

---

(١) الطبري: ٥٢٩/٧.

وتم تنفيذ حكم الاعدام بحق ابن اسرائيل وأبي نوح فيما قرّرت قبيحة الظـهور وارسلت من مخبئها وسيطاً للتفاوض مع صالح بن وصيف .

ونسجّل هنا عدّة حوادث منها اندلاع ثورة الزنج في أهـوار العـراق واقـتحام مدينة البصرة ، وتقدّم قوّات الصفّار باتجاه العراق ، واستمرار الاشباكات مع قوات الحسن بن زيد العلوي الذي أسس دولة طبرستان في الشمال الايراني .

وقام الخليفة المهتدي (محمد بن الواثق) باجراءات لكسب التأييد الشعبي مـنها ترحيل المطربين والمطربات الىٰ بغداد واعـدام بـعضهن . وطـرد الكـلاب وتـعطيل الملاهي ، كما ترأس بنفسه محـكمة الاستئناف وقد بـرّر كـل ذلك بـانه غـيرة عـلىٰ العباسيين لأنه لا يوجد بينهم من يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز[1] .

ولا ننسىٰ أيضاً انه باشرافه وبمباركته صودرت كل ممتلكات قـبيحة وابـنائها والمقرّبين منها وتم ترحيلها الىٰ مكّة وقد سجل الطبري صرخاتها الهستيرية وهـي تودّع سامراء دون رجعة :

ـ اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري وقتل ولدي وبدّد شملي وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني[2] .

والىٰ جانب هذه الاجراءات قام المهتدي بخطوات احترازية لتثبيت حكمه منها ابعاد بعض الشخصيات العباسية في طليعتها طلحة بن المتوكل الذي اكـتسب لقب «الموفق» منذ احتلال بغداد في الحرب الاهلية سنة ٢٥٢هـ.

كما قام باعتقال الامام الحسن وزجّه في سجن خاص مع تأكـيدات بمـعاملته معاملة قاسية ، وقد سلّم صالح بن وصيف الامام الىٰ علي بـن أوتـامش المـعروف بفظاظته وقسوته وعدائه للعلويين .

---

(١) تاريخ العباسيين لابن وادران: ٦٤٣.
(٢) الطبري: ٥٢٩/٧.

وقد تعرّض صالح بن وصيف الىٰ الانتقاد بعد أن وصلت القصر تقارير حول معاملة طيبة للامام فقال القائد التركي :

ـ وماذا تريدوني أفعل لقد سلّمته الىٰ رجل ليست في قلبه رحمة ، ولكـن ابـن أوتامش لا يرفع الآن رأسه اجلالاً له[1] .

فى ذى القعدة ساد التوتر سامراء بعد انباء عن اجتياز موسى بن بغا وقـواتـه مرتفعات همدان في طريقه الىٰ سامراء .

وتزامن ذلك مع توقيف ابن أبي الشوارب رئيس سلطة القضاء بتهمة الفساد[2] .

ومع ان مدونات الامامية تذكر تاريخ ١٥ شعبان ٢٥٥ هجرية كاحدىٰ التواريخ التي ولد فيها المهدي عليه السلام لكن الدارس لتلك الحقبة العاصفة يستبعد ذلك لأن الامام كان معتقلاً وقد نقل عنه حديثه مع أحد السجناء .

فقد سأل الامام السجين :

ـ هل رزقت ولداً ؟

ـ لا

ـ اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد .

ثم تمثّل بقول الشاعر :

من كـان ذا ولد يـدرك ظـلامته ان الذليل الذي ليست له عـضد

ويسأل السجين الامام :

ـ ألك ولد

ـ اي والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً ، فأما الآن فلا .

ويبدو أن الامام قد اعتقل سنتين ولم توجه له اتهامات واضـحة كـما وجـهت

---

(١) اصول الكافي: ٥٠٨/١.

(٢) الطبري: ٥٦٧/٧.

لوالده الراحل.

ومن المؤكد ان اخبار المهدي الذي سيولد قد انتشرت وافرزت هواجس للمؤسسة الحاكمة.

ونرىٰ أن المهتدي يطلق تهديدات تتوعد الشيعة بالفناء[1].

وقد تعرّضت مدينة قم وهي مركز شيعي ناشط لحملة اضطهاد دفعت بأهلها الىٰ ارسال صيحات استغاثة للامام[2].

ومن الاضاءات المفيدة أيضاً أن نذكر وصول قوات موسى بن بغا سامراء وتقدمها لاحتلال قصور الخلافة قد زاد من ارباك الاوضاع، ولا ننسى ان قوات الصفار ما تزال تواصل تقدّمها وأن ثورة الزنوج باتت تشكل تهديداً خطيراً بسبب سرعة انتشار لهيب الثورة سيّما وأن قائدها أراد أن يضفي علىٰ نفسه المزيد من البريق بادّعائه الانتساب الىٰ أهل البيت، اضافة الىٰ الهزائم التي لحقت بالدولة في صراعها مع الروم، وسنرىٰ أن مؤسسة الحكم تحرص علىٰ استصدار تصريح من الامام لتكذيب هذا الادّعاء.

وفي يوم عاشوراء من سنة ٢٥٦هـ كانت سامراء اشبه بمدينة محتلّة في قبضة قوات موسىٰ بن بغا فيما فضل صالح بن وصيف الاختفاء عن الانظار.

وليس من باب الاعتباط أن يؤثر عن الامام الحسن عليه السلام حرز تعكس كلماته خطورة الأوضاع التي عاشها الامام ونجد فيه ما يدفعنا الىٰ التوقف مثل قوله:

ـ «احتجبت بحجاب الله النور الذي احتجب به عن العيون...
واحتطت علىٰ نفسي وأهلي وولدي..»[3].

---

(١) و (٢) حياة الامام الحسن العسكري دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي: ٢٥٢.
(٣) مهج الدعوات: ٤٤.

ولادة الامام المهدي لماذا ١٥ شعبان ٢٥٦هـ؟

روايات كثيرة ذكرت سنة ٢٥٥هـ باعتبارها العام الذي ولد فيه الامام المهدي لكن الذي يتأمل تلك الفترة كما قلنا سوف يركن الىٰ تاريخ ١٥ شعبان سنة ٢٥٦هـ، واضافة الىٰ ما ذكرنا من أن الامام كان في سنة ٢٥٥هـ معتقلاً وقد ورد عنه قوله أن سيكون له ولد فيما بعد فأننا نرى الامام سوف يفرج عنه بعد مصرع المهتدي وبقاء البلاد دون تسمية خليفة جديد.

وهناك رواية تشير الىٰ أن الامام قد تنبأ بمصير المهتدي الأسود بعد اطلاقه التهديدات بشأن الشيعة[1].

ومسلسل الأحداث التي أدت الىٰ مصرع المهتدي يبدأ بمحاولة الخليفة التصدي للأتراك وضربهم معتمداً علىٰ مساندة قوات مؤلفة من قطعات من الاتراك والمغاربة ومعوّلاً علىٰ الاسناد الشعبي ولكن مع انفجار الوضع انحاز الاتراك الذين في جبهته الىٰ اخوانهم وفرّ المهتدي وتخلّىٰ عنه الجميع.

وقد سجّل الطبري صيحاته وهو يدور في شوارع سامراء وأزقتها:

ـ يا معشر الناس! أنا أمير المؤمنين.. قاتلوا عن خليفتكم ولم يكترث له أحد.

واتجه الىٰ السجن وأمر باطلاق السجناء متوقعاً عونهم ولكنهم فضلوا الفرار واختفوا في الازقة القريبة وقد حصل ذلك في ١٣ رجب ٢٥٦هـ، والقي القبض علىٰ الخليفة الهارب في نفس اليوم.

وفي يوم ١٦ رجب أعلن عن تنصيب الخليفة الجديد الذي اطلق سراحه من السجن ومنح لقب «المعتمد».

وفي ١٨ رجب اعلن عن وفاة الخليفة المهتدي وأن الوفاة كانت طبيعية!!

ويبدو أن الضباط الاتراك كانوا ميالين الىٰ تنصيب طلحة بن المتوكل «الموفق»

---

(١) المصدر السابق: ٢٧٤.

ولكنه كان في منفاه في مكّة فاستعاضوا عنه باخيه المعتمد رغبة في حسم الوضع القلق واعادة الأمن الىٰ البلاد التي ما تزال تعصف بها انباء الهزائم في الجبهة الشمالية مع الروم وزحف جيوش الصفار وانباء ثورة الزنج المقلقة .

وسوف نرىٰ أن المعتمد سيكون الىٰ حدّ ما خليفة بالاسم وأن الخليفة الفعلي الحاكم للبلاد أخوه «الموفق» القائد العام للجيوش العباسية والحاكم العسكري .

وفي ٢ شعبان ٢٥٦هـ تم تنصيب «عبيدالله بن يحيى بن خاقان» رئيساً للوزراء[١] وهو شخصية ادارية استطاع أن يعيد الىٰ سامراء قدراً من الهدوء .

وعبيد الله بن يحيى سياسي قديم كان وزيراً متنفذاً في بلاط المتوكل وقد شهد مصرع الأخير ولم ينس بطبيعة الحال تلك الفترة العاصفة في سقوط الطاغية ونبوءة الامام الهادي المشهورة ، ولذا رتّب علاقة طيبة مع نجله الامام الحسن الذي سجل له التاريخ نبوءة مشابهة بشأن المهتدي .

ولذا اكتفىٰ القصر بمراقبة الامام والزامه بالحضور الىٰ القصر مرّتين في الاسبوع في يومي الاثنين والخميس[٢] .

وفي مثل هذه الظروف ستكون ولادة الامام المهدي في منتصف شعبان ٢٥٦هـ تموز عام ٨٧٠م وقتاً مثالياً جداً .

مشهد الولادة كما تصوّره السيدة حكيمة:

شمس غروب تموز[٣] تقرض المنازل بغلالة ذهبية وكانت نسائم نديّة تهبّ من ناحية دجلة ، وقد بدت المئذنة الملوّية تستعد لرفع الأذان .

انفتح باب منزل الامام ليخرج خادم أسود تفوح منه رائحة المسك آخذاً سمته

---

(١) الطبري: ٥٩٧/٧.

(٢) تاريخ الغيبة: ٢٢٣.

(٣) وقعت حوادث هذا الفصل في تموز سنة ٨٧٠م شعبان سنة ٢٥٦هـ

الى منزل قريب هو منزل المرأة الصالحة حكيمة بنت الجواد عمّة الامام الحسن التي ما انفكّت تتفقّد ابن اخيها وتزور زوجته الطيبة «نرجس» تلك الفتاة التي امضت شهوراً طويلة في منزلها قبل ان تنتقل الى منزل أخيها .

طرق كافور الخادم الباب على عمة الامام قائلاً :

ـ ان سيدي يقول : اجعلي افطارك الليلة عندنا !

خفق قلب السيّدة لهذه الدعوة ، وشعرت أن أمراً مهمّاً يكمن وراء ذلك .

عندما غطست الشمس في بحيرة المغيب كانت السيدة حكيمة تلج منزل ابن أخيها . . . المنزل تفوح فيه روائح ورود ربيعية . .

استغرقتها حالة فرح عندما استذكرت انها ليلة جمعة حيث تحلو أحاديث السمر في سماء صيفية تزخر بالنجوم .

منذ أيام وهي لم تسعد برؤية فتاتها الطاهرة نرجس .

استقبل الامام عمّته بابتسامة أضاءت وجهه الاسمر ، وهي ايضاً فرحت بلقاء ابن أخيها . . ولكنها سرعان ما شعرت بالألم لمنظر الشيب في ذقنه رغم أنه لم يبلغ الخامسة والعشرين من ربيع العمر !

نظرت في عينيه وقد تألق فيهما نور سماوي كانت تريد استكشاف ما وراء هذه الدعوة في هذا الوقت !

قال الذي عنده علم الكتاب :

ـ إنها ليلة النصف من شعبان . .

وأردف وهو ينظر الى السماء .

ـ وان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة حجّته في الأرض . .

والتفت اليها قائلاً بصوت فيه أصداء النبوءات البعيدة :

ـ سيولد في هذه الليلة المولود الكريم على الله عز وجل . . الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها .

كانت حكيمة تتوقع ذلك منذ أمد ولكن التوقيت أدهشها لأنهـا كانت تـتفقد جواريه فلعل «نسيم» أو «ماريا» قد حملت منه . . وعهدها بنرجس قبل ايام قالت بلهجة فيها تساؤل مشوب بدهشة :

ـ ومن أمّه ؟ !

ـ نرجس

ـ نرجس ؟ ! فداك يا بن أخي ما بها من أثر .

قال الذي مسّته السماء بالطهر :

ـ هو ما أقول لك !

وجاءت نرجس تستقبل المرأة التي علمتها كلمة الاسلام :

ـ يا سيدتي وسيّدة أهلي كيف أمسيت ؟

عندما وقعت عينا حكيمة على «نرجس» خفّت اليها وعانقتها قائلة !

ـ بل أنتِ سيدتي وسيّدة أهلي !

غمرت الدهشة وجه نرجس البريئ :

ـ ما هذا يا عمّة ؟ !

وانحنت لتخلع خفّي المرأة الصالحة التي تشعر قربها بالسكينة :

ـ ناوليني خفّك يا سيدتي ؟ !

قالت السيدة حكيمة وقد أشرقت الفرحة في عينيها :

ـ بل أنت سيدتي ومولاتي . . والله لا أدفع خفّي لتخلعيه ، ولا لتخدميني . . بل أنا أخدمك على بصري !

ارتسمت في عيني نرجس النجلاوين علامات سؤال كبرى ، ورمقت بـاجلال زوجها العظيم الذي ابتسم قائلاً :

ـ جزاك الله ياعمّة خيراً !

وقادت السيّدة حكيمة نرجس الى الحصير وقد غادر ابن اخيها المكان . . قالت وهي تقبل على الفتاة بفرح :

ـ يا بنيّة انّ الله سيهبُ لك في هذه الليلة غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة .
وأطرقت نرجس وقد توزّدت وجناتها بوهج الحياء .

القمر يتألق في سماء بهية مغمورة بنور شفيف ، وكانت السيدة حكيمة قد تناولت افطارها بعد أداء فريضة العشاء وأخذت مضجعها تسبح الله وتحمده . . وبقربها رقدت السيدة نرجس . . أمّا الامام فقد أخذ مضجعه فوق صفّة في فناء البيت . .

عيناه تسافران عبر المديات البعيدة حيث تومض النجوم في سامراء غارقة في هدأة الليل والمنارة الملوّية تبعث ضوءاً خابياً يرشد القوافل المسافرة . .

البدر ما يزال بهياً في الهزيع الأخير من الليل ، وقد كفّت الذئاب البعيدة عن العواء .

استقيظت السيدة حكيمة كعادتها في مثل هذا الوقت لأداء صلاة الليل . . ونهضت تسبغ وضوءها . . ألقت نظرة على نرجس كانت تغفو بسلام . . أنفاسها منتظمة ووجهها الملائكي يعكس ما تزخر به أعماقها من طهر ونقاء . .

كان الامام قد استيقظ وأسبغ وضوءه لرحلة الليل يرافق القمر والنجوم . . قلبه يطوف السماوات البعيدة . . لم يكن الامام ذاق من النوم سوى لحظات . . وكيف له أن ينام وهو يترقب ميلاد البشارة . . بشارة الرسالات القديمة . .

في هذه الليلة المباركة سيولد شبيه موسى بن عمران وعيسى بن مريم . .

أدّت السيدة حكيمة وردها في غمره الليل . . وعندما جلست تسبّح لله . . هبّت نرجس من رقادها تغمرها حالة من ذعر وترقب . .

غادرت الحجرة تسبغ الوضوء لصلاة الليل . .

كانت السيدة حكيمة تراقبها طوال الوقت ولم يكن يبدو عليها أي من آثار الحمل . .

الفتاة الطاهرة مستغرقة في العبادة وشلاّل من الصلاة يتدفق في جنبات المكان . . وقد غمرت الفضاء أنفاس السحر النديّة . .

لحظات السحر الأخيرة . . لحظات لا تنتمي لليل ولا للنهار . .

الفجر الأول على وشك الانفلاق . . وقد نفد صبر العـمّة المـؤمنة . . خـرجت لتنظر الى السماء وقد تداخلها شك في وعد الإمام . . هتف الامام من مصلاّه في فناء البيت وقد اشتد سطوع النجوم :

ـ لا تعجلي يا عمّة . . فانّ الأمر قد قَرُب ! !

وفيما هي تهمّ بالعودة ناداها الأمام :

ـ لا تشكّي . .

شعرت المرأة بالخجل من طبيعة مشاعرها وهي المرأة التي نشأت في دفء أهل البيت . .

وفي باب الحجرة وقعت عيناها على نرجس مذعورة خاطبتها العمّة بلهفة :

ـ هل تحسّين شيئاً يا ابنتي ؟

ـ نعم يا عمّة ! اني أجد أمراً شديداً .

قالت حكيمة وهي تهدّي من روعها :

ـ اسم الله عليك . . اجمعي نفسك . . . واجمعي قلبك . . فهو ما قلت لك . .

ـ أنا خائفة يا عمّة ! !

ـ لا خوف عليك يا ابنتي .

وقادت السيدة حكيمة الفتاة الطاهرة سليلة مريم البتول الى وسط الحجرة .

والقت لها وسادة واجلستها برفق استعداداً للحظة الميلاد الموعودة . .

كانت السيدة حكيمة في حال يرثى لها ، وعرق جبينها بسبب ما تبذله من جهد للسيطرة على مشاعرها التي راحت تضطرم في أعماقها . .

ان لحظات الميلاد تقترب سوف يأتي الى الدنيا الصبي الذي بشّرت به الأنبياء . .

أمسكت نرجس بيد العمّة الطيبة وراحت تعصرها عصراً شديداً.. إنها لحظات المخاض الكبير..

انطلقت أنّة تجسّد كل آلام الميلاد... الفضاء يغمره جوّ غريب لم تألفه من قبل أنها تكاد تحس خفق أجنحة الملائكة..

وخيّل اليها أنها تسمع همهمة تشبه تلاوة لآيات القرآن..

السيدة حكيمة تكاد تفقد توازنها.. وسمعت الامام يناديها من وراء الحجرة:

ـ اقرأي عليها سورة الدخان

وراحت السيدة حكيمة تتلو آيات الدخان:

ـ بسم الله الرحمن الرحيم

حاء، ميم... والكتاب المبين.. انا انزلناه في ليلة مباركة.. إنّا كنا منزلين.. فيها يفرق كل أمر حكيم...

غمر فضاء الغرفة جوّ عجيب.. وكانت نرجس تطلق أنّات الميلاد وتعصر بشدّة كفّ السيدة الطيبة... فجأة انبثق نور بهر عيني السيّدة ولم تَعُد ترى ما حولها.. فكأن نرجس نفسها قد اختفت..

دقّ قلبها خوفاً.. وهبّت صوب باب الحجرة تستنجد بابن اخيها..

كان الامام على مقربة من الباب فنادى عمّته:

ـ ارجعي يا عمّة.. انك ستجدينها في مكانها..

كان وجه نرجس يسطع نوراً سماوياً.. وبدت وكأنها مريم ابنة عمران وقد جاءها المخاض عند جذع النخلة..

ورأت الصبي متلقياً الأرض بهيئة السجود..

كان نظيفاً.. طاهراً ليست فيه آثار الميلاد..

كلؤلؤة تشعّ على شاطىء بحر.. أو كقطرة ندى تتألق فوق زهرة في أول فجر...

وكان الأب ينظر الى السماوات وقد بدت النجوم قلوباً تنبض بالأمل . .

الصبي القادم من رحم البشارات يحمل ملامح النبوات الغابرة . . يحمل من موسى بن عمران قلق الفرعون ، وكان يبحث عنه جنيناً . . ويحمل من المسيح عيسى بن مريم كلماته في المهد صبياً . . . ويحمل من نوح عمره الطويل ومن ابراهيم فأسه التي هشم بها وجوه الآلهة المزيّفة ومن محمد الأمين اسمه وكنيته ورسالته . . .

اخذت حكيمة الصبي الطاهر بكتفيه وضمته الى صدرها وأجلسته في حضنها . . وناداها الأب بلهفة من يريد رؤية الوليد المبارك :

ـ هلمّي اليّ بابني ياعمّة .

وحملته السيدة حكيمة وقد غمرتها حالة من الخشوع لكلمة الله ووعده الصادق .

أخذ الأب ابنه وأجلسه على راحته اليسرى وجعل راحته اليمنى على ظهره وراح يشمّ ابنه الطاهر في عينيه وأذنيه وفمه وهمس بصوت فيه ترجيعة لأصوات الرسل :

ـ تكلم يا بني ! انطق بقدرة الله !

تكلم يا حجة الله ! وبقية الانبياء . . وخاتم الاوصياء ! !

تكلّم يا خليفة الاتقياء !

وحدثت المعجزة : وتدفق صوت ملائكي من الصبي الذي تلا آية تجسد أهداف السماء وطريق الانبياء .

ـ بسم الله الله الرحمن الرحيم . . «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . .

ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» .

وغمرت الدموع عين الأب لقد تحقق وعد الله . . ان الله لا يخلف الميعاد . .

وانفلق الفجر.. وارتفع الأذان من مآذن سامراء، وقال الأب لعمّته التي طفح على وجهها الفرح الأكبر.

ـ يا عمّة ردّيه الى امّه كي تقرّ عينها، ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1].

كلمات الأذان ما تزال تنساب في لحظات الفجر النديّة..

وضعت السيدة حكيمة الصبي الطاهر في احضان والدته التقية وغادرت المكان.

كانت الفرحة تتألق في عينيها بالرغم من مسحة الحزن.. فهذا الصبي يجب أن يبقى ميلاده سرّاً!!

وغمرت الأم ابنها بنظرات تزخر بالرحمة والحنان.. يا ولدي الحبيب.. كيف تعيش بين أناس يبحثون عنك ليقتلوك؟!

الصبي نائم تتألق فوق وجهه هالة من أنوار النبوّات الغابرة وبشائر الرسالات القديمة...

أنفاسه الهادئة فيها أنغام الزبور.. تراتيل التوراة.. بشارة الإنجيل وآيات القرآن العظيم..

لقد سمعت من زوجها النبيل أنها ستنجب صبياً يملأ الأرض بالعدالة والحقيقة..

وتوهّجت في أعماقها كلمات مقدسة كانت قد حفظتها وهي تتردد على الكنيسة:

ـ «وأما اسماعيل فقد سمعتُ قولك فيه، وها أنذا أباركه وانمّيه وأكثّر عدده جداً جداً ويلد اثني عشر رئيساً واجعله امّة عظيمة»[2].

هاهي تنجب الامام الثاني عشر.. خاتم الاوصياء.. والانسان الذي يحقق أحلام الانبياء.

---

(١) الغيبة الصغرىٰ: ٢٦١ ـ ٢٦٨.

(٢) سفر التكوين: ٢٠/١٧ بالاستناد الىٰ «الكتاب المقدس تحت المجهر»، عودة مهاوش الاردني: ١٥٢.

قبل ان تغيب نجمة الصبح كان الامام قد طلب من عمّته ومن زوجته أن يبقىٰ ميلاد الصبي سرّاً مكتوماً عن الجميع .

رواية السيدة حكيمة صورة أخرىٰ تؤكد عظمة هذا الطفل الموعود فقد تضمنت أبعاداً تذكر بالنبي موسىٰ بن عمران عليه السلام وبالسيد المسيح عليه السلام .

ولدىٰ متابعة بعض التفاصيل في حياة الامام الحسن العسكري نجده قد انتهج اسلوباً في غاية الحذر في الاعلان عن ولادة الطفل الموعود والامام الأخير الذي يملأ الأرض بالعدالة والدفء .

ومن المفارقات في الدراسات الحديثة أن نجد بعض دارسي التاريخ ينطلقون في التشكيك من خلال حادثة أو حادثتين يمكن تفسيرهما في الظروف التي اكتنفتها تفسيراً ينسجم مع الخط العام والاعتقاد السائد لا في مصادرة تاريخ مضطهد كتب في ظروف حرجة جداً فيما نرىٰ المستشرقين يدركون ذلك ويتعاملون مع تراث الامامية التاريخي في حالة من الاحترام الكامل[1] .

وهذا تذكير بما ورد في مقدمة البحث في أن بحث هذه المسألة بأدوات وظروف مختبرية لن يكتسب صفته العلمية والموضوعية أبداً وأن مسألة حساسة يجب أن تدرس في ظروفها بل أن مسألة دراسة الظروف العامّة اصبحت من شروط الدراسة التاريخية لأية فكرة .

وسنرىٰ كم هو سطحي من يريد التشكيك بولادة الامام المهدي من خلال ما سجّله التاريخ من حيرة الشيعة عقب وفاة الامام الحسن وتهنئة البعض لجعفر الكذاب بالامامة .

ولا نريد أن نستبق ذلك وسنتابع بعض الاجراءات التي قام بها الامام الحسن في الكشف الحذر عن وجود ابنه المنتظر وولادته ، واختبار احدىٰ طرق اختبائه .

---

(١) راجع «سامراء في المراجع الغربية / موسوعة العتبات المقدسة كتاب سامراء.

هناك ظاهرة في حياة الامام الهادي وهي انحسار لقاءاته المباشرة بالناس ونجد ما برر ذلك في أن قدوم الامام الهادي لم يكن بإرادته وقد عرف عن الائمة جميعاً عشقهم العميق لمدينة جدّهمﷺ ، وسنجد ان هذه الظاهرة ستشتد في حياة الامام الحسن العسكري بسبب بعض الظروف ، منها تفاقم خطر دولة طبرستان العلوية وتعاظم خطر ثورة الزنج التي ادّعىٰ زعيمها نسباً علوياً أيضاً ، نضيف الىٰ ذلك أيضاً انتشار أحاديث حول ظهور المهدي وهذه مسألة استثمرها بعض المعارضين للنظام العباسي بل أنها أدّت الىٰ نشوء دولة المهدية في المغرب فيما بعد .

اننا نفتتح الاشارة الىٰ حساسية الوضع من خلال رواية تذكر خروج موكب الامام مع موكب الخليفة في مراسم توديع «الموفق» قائد الجيوش العباسية التي تقرر زحفها باتجاه جنوب العراق لاخماد ثورة الزنج .

وقد انتابت أحد الشيعة رغبة عارمة في أن يهتف :

ـ «أيها الناس ! هذا حجة الله فاعرفوه» .

ولكن الامام الحسن يشير اليه أن يسكت وهمس وقد مرّ قريباً منه :

ـ أما أنك لو أذعت لهلكت . . انما هو الكتمان أو القتل فأبقوا علىٰ أنفسكم[1] .

ولعل ما يدعو الىٰ التأمل أن الامام الحسن يأمر ذات يوم رجلاً يعمل في الدار وهو ظريف الخادم أن يدخل حجرة فيرىٰ ظريف لدىٰ دخوله صبياً مستغرقاً في الصلاة ، ويخبر الامام بما رأىٰ ثم يأمره الامام مرّة أخرىٰ أن يعود لينظر الصبي ، وفوجيء ظريف بالحجرة خالية ! أليس في هذا الإجراء اختبار لطريقة من طرق اختفاء الصبي ؟

ألا يحتمل وجود نفق أو ممر سرّي في الحجرة يؤدي الىٰ مخبأ ما كالسرداب وغيره وربما يؤدي الىٰ خارج الدار ؟

---

(١) اثبات الوصية: ٢٥١.

ونحن ما نزال نتذكر الطريقة التي فرّت فيها زوجة المتوكل واختفت عن الانظار منذ شهر رجب وحتىٰ منتصف رمضان عندما قررت هي الظـهور والتـفاوض مـع الضابط التركي صالح بن وصيف .

فكيف بالامام الهادي الذي اشترىٰ قصراً فخماً من قصور سامراء واصبح ملكاً للامام ونجله منذ سنة ٢٣٤هـ وبين هذا العام وحتى عام ٢٥٦ اكثر من عشرين سنة كافية لاستحداث ممـرّات وأنفاق سرّية داخل القصر الكبير بل اننا لا نجـد مـبرّراً للامام الهادي في شراء مثل هذا القصر وقد عرف عنه زهده في حطام الدنيا .

ونحن لا ندّعي ان فخامة المنزل ووجود قناة جوفية وسرداب أدلّة كافية ولكنها قرائن تعزز من أخبار ولادة الامام المهدي في مقابل غياب أدلّة النقض باستثناء اثارة غبار الشكوك في ما سجله التاريخ من حيرة الشيعة وهي مدوّنات اشارت ضمناً الىٰ بروز تيار يوقن بولادته وأن خفيت بسبب الظروف الخطيرة .

وتذكر المدونات الشيعية أن الامام الحسن كشف لبعض اصحابه ممن يثق بهم هويّة الطفل المـوعود وعرّفهم به ونوّه بظاهرة الغيبة الطويلة التي قد تـربك تـفكير الكثيرين من الشيعة ، وقد بحث الشهيد صادق الصـدر في مـوسوعته عـن الامـام المهدي ذلك مفصلاً ولا نريد الاسترسال في هذا الموضوع .

ونسجل هنا خبراً ورد في اثبات الوصية حول ارسال الطـفل مـع جـدّته الىٰ الحجاز في موسم الحج إذ طلب الامام الحسن من والدته اصطحاب الصبي وكان ذلك في سنة ٢٥٨هـ وسنجد أن الامام الحسن سوف يعتقل خلال تلك الفترة مـع أخـيه جعفر ويزجان في سجن خاص فيه شخصيات في طليعتها أبو هاشم الجعفري وهو شخصية لها وزنها وكان معتقلاً بأوامر شخصية من المعتز وقد مرّ عليه في الاعتقال سبع سنوات .

والطبري ذكر ظروف اعتقاله وارساله مخفوراً من بغداد الىٰ سامراء .

ويورد المسعودي وصول القافلة منطقة هي إحدىٰ محطات القوافـل الرئـيسية

ذكرها الطبري باسم «القرعاء» وهناك يسمع قادة القوافل بأنباء الجفاف واحتمالات الظمأ وتعرّض القوافل الىٰ غارات قطاع الطرق واللصوص وأن معظم القوافل عادت .

أما المسعودي فيذكر اصرار الجدّة وحفيدها والوكيل المرافق لها علىٰ الحج ومعهم بعض الحجيج ووصول القافلة بسلام .

والتطابق بين الرواية التي يوردها المسعودي وأخبار الطبري تجعلنا نزن الأمور بمكيال واحد فالرواية الرسمية التي ذكرت عودة قوافل الحج بسبب الاخطار المحتملة التي ذكرها المسعودي مضيفاً اليها وجود والدة الامام الحسن ومعها الصبي .

كما أن اعتقال الامام الحسن حدث بعد ذلك بفترة وجيزة يجعلنا نتفهم طلبه من والدته اصطحاب الصبي الىٰ الحجاز .

ومسألة الاعتقال لا يمكن تفهمها إلّا في ضوء انتشار أخبار ظهور المهدي سيما وأن أحد القاب الامام الحسن العسكري هو «الصامت» ، فلم يعهد عن الامام أي شكل من أشكال التحرك السياسي الذي يثير مخاوف السلطة ، فإذا اضفنا الىٰ ذلك تصريحات الخليفة حول جعفر : «أني قد حبسته بجنايته علىٰ نفسه وعليك وما يتكلّم به» فقد تتكون لدينا صورة واضحة الملامح حول مخاوف السلطات .

حياة الامام الحسن.. أشعة الغروب:

من المفيد أيضاً أن نرسم مشهد الليلة الأخيرة من حياة الامام الحسن عليه السلام في ضوء ما أوردته المدوّنات الشيعية :

لا أحد يدري ما الذي حصل فجأة !! وفيما كانت شمس الخريف تقرض منازل سامراء بأنوارها الباهتة .. شعر الامام بحالة من الضعف الشديد والنحول اضطرته الىٰ ملازمة الفراش ..

وبطريقة تدعو الىٰ التساؤل والدهشة وصل النبأ الىٰ مسامع رئيس الوزراء عبيدالله بن يحيى بن خاقان !!

هل كانت هناك محاولة لاغتيال الامام ؟!

ولماذا يبادر ابن خاقان للاجتماع بالخليفة شخصياً ويطلب منه ارسال مجموعة من رجال القصر لملازمة منزل الامام ؟ واذا كان الهدف من ذلك تقديم الرعاية للامام فما هو المسوّغ في ارسال «حرير الخادم» سجّان الامام الذي سمعت تهديداته للامام ذات يوم وهو يقول : «والله لأرمينّه للسباع»[1] !

هل هناك أسرار وراء ما يجري ؟ هل وصلت البلاط تقارير حول وجود صبي أُحيطت ولادته بالكتمان ؟ وهل ولد المهدي حقّا ؟

ماهي بالضبط مهمّة موظفي القصر ؟! لقد أصبح منزل الامام مشحوناً بالخطر . . ولماذا تتخذ الحكومة مثل هذا الاجراء تراقب وفاة الامام ومن أين لها علم بإنَّ الامام علىٰ حافّة الموت وهو ما يزال في ريعان الشباب ولم يبلغ الثلاثين بعد ؟!. .

مرّت ثلاثة أيام من ربيع الأول وقد انتكست حالة الامام الصحية ، فأصدر رئيس الوزراء أمراً باحضار فريق من الأطّباء لاجراء فحوصات وتقييم حالة الإمام الصحية . .

أجرىٰ الأطباء فحوصاتهم وتبادلوا نظرات ذات معنى[2] ! لقد دُسّ اليه السم ما في ذلك من شك ! وليس هناك من وسيلة للعلاج .

واستقرّ رأيهم علىٰ أن حالة الامام ميأوس منها . . وأنه يموت ومع ذلك فقد أصرّ رئيس الوزراء علىٰ بقائهم في منزل الامام !!

---

(١) اعلام الورىٰ: ٣٦٠، الارشاد: ٣٢٤، الغيبة الصغرىٰ: ٢٩٠.

(٢) الارشاد: ٣٨٣.

كما استدعىٰ ابن خاقان رئيس سلطة القضاء وطلب منه انتخاب عشرة رجال يعملون في سلك القضاء ، ومن ثم ارسالهم الىٰ منزل الامام !

وأصبح عدد موظفي الدولة خمسة عشر غير الأطباء !! ترىٰ ماذا يجري ؟ ! ماهو الهدف من وراء كل هذه الاجراءات العجيبة ؟ !

هل هناك محاولات للكشف عن وجود وريث للامام ؟ .. وهل هي محاولة للتنصل من مسؤولية اغتيال الامام ؟ أو مواجهة الشائعات التي قد تنتشر حول اسباب وفاة ابن الرضا وهو ما يزال شاباً ؟ ! لا أحد يدري !!

مشاعر خليطة من الحزن والقلق والتوتر تخيم علىٰ أجواء المنزل ، الذي بدا وكأنه قلعة يحاصرها الأعداء ..

وبالرغم من تردّي حالة الامام الصحية إلّا أنه كان في كامل وعيه وكانت شؤون المنزل تمضي حسب برنامج دقيق بإستثناء جعفر الذي بدأ يتصرّف وكأنه ربّ البيت والسيّد المطاع .

الزمن يمرّ متوتراً .. الإمام في حجرته راقد في فراش المرض زوجته السيدة نرجس في حجرة أخرىٰ .. ماريا ونسيم في حجرة مستقلة .. كافور وعقيد يعملان بصمت وحزن ترىٰ أين الصبي ؟ ! هل كان مختبئاً في مكان ما من السرداب ؟ !

هل كان في منزل السيدة حكيمة ؟ !

رجال القصر وموظفوه محشورون في الرواق المؤدي الىٰ غرفة الإمام وفي قبال ذلك حجرة السيدة نرجس ، أما السرداب فيوجد اسفل الغرفتين حيث يوجد باب صغير يؤدي الىٰ سلّم ومنه الىٰ السرداب ..

اليوم هو ٧ ربيع الأول ٢٦٠هـ ٣١ كانون الأول ٨٧٣م وسامراء مقبلة علىٰ ليل شتائي طويل[1] .

---

(١) يصادف ٨ ربيع الأول ٢٦٠هـ الأول من كانون الثاني ٨٧٤م / احداث التاريخ الاسلامي: ١٦٩/٢ .

تسرّبت أنباء مرض الامام الىٰ أوساط الناس وأصبح ذلك محوراً في أحاديث الشيعة . . وظهرت تساؤلات حول مستقبل الامامة وهوّية الامام الجديد !

وفي تلك الليلة الطويلة تمكن الامام من كتابة مجموعة من الرسائل الهامّة كجزء من خططه لابلاغ الأمّة وجود الامام الغائب الذي اضطرته الظروف الىٰ عدم الاعلان عن ولادته واخفائه عن أعين الجواسيس . .

كانت ظلمات الليل تشتد حلكة وقد خامر الموظفين في الرواق التعب والنعاس . . الليل البهيم يتجه الىٰ الفجر والنجوم تشتد سطوعاً في سماء اكتنفتها غيوم متناثرة . . وكان عقيد الخادم ينظر بأسىٰ الىٰ الشباب كيف يذوي كشمعة تخبو في قلب ليالي الزمهرير .

طلب الامام بصوت خافت من عقيد أن يحضر اناءً فيه ماء مغلي بالمستكي . . كان الامام يشعر ببرودة الموت تزحف الىٰ خلايا جسده التي فتك بها السم . .

جاءت السيّدة نرجس تحمل الاناء ، وقد غمرتها حالة من الفجيعة . . ان زوجها الطاهر علىٰ وشك الرحيل . . سوف ينهدّ عمود خيمتها وستعوي من حولها آلاف الذئاب . .

مدّ الشاب يداً ترتجف من برودة الموت الزاحف كليل الشتاء . . الليل في لحظات الرحيل والفجر علىٰ وشك الانفلاق . .

أراد أن يرتشف من الاناء ولكن ارتطم باسنانه وازداد ارتجاف يده . . قال بصوت واهن مخاطباً عقيداً :

ـ سوف تجده يصلّي في الحجرة . . ليأت اليّ .

وفي هذه اللحظة هبّت السيدة نرجس الىٰ الحجرة . . ان ابنها يصلّي فمكثت غير بعيد وجاءت به . . وفي غمرة لحظات السحر الأخير مرق الصبي الىٰ حجرة أبيه العظيم . .

جلس عنده وقد غمره حزن واحساس بالفجيعة يلوح في وجهه كسماء تكتنفها غيوم رمادية . .

دمعت عينا الأب من أجل ابنه .. من أجل كل المحن التي سيواجهها خلال الزمان المرير ... همس بحبّ :

ـ يا سيد أهل بيته أعطني شربة !

أخذ الصبي الطاهر الإناء وأدناه من فيه وارتشف الامام شربة منحته قليلاً من الدفء ..

قال الاب :

جهزني للصلاة !

أخذ الصبي منديلاً ونشره علىٰ صدر أبيه وراح يساعد والده علىٰ اسباغ الوضوء واستغرق الامام في الصلاة بعد أن يمم وجهه تلقاء المسجد الحرام والبيت العتيق ..

والتفت الىٰ ابنه وقد انفلق عمود الفجر الصادق .

ـ بني الحبيب ! أنت صاحب الزمان .. أنت المهدي الذي بشّر بك الرسول .. وأخبر بك اسمك اسمه وكنيتك كنيته .. وهذا هو عهد آبائي قد جاء ..

وفي تلك اللحظات النديّة بالدموع شعر الصبي بأنّ قلبه يضيء بنور قادم من قلب السماوات ..

سوف تواجهك المحن يابشارة الانبياء .. وسوف تطاردك رياح الزمهرير كفراشة جاءت تبشر بالدفء وبالربيع ... آه أيها الأمل القادم من رحم النبوّات الغابرة !!

كانت السيدة نرجس تبكي بصمت كسماء تمطر علىٰ هون .. زوجها يودّع الحياة ، وابنها الوحيد تبحث عنه ذئاب مجنونة .. وأصغت الىٰ كلمات زوجها يوصي ابنه وآخر الأئمة الاطهار :

ـ يا بني : إنّ الله جلّ ثناؤه لم يكن ليخلي أرضه ، وأهل الجدّ من طاعته وعبادته بلا حجة يستعلىٰ بها وإمام يؤتمّ به ، ويقتدىٰ بسبيل سنّته ومنهاج قصده ..

وأرجو يا بني ان تكون أحد من أعدّه الله لنشر الحق وطيّ الباطل، وإعلاء الدين، واطفاء الضلال.

وسكت لحظات ليقدّم الىٰ ولده الحبيب آخر نصائحه:

ـ فعليك يا بني بلزوم خوافي الأرض وتتبّع أقاصيها، فإن لكل وليّ من أولياء الله عدوّاً مقارعاً، وضدّا منازعاً.. فلا يوحشنّك ذلك[1]..

اسكن يا بنيّ في البراري البعيدة.. وفي الجبال الوعرة ليحرسك الله يا بني!

ودمعت عينا الأب.. كان يستنشق أنفاسه الأخيرة في هذه الحياة.. وكانت كلمات الصلاة تنساب من بين شفتيه قبل أن يغمض عينيه ويغفو اغفاءة الرحيل..

وفي تلك اللحظات وقد هيمن صمت ثقيل سمع صوت عواء قادم من بعيد..

نهضت السيدة نرجس وهي تشعر بالبرد وأخذت بيد ولدها وانسحبت من المكان.. لقد بدأ فصل مثير في حياة ابنها الوحيد.

عشية الرحيل:

لم تشرق شمس اليوم الثامن من ربيع الأول وظلّت غائبة وراء السحب الكابية التي تراكمت علىٰ امتداد الليل الشتائي الطويل.

اليوم هو الأول من كانون الثاني من العام الميلادي الجديد «٨٧٤» حدثت في الرواق حركة غير عادية عندما أعلن عقيد الخادم عن رحيل زعيم البيت العلوي الامام الحسن واستحال المنزل الواقع في «درب الحصا» الىٰ خيمة تعصف بها الريح من كل مكان..

برقت عينا جعفر بالغدر وقد ضجّت في أعماقه المظلمة أصوات تشبه عواء ذئاب مجنونة...

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٦١، البحار: ١٢/٥٢، الزام الناصب: ١٠٨.

ها هو يستيقظ علىٰ صيحات المأتم فهبّ كمن لسعته عـقرب وراح يـتصرف كالسيّد المطاع وربّ المنزل.. وحاول جاهداً أن يضفي علىٰ نفسه مسحة من الوقار كإمام جديد للشيعة !

ان جميع الظروف قد باتت مواتية ، فأخوه قد رحـل عـن الدنـيا دون وصـية ظاهرة ، وأذن فقد أصبح كل شيء له ... إنه الوريث الذي لن ينازعه أحد.. ولكن ماذا لو ظهر ابن أخيه ؟ !

خامره أحساس بالقلق وسرعان ما تبدّد.. ان صبياً تبحث الجواسيس عنه لن يجرؤ علىٰ ذلك..

اتخذ جعفر مكانه في باب المنزل لاستقبال الوافدين من المعزّين.. سوف يصل زعماء كبار من البلاط وشخصيات بارزة في صفوف الشيعة وها هو يشعر بالانتشاء لأول تهنئة يتلقاها من الشيعة مصحوبة بكلمات عزاء رقيقة..ها هو يهنأ لأول مرّة بالإمامة.. لقد أصبح إماما لطبقات واسعة من الناس !

وصل «أبو الأديان»[1] درب الحصا وسمع من بعيد أصـوات المـناحة واذ ألفىٰ جعفراً واقفاً في الباب يتلقىٰ التعازي والتهاني همس في نفسه بأسىٰ :

ـ ان يكن هذا هو الإمام فقد بطلت الامامة إذن..

كيف يصبح اماماً وهو يكرع كؤوس النبيذ ويقامر في قصر الجوسق ويـلعب بالطنبور ؟ !

واضطر أبو الاديان الىٰ مصافحته وتقديم التعازي والتهاني.. وعندما ولج المنزل رأىٰ حشداً من المعزّين ، وقد برز فيهم عثمان بن سعيد وكيل الامام الراحل.. وكان واجماً غارقاً في حزن مرير..

---

(١) كان يعمل في منزل الامام الحسن الذي حمّله مجموعة رسائل هامّة الىٰ المدائن وأن يأتـي بأجوبتها الىٰ من سيطالبه بها. كمال الدين: ٤٧٥/٢ ط طهران ١٣٩٥.

وتوهّجت في ذاكرة أبي الأديان البصري كلمات الامام الراحل في حقه في حضور وفد قادم من اليمن: «امض يا عثمان فإنّك الوكيل والثقة المأمون علىٰ مال الله»[1] فقال أحد أعضاء الوفد مخاطباً الامام: «يا سيدنا ان عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموقعه من خدمتك، وانه وكيلك وثقتك علىٰ مال الله ؟

فقال الامام عندها: نعم.. واشهدوا علىٰ ان عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وان ابنه وكيل ابني.. مهديكم»[2].

كان عثمان بن سعيد قد انتهىٰ توّاً من مراسم تجهيز جثمان الراحل العظيم للصلاة عليه، وانتبه أبو الأديان الىٰ صوت عقيد الخادم يخاطب جعفراً:

ـ يا سيّدي قد كُفّن أخوك.. فقم للصلاة..

مرّت اللحظات حساسة.. كان جعفر يخطو باتجاه نعش أخيه.. سوف يكتسب جعفر باقامة الصلاة علىٰ الامامه امتيازاً كبيراً.. فهناك قناعة لدىٰ عموم الشيعة في أن الامام لا يصلّي عليه إلّا إمام!

وقف جعفر قبال النعش استعداداً للصلاة.. وانتظمت خلفه صفوف المصلّين.. كان أبو الأديان واقفاً جنب عثمان بن سعيد في الصف الأول.. وكان جعفر علىٰ وشك التكبير.. عندما ظهر صبي بوجهه سمرة متموج الشعر.. تقدّم الصبي بخطى واثقة نحو جعفر وجذب رداءه قائلاً بصوت فيه حزم:

ـ تأخّر يا عمّ، فأنا أحق بالصلاة علىٰ أبي.

اصفرّ وجه جعفر واربدّ وهو يتأخر واقفاً خلف الصبي الذي بدأ مراسم الصلاة علىٰ والده الراحل..

ودمعت العيون للصوت الحزين يصلّي علىٰ الراحل كان ذهن أبي الأديان متوتراً للمفاجاة..

---

(١) الغيبة للطوسي: ٢١٥.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

انه يشهد أولىٰ علامات الامام الحق.. لقد أخبره الراحل: ان الذي سيصلّي عليّ هو الامام.. بقيت علامتان..

الأولىٰ أن يطالبه الصبي بالرسائل الجوابية التي يحملها من المدائن..

تمّت مراسم الصلاة والتفت الصبي الىٰ أبي الأديان قائلاً:

ـ يا بصرى هات جوابات الكتب التي معك!

لم يكن هناك مجال للشك، و سلّم أبو الأديان مجموعة من الرسائل الىٰ الصبي الذي اتجه نحو ستائر إحدىٰ الحجرات ليتواراىٰ وراءها.. تقدّم رجل نحو جعفر الذي ما يزال حانقاً.. أراد أن يحرجه أكثر فقال له متسائلاً:

ـ يا سيّدي من الصبي ؟!

أجاب جعفر بحنق:

ـ والله ما رأيته قطّ ولا أعرفه!!

وارتسمت علىٰ وجه الرجل[1] ابتسامة ساخرة من هذا الذي يدّعي ما ليس له.. وها هو يتراجع أمام صبي يبدو عليه أنه في التاسعة من عمره.. إنها قوّة الحق التي لن يصمد أمامها جعفر وامثال جعفر حتىٰ لو كان من ذرّية الامام!

كانت المفاجأة لا تزال تسيطر علىٰ بعضهم خاصّة الّذين رأوا الصبي لأول مرّة..

وحدثت ضجة خارج المنزل.. لقد وصل أخو الخليفة وممثله في مراسم التشييع والصلاة الرسمية..

استقبل جعفر مبعوث الخليفة وأخاه أبا عيسى بن المتوكل الذي نقل تعازيه وتعازي الخليفة بالمناسبة..

وحُمل النعش الذي ما كاد يغادر المنزل حتىٰ استقبل بالبكاء والنحيب.. لقد

---

(١) الرجل هو حاجز الوشاء ـ كمال الدين: ٤٧٥/٢.

رحل السلام.. رحل الانسان الطاهر.. كحمامة بيضاء شهيدة كان النعش المحمول يسير باتجاه المسجد الجامع مخترقاً الشارع الرئيسي المعروف بشارع أبي أحمد..

نسائم كانون الباردة تلفح الوجوه في يوم غائم كئيب.. وكانت مشاعر مزيجة من الاحساس بالغربة واليتم تغمر القلوب الحزينة لكأن الامام شمس تبعث الدفء والنور فإذا غاب غمرت الظلمات النفوس..

وتذكر الناس يوماً حزيناً قبل ستة أعوام يوم شيعوا والد هذا الانسان الطيب الذي وافاه الأجل وهو في ريعان الشباب..

وتساءل البعض في دهشة عن سرّ وفاته ؟! انه لم يشتك من علّة قبل ذلك فما الذي حصل ؟! لقد اعتادت سامراء علىٰ هذه الظاهرة.. كثيرون لقوا حتفهم في ظروف غامضة !

وُضع النعش قريباً من جدران المسجد لاقامة الصلاة وتقدّم مبعوث الخليفة وأخوه الىٰ النعش وكشف عن وجه الراحل ليبدّد هواجس قد تراود بعض الناس ويدفع شبهة الاغتيال عن الدولة فأعلن أمام شخصيات البيت الهاشمي من العباسيين والعلويين، وقادة الجيش وكبار موظفي الدولة والبلاط قائلاً:

ـ هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه علىٰ فراشه وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان.. والقضاة فلان وفلان ومن الاطباء فلان وفلان وراح يستعرض الشخصيات التي امضت الليالي الأخيرة في منزل الامام لأهداف غامضة.. ثم غطّىٰ باحترام وجه الراحل العظيم[1].

وأُقيمت الصلاة علىٰ الجثمان الطاهر ليُحمل مرّة أخرىٰ ويعود الىٰ المنزل الواقع في «درب الحصا» وهناك سيوارىٰ الثرىٰ الىٰ جانب والده الراحل تنفيذاً لوصيته.

---

(١) الارشاد: ٣٨٣.

وبدا ذلك اليوم الغائم اشبه بيوم القيامة[1] وقد حشر الناس ضحىٰ فالأمواج البشرية تتدافع لتلمس النعش الطاهر تبركاً لكأنها تمدّ يداً تصافح رسول الله . .

القلوب يغمرها الأسىٰ وإحساس بالفجيعة يملأ صدور المؤمنين . . ويلج النعش منزل صاحبه وفاحت رائحة الثرىٰ المعطور حيث سيرقد الامام الىٰ جانب والده . . لقد وصلا معاً هذه المدينة علىٰ قدر قبل ربع قرن فرحل الوالد قبل ستة أعوام والتحق به الأبن في هذا اليوم . .

ان الذين يرون ما وراء الأفق البعيد سيرون مآذن تشق قلب التراب في هذا المنزل المبارك ، لتستحيل هذه البقعة الطاهرة الىٰ مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . والىٰ واحة خضراء يتفيأ ظلالها الوارفة المتعبون في دورب الحياة والزمان .

استمر المأتم وكانت رائحة طيبة تشبه رائحة الطين المعطور تفوح في فضاء المنزل . . الشمس ما تزال مستورة بالسحب بالرغم من أن قرصها المستدير قد بدا شفافاً يشبه القمر في لحظات الغروب .

وفي أصيل ذلك اليوم وصل وفد من مدينة قم يحمل معه رسائل من أهلها اضافة الىٰ هميان يشتمل علىٰ الحقوق الشرعية التي يتوجب تسديدها الىٰ الإمام أو من يوكّله . .

في حجرة السيدة نرجس جلست النسوة وكانت أم الحسن اكثرهن إحساساً بالفجيعة ، حتىٰ ان المرء إذا رآها في تلك الحال سيحدس أنها لن تعيش بعد ابنها إلّا أياماً معدودات ، أما السيدة نرجس فقد بدا وجهها سماءً مثقلة بغيوم ممطرة . . عيناها تبحثان عن عزيز فقدته . . زوج كريم رحل وتركها وحيدة وولد طاهر تحمّل أمانة كبرىٰ وقرّر خوض ملحمة الصراع المرير أمام أعداء لا يُعرف لهم عدد . . حتىٰ عمّه

---

(١) دائرة المعارف للبستاني: ٤٥/٧.

جعفر غدر بهم.. انه لم يعد يرىٰ شيئاً سوىٰ نفسه وسوىٰ اطماعه وحرصه وجشعه وتهافته علىٰ حطام الحياة الدنيا !

تساءل أحد رجال الوفد عن الشخص الذي يقدّمون اليه التعازي فأشير الىٰ جعفر !!

كانت آثار السفر ما تزال تبدو علىٰ أفراد الوفد وهم يصافحون جعفراً الذي رقص قلبه طرباً.. انه يدرك حجم ما معهم من الأموال التي سيقبضها هذا اليوم !

تلقىٰ جعفر بانتشاء تعازي القميين وتهنئتهم له بالإمامة، ولم يستطع اخفاء إبتسامة صفراء باهتة ارتسمت علىٰ شفتيه.

قال رجل حنكته التجارب :

ـ إن معنا كتباً وأموالاً..

قال جعفر مستعجلاً :

ـ هاتوها !

قال الرجل بهدوء وحذر :

ـ ألا تقول ممن الكتب ؟ وكم المال ؟

ـ ومن أين لي أن أعرف ذلك ؟ !

ردّ الرجل :

ـ هذه عادتنا مع أخيك رحمه الله.

صرّ جعفر علىٰ أسنانه بغيظ.

ـ تريدون منا أن نعلم الغيب.. انتم تكذبون علىٰ اخي.

أنتفض جعفر من مكانه وهو ينفض أثوابه.. وإنطلق صوب قصر الخلافة وقد استعرت في اعماقه حمّى الغدر.. هذه أفضل فرصة للقبض علىٰ الصبي الذي يقف في طريق تحقيق أحلامه المريضة.

ما إن غادر جعفر المنزل حتىٰ خرج من إحدىٰ الحجرات فتىٰ يرتدي زي الخدم وجاء إلىٰ رجال الوفد قائلاً :

ـ معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار .. عشرة منها مطليّة بالذهب ..

تبادل رجال الوفد نظرات ذات معنىٰ وقال الرجل المحنّك :

ـ الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام[1] .

وسلّموا اليه الرسائل والهميان وغادروا المنزل بعد أن مكثوا قليلاً ..

هبّت رياح كانون باردة كقطيع من الذئاب ، وقد توارت الشمس وراء السحب وفي لحظة المغيب كان رجال الشرطة كذئاب غبراء تقتحم منزل الامام وتلقي القبض علىٰ السيّدة نرجس التي نسيت كل آلامها واستعدّت للمواجهة .

طولبت السيّدة بالصبي فانكرت أن يكون لها ولد .. وقامت بحركة ذكية عندما تظاهرت بأنها تعاني من الوحام ..

أوقف قائد المفرزة رجاله عن التفتيش وأمر باقتياد السيّدة الىٰ بلاط الخليفة .

وأمر الخليفة بتسليم المرأة الطاهرة الىٰ القاضي ابن أبي الشوارب رئيس سلطة القضاء وقاضي سامراء لتكون تحت الرقابة المشدّدة .. فقد تكون حاملاً أو قد يحاول ابنها الاتصال بها فيُلقىٰ القبض عليه ..

وشاء القدر أن يصل وفد آخر يضم رجالاً من أهل قم ومن مناطق الشمال الايراني المعروفة آنذاك بالجبل .. وبالرغم من مرورهم ببغداد ألاّ أنهم لم يسمعوا بخبر وفاة الحسن فقدموا سامراء ، ولم يكن قد مرّ علىٰ وفاة الامام الحسن سوىٰ أيام ..

وعندما سألوا عن سيدنا الحسن قيل لهم إنه فقد !

---

(١) الفصول للمفيد: ٣٦٠.

فسألوا عن وارثه

قالوا :

ـ أخوه جعفر بن علي !

قال أحدهم :

ـ فأين نلقاه ؟

ـ خرج متنزها ، وركب زورقاً في دجلة يشرب ومعه المغنّون ! ! أصيب الرجال بصدمة ، وتبادلوا نظرات حائرة ثم خلصوا نجيّا قالوا هامسين :

ـ هذه ليست من صفة الامام .

قال أحدهم :

ـ لنعد من حيث أتينا ونعيد هذه الأموال الىٰ أصحابها .

قال أبو العباس وهو رجل يمني نزحت اسرته الىٰ قم :

ـ لننتظر هذا الرجل ونختبر أمره !

وانتظر رجال الوفد عودة جعفر من نزهته في دجلة .. حتىٰ إذا عاد الىٰ منزله دخلوا عليه قالوا :

ـ يا سيدنا نحن من أهل قم .. ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها ، وكنا نحمل الىٰ سيدنا أبي محمد الحسن الأموال .

قال جعفر وقد سال لعابه :

ـ وأين هي ؟

ـ معنا .

ـ احملوها الي إذن .

ـ لا .

ـ لا .. لماذا ؟ !

ـ ان لهذه الأموال خبراً طريفاً .

ـ وما هو ؟!

ـ ان هذه الأموال تُجمع ، ويكون فيها من كافة الشيعة الديـنار والديـناران ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه ، وكنّا إذا وردنا بالمال علىٰ سيدنا أبي محمد يقول : جملة المال كذا وكذا دينار من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا . . حتىٰ يأتي عـلىٰ أسماء الناس كلهم ويقول ما علىٰ الخواتيم من نقش .

زعق جعفر وادرك صعوبة هذا الامتحان :

ـ كذبتم . . . تقولون علىٰ أخي ما لا يفعله . . هذا علم الغيب ولا يعلمه إلّا الله

تبادل الرجال نظرات فيها شك في أن يكون جعفر إماماً .

قال جعفر بفظاظة :

ـ احملوا هذا المال اليّ .

قال رجل يبدو عليه الوقار :

ـ إنّا قوم مستأجرون . . وكلاء لأرباب المال ولا نسلّم المال إلّا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن فان كنت الامام فبرهن لنا ، وإلّا رددناها الىٰ أصحابها يرون فيها رأيهم .

وبرقت عينا جعفر بالشّر انه يعرف كيف ينتزع المال منهم ، فانطلق الىٰ بلاط الخليفة مرّة أخرىٰ . . وسرعان ما أُلقي القبض علىٰ رجال الوفد الذيـن سـيقوا الىٰ قصر الخلافة فمثلوا أمام الخليفة الذي قال وهو ينظر اليهم بطرف خفي :

ـ احملوا هذا المال الىٰ جعفر !

قال الرجل الوقور :

ـ انا قوم مستأجرون . . وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي أمانة لجماعة وأمرونا أن لا نسلّمها إلّا بعلامة ودلالة وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي .

قال الخليفة مستفسراً :

ـ فما كانت العلامة التي كانت لكم مع أبي محمد ؟

قال الرجل الوقور :

ـ كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي .. فإذا فعل جعفر ذلك سلّمناها اليه ..

وسكت لحظات ثم قال مشيراً إلىٰ جعفر .

ـ إن كان هذا الرجل صاحب الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه أخوه والا رددناها الىٰ اصحابها :

زعق جعفر :

ـ يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذابون .. يكذبون علىٰ أخي .. وهذا علم بالغيب !

قال الخليفة وقد أدرك ألّا جدوىٰ من وراء مساندة جعفر :

ـ القوم رسل وما علىٰ الرسول إلّا البلاغ المبين .

وبهت جعفر وانخطف لونه .. وقال الرجل الوقور مبتهجاً بموقف الخليفة :

ـ نتمنّىٰ علىٰ أمير المؤمنين أن يرسل معنا من يودّعنا الىٰ خارج المدينة .

قال الخليفة :

ـ سأرسل معكم رجالاً من الشرطة فلا تخشوا شيئاً ..

وغادر الجميع قصر الخليفة .. كانت الحيرة تملأ قلوب الرجال .. ترىٰ من هو الامام الحق بعد الحسن ؟

كل شي يوحي بأن لا وجود لإمام للشيعة بعد الحسن وإذا كان هناك من امام فهو جعفر الذي سيعرف بالكذاب لأنه ادعىٰ ما ليس له بأهل !

عاد الرجال الىٰ خان المسافرين وتفقدوا دوابهم في «المربط» وقد صح عزمهم علىٰ مغادرة سامراء عائدين .. كانوا يتوجسون شرّاً من جعفر لأنهم حدسوا أن هناك من يقف وراء جعفر مروّجاً لامامته لأسباب غامضة .. أو طمعاً في المال وأمضوا ليلتهم في الخان يتسامرون ، وكانت الحيرة واضحة وهم يتحلّقون حول موقد مسجور .

وكان واضحاً من حيرة أبي العباس ان المستقبل قد بات مظلماً . . فقد بدا ساهماً غارقاً في الوجوم . . هل يمكن أن تنتهي الامامة هكذا ؟ ! وهل يمكن أن تخلو الأرض من حجة الله . . من انسان كامل ؟ ! . . ان الامام يمثل نقطة السلام في دنيا تموج بالزلازل وتعصف بها الحوادث . .

وخفتت الأصوات وكان الجمر يخبو شيئاً فشيئاً . . وكان صوت عواء بعيد يتناهى الىٰ الأسماع .

في الصباح الباكر وفيما كانت غيوم كانون تتراكم فوق بعضها البعض غادر الرجال الخان ليجدوا مجموعة من حرس الخليفة سوف يرافقونهم الىٰ خارج سامراء حسب رغبتهم . .

بالرغم من سهرهم الطويل وتبادلهم الأحاديث المتشعبة إلّا أن أجواء الحيرة ما تزال تسودهم . . فهم يعتقدون ان الامامة ستستمر حتىٰ يوم القيامة . . لأن الأرض لا تخلو من حجة الله . . من إنسان يقودهم نحو الكمال . . وهاهم يفدون علىٰ إمامهم فلا يجدونه . . ولا يجدون إماما يقوم مقامه . .

قال أبو العباس وكان رجلاً حصيفاً :

ـ ان له ولداً ما في ذلك من شك . . وربّما أخفاه لسبب من الأسباب . .

قال آخر :

ـ والله إنها لحيرة ما بعدها حيرة ! انني أقول إن سيدنا الحسن رحمه الله كان إماماً مفترض الطاعة ثابت الامامة ، وقد توفي والأرض لا تخلو من حجة . . فنحن ننتظر حتىٰ يسفر الحق ! !

وعندما وصلوا الجادّة المؤدية الىٰ بغداد . . عاد الحرّاس فيما واصل الرجال طريقهم صوب «دار السلام» .

لم تكد منازل سامراء تغيب في الأفق حتىٰ فوجيء الرجال بمن يدعوهم بأسمائهم . . وعندما التفتوا جهة الصوت شاهدوا فتىٰ مضيء الوجه يناديهم :

ـ يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أَجيبوا مولاكم .

هتفوا بدهشة :

ـ أنت مولانا ؟ !

أجاب الفتىٰ الذي يرتدي زي الخدم :

ـ معاذ الله .. أنا عبد مولاكم .. فسيروا إليه .

وقادهم الفتىٰ من طريق علىٰ شاطىء دجلة بعد أن تركوا دوابّهم مع أحدهم وعندما ولجوا حجرة في المنزل وقعت عيونهم علىٰ فتىٰ عشاري القدّ جالساً علىٰ سرير يرتدي ثياباً خضراً .. وخشعت قلوبهم لمرآه فحيّوه بأدب وردّ عليهم التحية بأحسن منها وقال مبدّداً سحب الحيرة التي اكتنفت نفوسهم :

ـ جملة المال كذا وكذا دينار حَمَل فلان كذا وفلان كذا .. وراح يستعرض تفاصيل ما جاءوا به .. بل تعدّىٰ وصفه للدواب التي حملتهم ..

ألقىٰ أبو العباس نفسه علىٰ الأرض ساجداً لله الذي أنعم عليه برؤية إمام عصره ..

ولم يبق من مجال للشك فقرّروا العودة الىٰ محط رحلهم واحضار الأمانات ..

وفي لحظات الوداع أمرهم الامام بعدم المجيء الىٰ سامراء مرّة أخرىٰ وأنه سوف ينصب لهم وكيلاً في بغداد يحملون اليه الأموال وتخرج عنه التوقيعات ..

كما دفع الامام الىٰ أبي العباس شيئاً من الحنوط والكفن وخاطبه معزّياً :

ـ أعظم الله أجرك في نفسك ..

فردّ الرجل الوقور بسكينة المؤمن :

ـ إنّا لله وإنا إليه راجعون .

ولم تكد القافلة تصل هضاب اقليم همدان حتىٰ توفي الرجل الىٰ رحمة الله[1] .

---

(١) الامام المهدي من المهد الىٰ الظهور: ١٩٠.

مشاهد أخرىٰ حتى عام ٢٦٣ هـ

وكان حصاد موسم الجفاف خلال العامين المنصرمين قحطاً وغلاءً فاحشاً في الاسعار اكتوت بناره بغداد فاشتعلت مخيلة الفقراء وراحت تنسج حول مواقد كانون بواكير حكايات «السندباد» التاجر الذي يعود غانماً من رحلاته في البحار البعيدة فيهب الفقراء ذهباً ولؤلؤاً وأملاً بغدٍ أفضل... وستولد حكايات الليالي الطويلة المثقلة بالرموز[1] بعدما غابت الشمس واستترت وراء غيوم الضياع.

ما بال جعفر يبدو كمن أصابه مسّ من الجنون انه يتجه الىٰ قصر رئيس الوزراء عبيدالله بن يحيى للاجتماع به علىٰ انفراد، ويستقبله الرجل اكراماً لأخيه الراحل فاذا به يسمع من جعفر ما يجعله يسقط من عينه قال جعفر بحماقة:

ـ اجعل لي مرتبة أخي، وأنا أوصل اليك كل سنة عشرين ألف دينار!

ونظر عبيدالله بن يحيى الىٰ جعفر... شتان ما بين الحسن وجعفر كأنه نقيض أخيه.. الحسن في عقله الكبير في كياسته.. في حلمه وتواضعه وطيبته وجعفر بخفته وتفاهته!!

وهاهو يأتي يطلب من الدولة أن تجعله إماما للشيعة وكأن الدولة هي التي نصبت أخاه وأباه من قبل..

قال رئيس الوزراء وقد احتقره تماماً:

ـ يا أحمق.. السلطان أطال الله بقاءه جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك ائمة ليردّهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك.. فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك الىٰ سلطان يرتبك مراتبهم، ولا غير سلطان.. وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا[2]..

---

(١) اشارة الىٰ حكايات ألف ليلة وليلة.

(٢) الارشاد للمفيد: ٣٢٠.

وقام رئيس الوزراء بحركة توحي بانتهاء اللقاء فنهض جعفر يجرّ أذيال الخيبة.. واصدر عبيدالله بن يحيى تعليمات مشدّدة بعدم استقباله مرّة أخرىٰ لكن جعفر بذهنه المريض انتبه الىٰ شيء!

فما دام الخليفة يخشى الامام ويطارد الذين يقولون بإمامة أخيه وأبيه فلماذا لا يسعىٰ الخليفة الىٰ تنصيب جعفر إماما علىٰ الشيعة وبهذا يكون أبطل الامامة وفرض هيمنته علىٰ الشيعة ؟!

من أجل هذا انطلق صوب الخليفة وعرض عليه اقتراحه ولوّح له بنفس المبلغ الذي عرضه علىٰ رئيس وزرائه قال الخليفة وهو يضع النقاط علىٰ الحروف فلا داعي للتستر أمام جعفر:

ـ اعلم ان منزلة أخيك لم تكن بنا.. انما كانت بالله عز وجل.. ونحن كنا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه.. وكان الله عز وجل يأبىٰ إلّا أن يزيده كل يوم رفعة لما كان له من الصيانة وحسن السمت والعلم وكثرة العبادة..

فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك الينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئا[1]..

ان ما قاله الخليفة يعدّ اكبر اعتراف بعدالة قضية الامام الراحل.. ولم يكن الخليفة ليكون بهذه الصراحة لولا أن مخاطبه كان جعفر بكل سخافاته وحماقاته!؟

شيء واحد حصل عليه جعفر هو تأييد الخليفة له باعتباره الوريث الشرعي لتركة الامام الحسن.. ان لدىٰ السلطان قناعة ظاهرة في أن الامام الحسن قد توفي ولم يخلف وراءه ولداً وهذا أقصى ما يطمح اليه[2].

لقد انتهت الامامة إذن ولم يعد هناك من إمام بعد اليوم!

---

(١) الغيبة الصغرى: ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق.

أدت الحوادث العاصفة بأسرة الامام الىٰ أن تلزم أم الأمام الحسن وزوجة الامام الهادي فراش المرض، فقد توفي ابنها الحبيب واعتقلت زوجته واضطر حفيدها الىٰ الاختفاء، وها هو جعفر لا ينفك يتآمر لتمزيق أسرة أخيه الراحل..

نقلت الجدّة الطيبة الىٰ منزل السيدة حكيمة شقيقة زوجها الراحل لتمريضها ولكن وقع الحوادث وقلقها علىٰ مصير حفيدها قد جعلها هدفاً سهلاً لسهام القدر..

وفي لحظات الاحتضار أوصت أن تدفن الىٰ جانب زوجها وابنها الإمامين الراحلين[1]..

ومرّة يقف جعفر موقف النذالة إذ يرفض دفن هذه المرأة الصالحة صارخاً:

ـ هي داري لا تدفن فيها!

وفي مثل هذه اللحظات المصيرية، يتوجب علىٰ الصبي الطاهر أن يظهر مباغتاً جعفر بسؤال استنكاري شديد اللهجة:

ـ يا جعفر! دارك هي؟!

ان الصبي لن يدعوه بعد اليوم بالعم.. لقد انسلخ جعفر من قبيلته ودينه وحتى انسانيته..

وبرقت عينا جعفر بالشرور والغدر وأراد الامساك بالصبي الذي توارىٰ بين الناس، فيما ظل جعفراً حائراً..

وانطلق الصبي الإمام الىٰ مكان ما فلن يعرف مكانه أحد!

سواف يواكب حركة التاريخ والزمن، اما علاقته بشعبه فسوف تكون عن طريق تاجر الزيت ذلك الرجل الصالح الذي نذر حياته لعقيدته ومبادئه.. وسيعرف الناس أن عثمان بن سعيد العمري هو السفير الأول بين المهدي وامّته..

إنّه من السموّ بحيث نال ثقة الامام علي الهادي وابنه الحسن العسكري وهاهو

---

(١) المصدر نفسه: ٣١٤.

اليوم يصبح أول سفير للامام المهدي الذي قرّر الاختفاء عن الانظار منذ وفاة والده.. وكيف لا يحظىٰ بهذه المنزلة وهو الذي تولّىٰ توزيع عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطل من اللحم علىٰ الفقراء والجائعين يوم ولد المهدي.. وهو الذي أمره الامام الحسن بأن يعق عن الحجة بعشرات الأضاحي[1].

وهو الذي تولّىٰ تغسيل الامام الراحل وتجهيز نعشه بأمر من الامام المهدي الذي لم يكن بوسعه أداء هذه المهمة[2].

ما يزال بلاط الدولة تراوده الظنون في وجود المهدي الموعود الذي سيظهر ويقوّض أركان حكمهم الىٰ الأبد..

فأمّه ما تزال رهن الاعتقال رغم مرور عديدة علىٰ اعتقالها ووضعها تحت المراقبة لأنهم يتصوّرون ان ابنها سيتصل بها وعند ذاك سوف يُلقىٰ القبض عليه..

ولكن الامام كان حذراً في اتصالاته... وفي تلك الفترة صدر توقيع عنه يفيد بتحريم ذكره باسمه في المحافل:

ـ «ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس»[3].

وكان أول إجراء اتخذه الامام أن أمر سفيره بنقل نشاطه الىٰ بغداد.. فبغداد مركز تجاري كبير، ومن الصعب علىٰ الجواسيس مراقبة ما يجري فيها من اتصالات تتخذ من التجارة غطاءً لها.. ومنذ ذلك الوقت لم يعد أحد يرىٰ عثمان بن سعيد يتردد علىٰ سامراء كما كان الحال في زمن الامام الحسن. بل ان الامام نفسه سوف يرتدي زي التجار.

وخلال الفترة من عام ٢٦٠ الىٰ عام ٢٦٣هـ تلاحقت الأحداث[4] بشكل خطير

---

(١) المصدر نفسه: ٣٩٨.

(٢) كمال الدين: ٤٨٢/٢ ح٤٥.

(٣) الغيبة للطوسي: ١٦٤، الغيبة الصغرى: ٥٤٢.

(٤) تاريخ الطبري الحوادث بين سنة ٢٦١ ـ ٢٦٣هـ

فقد بدأ الامبراطور باسيل الأول سلسلة من الغارات استهدفت المدن الحدودية الاسلامية، كما شن الأعراب غاراتهم علىٰ مدينة حمص وحدثت قلاقل في مدينة الموصل سببها عدوان الجنود علىٰ الأهالي وانتهاكهم الأعراض..

وفيما كانت المعارك مع الزنوج مستمرة، اندفع الخوارج في هجومات جديدة بقيادة مساور الشاري وفي الشمال الافريقي حدثت انتفاضة شعبية ضد حكم احمد بن طولون في منطقة برقة قمعت بوحشية وفي تلك الفترة العاصفة ايضاً رأىٰ يعقوب بن ليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية انتهاز الفرصة فاندفع باتجاه الاهواز وفارس واستولىٰ علىٰ مساحات شاسعة ثم راح يدنو باتجاه بغداد مما بعث الرعب في قلب الخليفة الذي عبأ قوّاته بقيادة أخيه الموفق لوقف الصفار عند حدوده..

وسرعان ما وقعت المعركة الفاصلة في «دير العاقول» علىٰ بعد ١٢ ميلاً من بغداد فسحقت قوات الصفار الذي ارتدّ بفلوله الىٰ الأهواز.. ولكنه ظل يشكل خطراً علىٰ الخلافة العباسية ثم وقع حادث غامض إذ وقع رئيس الوزراء عبيدالله بن يحيىٰ عن دابته عندما صدمه الخادم «رشيق» وتوفي بعد ساعات[1].

كما توفي الحسن بن محمد بن أبي الشوارب رئيس سلطة القضاء فتولّىٰ رئاستها أخوه علي بن محمد[2].

وقد أسهمت هذه الاحداث في التخفيف من محنة السيدة نرجس التي أُفرج عنها بعد اعتقال استمر اكثر من عامين وسوف تعيش حياة التشرّد مدّة من الزمن قبل أن يستجيب الله دعوتها فانتقلت الىٰ الرفيق الأعلىٰ تشكو الىٰ بارئها ظلم الظالمين.

وكان الهمس حول وجود حقيقي للامام المهدي ما يزال مستمراً وأدرك الكثيرون أن الحقيقة توجد لدىٰ عثمان بن سعيد ذلك الرجل الصالح الذي تمكن من

---

(١) المصدر السابق.. وسوف نجد «رشيق» هذا يعمل في جهاز المعتضد وسيكلّفه الأخير بمهمة اغتيال الامام المهدي في منزله بسامراء. الغيبة للطوسي: ٢٤٩.

(٢) محمد صادق الصدر الغيبة الصغرىٰ: ٢٣٩.

احاطة عدد كبير ممن يوثق بأمانتهم ووعيهم بوجود الامام المهدي . . ولكن الظروف الحساسة التي يمرّ بها الامام جعلته يتكتّم فكان لا يتحدث بهذا الشأن إلّا في المناسبات التي تستدعي ذلك ، كما حدث في تلك الليلة الشتائية عندما جاءه في جنح الظلام رجل يبحث عن الحقيقة فقال له وهو يحاوره :

ـ اسألك بحق الله وبحق الامامين اللذين وثقاك هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان ؟ !

غمرت الدموع عيني الرجل الصالح وقال :

ـ أخبرك علىٰ أن لا تخبر أحداً ما دمتُ حيّا ؟

وهز الرجل رأسه موافقاً فقال السفير :

ـ أجل قد رأيته[1] . . يوم ولادته . . ورأيته وقد أيفع وأصبح فتى رشيداً موفّقاً[2] .

«المعتضد» السفاح الثاني!

لقد استرسلنا في رسم المشاهد حتى عام ٢٦٣ أي حتى وفاة شخصية كبيرة لها نفوذها هي شخصية عبيدالله بن يحيى بن خاقان في حادث غامض جداً وهو قيام رشيق الخادم وهو غلام «الموفق» بافتعال حادث اصطدام بينما عبيدالله علىٰ دابّته فسقط عن الدابّة وتوفي بعد سويعات ! ![3]

وسنرىٰ رشيقاً هذا يعمل في جهاز المعتضد القمعي والأخير يحتاج لوحده دراسة عميقة فهو الخليفة الذي لقب بالسفاح الثاني والذي حكم البلاد بقوة الحديد والنار والذي وقعت في عهده حوادث تحتاج الىٰ توقف ودراسة .

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٩ ط. طهران ١٣٩٨هـ

(٢) الارشاد: ٣٣٠، اعلام الورى: ٣٩٦.

(٣) تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٦٣.

علىٰ أننا سوف نؤشر بعض الحوادث قبل أن نستعرض ما حصل خلال حكومة المعتضد التي استغرقت زهاء العقد من الزمن .

في الأعوام ٢٦٤هـ ـ ٢٦٧هـ وقعت حوادث كبرىٰ إذ أغار الاسطول الاسلامي علىٰ مدينة البندقية فيما كانت الاشتباكات في جنوب العراق تزداد ضراوة ، وفي مصر أعلن أحمد بن طولون تمرّده علىٰ العاصمة وزحف بجيش جرّار علىٰ دمشق فاستولىٰ عليها .

وفي خراسان اجتاح الطاعون ليحصد آلاف الأرواح فيما أغار الثوّار الزنوج علىٰ مدينة واسط وارتكبوا فيها مذابح وحشية .

وشهدت بلاد الاندلس ثورة المولّدين واستيقظت مدينة سامراء علىٰ فرار رئيس الوزراء الحسن بن مخلد (نصراني وأسلم) الىٰ بغداد بعد أن تناهىٰ اليه عزم القائد التركي موسى بن بغا العودة الىٰ سامراء فصودرت جميع ممتلكاته .

وشهدت مدينة اصفهان ثورة تم قمعها في مهدها ، وثورة أخرىٰ في نيسابور الخاضعة لنفوذ الصفّار الذي توفي قبيل اندلاعها وثورة في مدينة حمص السورية ، وأغار الأعراب على مكّة المكرمة ونهبوا كسوة الكعبة المشرّفة وتعرّضت ديار ربيعة الىٰ غارات وحشية شنّها الروم .

وفي هذا العام (٢٦٧هـ) توفي السفير الأول بعد أن أبلغ بعض رجالات الشيعة رسالة من الامام المهدي وهي رسالة تتعرض الىٰ الشكوك التي بدأت تراود أذهان البعض في عدم وجود حجة لله .

ويدور حوار حول السفير القادم بعد رحيل السفير الأول :

ـ مدّ الله في عمرك اذا كان الذي لابد منه فمن يخلفك في سفارتك ؟

ـ محمد ابني .

ـ أنت أخترته ؟ !

ـ بل اختاره حجة الله .

في عام ٢٦٨هـ شرع «الموفق» باعادة تنظيم قواته استعداداً لبدء الهجوم العام خاصّة بعد نجاح «رشيق» بقطع طريق الامدادات التي تصل «المختارة» عاصمة التمرّد من البادية العربية.

وقد عبرت الجيوش العباسية الأنهار والمسطحات المائية وأصبح الهجوم العام وشيكاً.

وأسفرت العمليات الحربية عن تشديد الحصار علىٰ المختارة التي شهدت تصدّعاً في جبهتها الداخلية بسبب نفاد المؤن واضطرار البعض الىٰ أكل لحوم الموتىٰ بل وصلت انباء مروعة حول أكل لحوم الاطفال[1].

أما علىٰ صعيد الوضع في سامراء فقد قرر المعتمد الذي وجد نفسه خليفة بلا خلافة الفرار من العاصمة واللجوء الىٰ مصر فغادر سامراء بذريعة القيام برحلة للصيد، وتم ترتيب اتفاق مع أحمد بن طولون الذي شجع علىٰ ذلك وارسل قوات عسكرية الىٰ الرقة لاستقباله وعندما وصل الخليفة الموصل تم القاء القبض عليه وأعيد الىٰ سامراء بالقوة.

واصدر الموفق أوامر بفرض الاقامة الجبرية علىٰ أخيه وأصدر مرسوماً يقضي بتعيين ابن كنداج حاكم الموصل أميراً علىٰ مصر فردّ أحمد بن طولون باعلانه خلع الموفق من ولاية العهد.

في عام ٢٧٠هـ بلغ الموفق ذروة مجده السياسي بقضائه التام علىٰ ثورة الزنج التي أقلقت الرأي العام قرابة خمسة عشر عاماً.

وفي نفس العام توفي أحمد بن طولون فتسنم الحكم ابنه خمارويه كما توفي أيضاً مؤسس الدولة العلوية في طبرستان الحسن بن زيد.

وفي عام ٢٧١هـ انخفض منسوب المياه في النيل فانتهز الموفق الفرصة ودفع

---

(١) تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٦٩.

بالجيوش العباسية لاسترداد مصر لكنها تمنىٰ بهزيمة ساحقة في منطقة الرملة بفلسطين بعد اشتباكات دامية .

في عام ٢٧٢هـ وقعت في بغداد حوادث شغب وعنف استهدفت السكان النصارى وهاجم الناس الدير العتيق ودمّروا بعض جدرانه مما استدعىٰ تدخل الشرطة بأمر من حاكم بغداد واعادة بناء ما تهدم .

وفي نفس العام اندلعت الحرب مرة أخرىٰ بين الدولة وقوات الصفاريين لتستمر حتى عام ٢٧٤هـ.

وخلال ذلك تم الاعتراف رسمياً بولاية خمارويه علىٰ مصر والشام والمناطق الحدودية المتاخمة لدولة الروم التي توفي امبراطورها باسيل الأول وشهد عام ٢٧٣ ثورة الزنوج في مصر ثم قمعها بوحشية ، فيما كان الاندلس يشهد ثورة في مدينة طليطلة وفي أثناء ذلك توفي العالم الفلكي عباس بن فرناس بعد فشل أول محاولة بشرية للطيران نفذت من فوق مئذنة قرطبة .

وفي هذا العام تعرضت سامراء الىٰ غارات اللصوص وكان الخليفة المعتمد قد غادرها الىٰ بغداد وحل في قصر بوران بنت الحسن بن سهل وزوجة المأمون .

وتوترت الأجواء في بغداد سنة ٢٧٥هـ بعد اقدام الموفق علىٰ توقيف ابنه أبي العباس الذي سيعرف في سنة ٢٧٩هـ بـ «المعتضد» فاندلعت حوادث شغب أثارها اتباعه الذين تجمعوا في جسر الرصافة ، ولم يذكر التاريخ بواعث هذا الاجراء ولكن الموفق التقىٰ المشاغبين وجاء في حديثه معهم :

ـ أترونكم أشفق مني علىٰ ابني ؟! هو ولدي واحتجت الىٰ تقويمه .

اننا نذكر هذه التفاصيل لنرسم صورة للمشهد العام الذي أسفر بشكل وآخر عن صعود الخليفة الدموي المعتضد سنة ٢٧٩هـ.

في سنة ٢٧٦هـ انتهىٰ الصراع مع الصفاريين بتعيين محمد بن الليث الصفار قائداً لشرطة بغداد وكُتب اسمه علىٰ الاعلام .

وفي أواخر عام ٢٧٧هـ اصيب الموفق بداء النقرس فعاد من ايران الىٰ العراق علىٰ سرير يحمله أربعون حمالاً ووصل بغداد مطلع صفر سنة ٢٧٨هـ.

وأصبحت بغداد مسرحاً للشائعات حول وفاته فيما كان ابنه ما يزال سجينا.

أما المعتمد فقد كان في المدائن مع اسرته خليفة بالاسم فقط ينتظر مصيره.

وبرز أبو الصقر أحد كبار القادة العسكريين ففرض سيطرته علىٰ بغداد، وعندما اشتدّت الشائعات حول وفاة الموفق اندفع انصار ابنه الىٰ السجن وحطموا الاقفال وأخرجوا «المعتضد» وانطلقوا به الىٰ منزل والده الذي دخل في غيبوبة الموت.

وفي ٩ صفر وصل المعتمد وأفراد اسرته بغداد وقد تدهورت صحة الموفق.

وتلبدّت الاجواء في بغداد، ومالبث الفوضىٰ أن اندلعت فجأة وهوجمت بعض قصور القادة خاصة قصر أبي الصقر ونهبت حتى غدت قاعاً صفصفاً.

وكسرت أبواب السجون حتى سجن المطبق الرهيب وتصدّىٰ أبو العباس «المعتضد» فعين غلامه بدر قائداً لشرطة بغداد فأعاد اليها الهدوء في منتصف صفر.

وفي يوم الاربعاء ٢٢ صفر اعلن عن وفاة الموفق وفي يوم الخميس أعلن أيضاً عن تعيين أبي العباس ولياً للعهد بعد المفوض ولي العهد الرسمي وفي يوم الجمعة سمع أهل بغداد بلقب أبي العباس «المعتضد».

وفي ٢٦ صفر ألقي القبض علىٰ أبي الصقر وصودرت جميع ممتلكاته وممتلكات أقاربه الذين اختفوا عن الانظار وفي يوم الثلاثاء ٢٧ صفر أعلن عن تنصيب عبيدالله بن سليمان بن وهب رئيساً للوزراء..

وشم الناس عهداً يفوح برائحة الدم.. لقد بدأ عصر الارهاب من جديد، وأن مسلسل الرعب الذي عاشته بغداد في عهد أبي العباس السفاح والمنصور سيعود في عهد أبي العباس المعتضد.

وفي مطلع سنة ٢٧٩هـ منع منعاً باتاً جلوس أي حكواتي لسرد القصص كما منع بيع وتداول الكتب الكلامية والفلسفية[١].

وفي ٢٢ محرم اعلن عن خلع ولي العهد المفوّض، واعتبار المعتضد ولي العهد الرسمي الوحيد وابلغت جميع الاقاليم الاسلامية بهذا الاجراء فاسقط المفوض عن الخطب الاسبوعية.

وفي تشرين الثاني سنة ٨٩٢م ١٧ رجب ٢٧١ أقام الخليفة المعتمد احتفاله الترفيهي مساءً في حدائق قصر الحسني المطلّة علىٰ دجلة.. وراح يكرع كؤوس الخمر، مع شرائح اللحم المشوي.. وفيما كانت أصوات الموسيقىٰ والمطربين تملأ الفضاء سقط المعتمد فجأة.. وتضاربت الشائعات حول سبب الوفاة وتناقل الناس شرهه في الطعام تلك الليلة وانه مات مبطوناً فيما أكد بعضهم أنه اغتيل بوضع السم في اللحم أو في الخمر[٢]!!

وفي يوم الثلاثاء ١٨ رجب اعلن عن بيعة الخليفة الجديد المعتضد.. وجلس علىٰ دست الحكم وله من العمر ثلاثون سنة..

وبدأ عصر الأرهاب الشامل.. فالخليفة الجديد سفاك للدماء مع رغبة شديدة في تعذيب ضحاياه باساليب بشعة[٣].

تسكن روحه حمىٰ الشهوات شبق جنسي وميل جارف لبناء القصور الفخمة[٤].

كان أول شيء قام به صلحه مع «خمارويه» الذي ارسل اليه عارضاً ابنته «قطر الندىٰ» زوجة لابن الخليفة..

---

(١) عبدالسلام الترمانيني أحداث التاريخ الاسلامي: ٢٦١/٢.
(٢) تاريخ بغداد: ٦٠/٤، تاريخ الخلفاء: ٢٦٥.
(٣) مروج الذهب: ٢٤٧ ط. موسسة الاعلمي بيروت.
(٤) انفق علىٰ بناء قصر «الثريا» ٤٠٠/٠٠٠ دينار «المصدر السابق».

فوافق الخليفة علىٰ أن تكون زوجة له شخصياً، وبدأ العمل في بناء قصر الثريا المنيف استعداداً لاستقبال «قطر الندىٰ».

وفي عام ٢٨٠هـ القي القبض علىٰ محمد بن الحسن بن سهل شقيق بوران مالكة القصر الحسني الذي يسكنه الخليفة حالياً والذي اصبح قصر الخلافة..

وقد عثر في منزله علىٰ جرائد تضم اسماء أشخاص يبايعون رجلاً علوياً لم يصرّح باسمه..

وكشفت التحقيقات عن وجود خطة لاغتيال المعتضد وقلب نظام الحكم.

ودوهمت منازل بعض الذين وردت اسماؤهم في الجرائد وسيقوا، جميعاً الىٰ القصر وتعرضوا للتعذيب فاعترفوا انهم لا يعرفون الرجل العلوي وأنهم يعرفون «شميلة» فقط!

تساءل المعتضد متوجساً وهو ينظر الىٰ عبيدالله بن وهب.

ـ من يكون شميلة؟!

أجاب رئيس الوزراء:

ـ انه محمد بن الحسن نفسه فهو معروف بشميلة.

أصدر المعتضد أحكام الاعدام بحقهم فاعدموا فوراً، أما شميلة فقد ظل رهن التحقيق، وكان المعتضد يأمل منه أن يكشف عن اسم الرجل العلوي الذي سيقود الثورة في قلب بغداد[1]!

وفي قصر الحسني بدأت أولىٰ حفلات التعذيب المعتضدية سبقها استجواب طويل.. حاول المعتضد اغراءه بالمال ولكن الرجل اظهر إباءً فراح يهدد بالويل والثبور.. فردّ شميلة متحدّياً:

ـ لو شويتني علىٰ النار فلن تسمع مني إقراراً.. أتريدني ادلّك علىٰ رجل اعتقد

---

(١) المصدر نفسه.

بإمامته وادعو الناس الىٰ طاعته ؟ !

اشتعلت عينا الخليفة بالشرر . . وقال وهو يصرّ علىٰ أسنانه بغيظ :

ـ سوف اشويك بالنار كما قلت !

ـ اصنع ما تشاء .

برقت في اعماقه المظلمة فكرة رهيبة في أن يجعله بين ثلاثة رماح ثم يشوىٰ بالنار «ويشوىٰ كما يشوىٰ الدجاج»[1] ! !

ونفذت الفكرة علىٰ الفور وراح الجلاوزه يشوون الانسان وكان المعتضد ينظر بتلذذ الىٰ آلام الانسان ولم يبد عليه أنه قد اكترث لرائحة شواء لحم بشري ! !

واستمر المشهد المهول الىٰ أن تفرقع جسم الضحية ولفظ انفاسه . . وعندها أمر «خليفة المسلمين» أن يصلب الجسد بين الجسرين علىٰ الجانب الغربي !

وظل اسم الرجل العلوي المجهول هاجساً مخيفاً يراود ذهن الخليفة الذي يعجّ بالأوهام والوساوس[2] .

ترىٰ من يكون ذلك الرجل العلوي الذي يعدّ للثورة في بغداد ؟ ! ! وباح الخليفة لرئيس وزرائه الذي لا يقل عنه وحشية وسفكاً للدماء . . باح له بهواجسه . .

وبدأت كلاب السلطة مهامها في التجسس والبحث عن الرجل أو الحصول علىٰ معلومات تساعد في القبض عليه .

ولم تمض سوىٰ اسابيع حتىٰ بدأت التقارير السرّية ترد علىٰ القصر وتفيد بوجود مجموعة من الوكلاء مهمتهم استلام أموال تأتي الىٰ أشخاص أو شخص له القاب

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من المؤسف أن نجد أحمد الكاتب يقول: «كانت سياسة المعتضد ليّنة مع العلويين كسياسة من سبقه من الخلفاء العباسيين» تطور الفكر السياسي: ٢٥٢.

ان دراسة حياة المعتضد خاصّة ستكشف وبارقام مذهلة عن دموية لا حدّ لها ودهاء وأن هذا التقييم يشير الى سطحية في دراسة حياة الخلفاء العباسيين.

عديدة . . فهو مرّة «الحـجة» أو «صاحب الزمان» أو «الغريم»[1]، ولا يـوجد اسم صريح يمكن التعرف عليه !

وأعدّت لرئيس الوزراء عبيدالله بن سليمان بن وهب قائمة تضم مجـموعة مـن رجال الشيعة يقومون بمهمة الوكالة في استلام أموال ترد لرجل علوي مجهول[2] . .

واتخذت التقارير مساراً اكثر خطورة عـندما راحت تشـير الىٰ مـنزل الامـام الراحل الحسن العسكري في سامراء ، ولم يضع المعتضد وقتاً في معالجة الموقف واتخاذ القرار بأسرع وقت .

لقد انقدحت في ذهنه المتوقد أن يكون الرجل المجهول هو المهدي ! !

واصبح من المؤكد وجود سفير له بل ووجود وكلاء يستلمون الأموال بالنيابة عنه[3] !

تورد المدونات الشيعية ان عبدالله بن سليمان بن وهب اخفق في القبض علىٰ أي من وكلاء المهدي بعد فشل الجاسوس الذي دسته الحكومة في كسب ثقة أي منهم . . لقد قابل كثيراً من الشخصيات وتظاهر بأنه من شيعة الامام المهدي وأن لديه أموالاً يريد تأديتها كحقوق شرعية ، ويبدو ان ابن وهب قد اقتنع تماماً وتبدّدت شكوكه أما المعتضد فقد تظاهر بذلك فقط .

فهو كسياسي شبهه التاريخ بأبي العباس السفاح لا يريد أن يثير مسألة حساسة مثل مسألة المهدي ويجعل منها قضية مادامت التقارير السرّية تؤكد عدم وجودها .

كما أن مهمة القاء القبض علىٰ المهدي أو تعبئة الوضع بهذا الاتجاه أمـر يـضرّ بسمعة الدولة .

ولذا سنرىٰ الخليفة السفاح يكلّف «رشيق» الخادم بمهمة غاية في السرّية وهي

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٧١، الغيبة الصغرىٰ: ٥٩٦.

(٢) الغيبة الصغرىٰ: ٦٢٩.

(٣) اعلام الورىٰ: ٤٢١.

مهمة غامضة وسريعة : ثلاثة رجال وستة خيول حتىٰ لا تكون هناك فرصة لالتقاط الانفاس في قطع مسافة ١٢٠كم ، واقتحام منزل عنوانه واضح جداً هو منزل الامام الهادي في درب الحصا في سامراء .

والرواية يسردها رشيق بعد وفاة المعتضد الذي سبق وأن هدّدهم بالموت اذا ما تفوهوا بها ولكنه يسردها بعد وفاة الخليفة الدموي كجزء من ذكرياته .

وأول شيء يثير الانتباه هو فشل المهمة لسبب مدهش وهو يرىٰ حوضاً مليئاً بالمياه فالحجرة التي أراد الرجال الثلاثة اقتحامها مفروشة بالمياه وهناك في اقصاها شاب يصلّي ، حاول أحدهم العبور اليه لكنه فوجيء بعمق المياه فارتد علىٰ أعقابه ، ومنظر كهذا لابدّ وأن يربك الرجال خاصّة وأن منظر انسان يصلّي في مكان عجيب يفترض أن يكون مبلطاً أو مفروشاً .

وفي ضوء ما ورد من مواصفات المنزل يمكن تفسير وجود هذه الحجرة الزاخرة بالمياه ، والرواية أهملت التاريخ الدقيق ويحتمل أن يكون قد حصل ذلك في موسم يرتفع فيه منسوب المياه في دجلة فتتدفق المياه بيسر عبر الكهاريز أو القنوات الجوفية ، بل إن اعداد هذه الغرفة ليس له ارتباط وثيق بتاريخ محدد أو موسم معين .

ولا نريد التوقف أكثر من هذا أمام هذه الحادثة لكننا سنتفهم الموضوع باثارة حادثتين أخريين مع الاشارة الىٰ بعض الوقائع التي لا تبدو هامّة إلّا بعد وضعها في اطار عام منها وصول «قطر الندىٰ» بنت خمارويه وهي أميرة صغيرة اقترح أبوها أن تكون زوجة لابن الخليفة ولكن المعتضد يستأثر بها ويبني لها قصر الثريا الكبير .

وما لبثت الانباء أن وصلت باغتيال خمارويه في مصر ! كما سادت بغداد أجواء متوتره بعد تجدد الاشتباكات واشتعال الحرب مع الدولة العلوية في طبرستان . فيما كانت التقارير ترد القصر بوصول مبالغ كبيرة من محمد بن زيد العلوي زعيم الدولة العلوية الىٰ رجل يدعىٰ محمد بن ورد العطار لتوزيعها علىٰ العلويين في بغداد والكوفة فألقي القبض عليه وسيق الىٰ قصر «بدر» غلام المعتضد .

في مطلع عام ٢٨٤هـ قرر المعتضد لعن معاوية بن أبي سفيان والطغمة الاموية علىٰ المنابر، واستخرج من خزانة الدولة كتاباً في لعن معاوية كان الخليفة المأمون قد أعدّه في خلافته، وتم اعداد كتاب موجز أخذ من جوامع كتاب المأمون، وتناقل أهل بغداد اخبار عن الموعد المقرّر لقراءة الكتاب والذي سيكون ١١ جمادى الآخرة.

وكان المعتضد مصمماً علىٰ ذلك لولا أن حذّره القاضي يوسف بن يعقوب من العواقب الوخيمة قائلاً:

ـ إني أخاف أن تضطرب العامّة عند سماعها هذا الكتاب.

قال المعتضد:

ـ اذا تحركت العامّة أو نطقت وضعت سيفي فيها.

قال القاضي محذراً من خطر العلويين:

ـ يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين يثورون في كل ناحية؟ وكثير من الناس يميلون اليهم لقرابتهم من الرسول ومآثرهم؟ وفي هذا الكتاب اطراء لهم.. فاذا سمع الناس هذا الكتاب كانوا اليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنة واثبت حجة منهم اليوم.

وأطرق المعتضد والتزم الصمت، ولكن الكتاب انتهىٰ أمره ولم يقرأ بالرغم من ان التاريخ حفظه بالتفصيل[1].

الحادثة الأولى:

في منتصف شعبان وقع حادث غريب عندما ظهر تحت جنح الظلام شخص مسلّح في قصر الثريّا الذي انتقل اليه المعتضد رسمياً منذ زفاف «قطر الندىٰ» وعندما أراد أحد الخدم أن يتعرف علىٰ هوّيته ضربه الشخص بالسيف فقطع حزام الخادم الذي فرّ مذعوراً..

---

(١) راجع تاريخ الطبري حوادث سنة ٢٨٤هـ

ثم توارىٰ الشخص المجهول في حدائق القصر! وشعر المعتضد بالرعب وهو يصدر أوامره الىٰ الحرس بالبحث خلال الاشجار واستمر البحث حتىٰ مطلع الفجر ولكن لم يعثر له علىٰ أثر!!

ثم ظهر ثانية بعد ليالي أخرىٰ.

وعُزّزت أسوار القصر بمادة هشّة تحسباً من استخدام كلاليب التسلّق.. كما أمر الخليفة بأحضار من في السجن من اللصوص ليناقشهم في امكانية الدخول الىٰ القصر تسلّقا أو نقباً[1]؟!

وتناقل الناس حكايات حول هذا الشخص وأنه ربما كان من الجن ظهر للخليفة بسبب ايغاله في سفك الدماء.. وانه ربما كان شيطاناً أو من مؤمنيّ الجنّ.

وكان الجواسيس ينقلون اليه بعض ما يتناقله الناس ولكن المعتضد يبدو قد صدّق حكاية الخادم الذي وقع في هوىٰ إحدىٰ جواري القصر وانه يتناول بعض العقاقير الخاصة فلا يدرك بحاسة البصر[2]!

وعمد المعتضد الىٰ تعذيب بعض الخدم والجواري حتىٰ الموت والقىٰ في السجن آخرين.

وكان المعتضد تشتد هواجسه وقلقه عندما يحل المساء الخريفي ففي منتصف الليل عاود ذلك الشبح ظهوره مرّة أخرىٰ في رمضان وكانت الأبواب تفتح وتغلق..

وكان المعتضد يركض كالمخبول في أروقة القصر فكان يراه مرّة في صورة راهب ذي لحية بيضاء وتارة في صورة شاب حسن الوجه بلحية سوداء وتارة في صورة شيخ يرتدي زي التجار وتارة أخرىٰ بيده سيف مسلول[3].

وأصبح المعتضد فيما يبدو في حالة نفسية متدهورة حتىٰ أنه أمر باحضار المجذوبين والمجانين والمعزّمين فاحضروا وكانت فيهم امرأة.

---

(١) مروج الذهب: ٢٧٧/٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

ان أحداً لا يدري هل كان الشبح الذي كان يراه الخليفة حقيقة أم ان ما يراه لا يعدو أن يكون أشباح ضحاياه تتراءىٰ له في قلب الظلام..

لقد كان الخليفة يشرف شخصياً علىٰ مختلف الطرق في التعذيب الوحشي.. فكانت مشاهد التعذيب البشعة مما لا يمكن احتمالها لدىٰ انسان فيه بقيا من الانسانية[1].

وسيبقىٰ ما رآه الخليفة في قصر الثريا لغزاً من ألغاز التاريخ!

ونختتم عهد المعتضد الدموي بالاشارة الىٰ وفاة الأميرة قطر الندىٰ سنة ٢٨٧ ولما تناهز العشرين بعد!!

وفي عام ٢٨٨ شهد الشمال الافريقي ظهور رجل يدّعي أنه المهدي وفي عام ٢٨٩ توفي المعتضد ليتولّىٰ الخلافة بعده ابنه «المكتفي» وبدأ رعب القرامطة الذي أقلق العالم الاسلامي.

الحادثة الثانية:

وقبل أن نوردها نشير الىٰ اعتقال الحلاّج سنة ٣٠١هـ بتهمة الزندقة والالحاد علماً بأنّه متهم أيضاً بادّعائه السفارة للامام المهدي وقد فضحه الزعيم والعالم الشيعي أبو سهل بن اسماعيل النوبختي، والذي يمت برابطة نسب الىٰ الشيخ الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للامام المهدي.

في عام ٣١٤هـ كانت بغداد تتابع بقلق بالغ تحركات القرامطة الذين يثيرون الرعب في كل مكان يقتربون منه.

فقد فرّ أهل مكة الىٰ الطائف عندما سمعوا بزحف «أبي طاهر القرمطي» اليها ولكن سرعان ما وصلت الاخبار أنه في طريقه الىٰ العراق.. وأنّ هدفه الاول سيكون الكوفة..

---

(١) المصدر نفسه: ٢٦٧/٤.

كتب الخليفة الىٰ يوسف ابن أبي الساج الذي يرابط في مدينة واسط أن يتحرك بسرعة صوب الكوفة .. وأخبره بان أطنانا من المؤن بما في ذلك القمح والشعير بانتظاره .

ويشاء القدر أن تسقط هذه المؤن بيد أبي طاهر وعندما وصل الجيش العباسي في الثامن من شوّال وجد الطريق الىٰ الكوفة قد سقط بأيدي القرامطة .

كان الجيش العباسي يفوق قوّات القرامطة اضعافاً مضاعفة ، ولذا شعر ابن أبي الساج بالغرور وأمر باعداد كتاب الفتح قبل أن تبدأ العمليات الحربية ؟

ونشبت المعركة في ضحىٰ يوم السبت ٩ شوال واستمرت حتىٰ الغروب ، وقاد أبو طاهر هجوماً مدمّراً حطم فيه خطوط الجيش العباسي الذي انهار فجأة ، ووقع يوسف في أسر القرامطة ووكل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه .

وصلت فلول المنهزمين بغداد حفاة عراة وكان لمنظرهم المأساوي الأثر الرهيب في بث الرعب في المدينة واصدر «نازك» قائد الشرطة العام أمراً بمنع التجول ليلاً ونفذ الاعدام بالمتخلفين .

وبدأ سكان بغداد يعدّون العدّة للفرار من المدينة الىٰ همدان في ايران ، فيما وصلت انباء مؤكدة ان القرامطة في طريقهم الىٰ الانبار .

استدعىٰ الخليفة القائد العسكري مؤنس المظفر لمواجهة القرامطة ، فحرّك خمسمئة زورق مشحون بالجنود لصدّ القرامطة اذا حاولوا عبور نهر الفرات .

حرّك القائد قطعات من قواته الىٰ الأنبار لتعزيز دفاعات المدينة التي قام أهلها بقطع الجسر .

وعسكر القرامطة في الجانب الغربي من النهر ، وفي عملية سريعة قام القرامطة بالافادة من السفن الموجودة في مدينة «حديثة» التي سقطت في أيديهم فعبر ثلاثمئة محارب الىٰ الانبار وسرعان ما فرّ جنود الخليفة ، فعقد الجسر مرّة أخرىٰ وعبرت قوّات القرامطة لتدخل الانبار دخول الفاتحين .

وفي غمرة الرعب الذي عمّ بغداد ألقي القبض علىٰ رجل قرمطي اتهم بمراسلته لأبي طاهر وتسريبه أخبار ومعلومات هامّة وسيق الرجل الىٰ قصر رئاسة الوزراء حيث تم استجوابه .

ـ هل تقرّ بذلك ؟

ـ نعم !

ـ لماذا ؟

ـ لأنني أرىٰ أبا طاهر علىٰ الحق ، وأنت وخليفتك كفار تأخذون ماليس لكم . .

وسكت لحظات ليقول :

ـ ولابدّ لله من حجة في أرضه . . وإمامنا المهدي محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ! !

إننا لسنا كالرافضة ولا الاثني عشرية الذين يقولون بجهلهم إن لهم اماماً ينتظرونه ويكذب بعضهم لبعض . . فيقول رأيته وسمعته وهو يقرأ . . ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطىٰ من العمر ما يظنونه . .

سكت رئيس الوزراء ثم قال :

ـ أنت تعرف أشياء كثيرة عن عسكرنا فمن فيهم علىٰ مذهبك .

نظر الرجل وأفتر عن ابتسامة ساخرة وقال :

ـ أنت بهذا العقل تدير الوزارة . . كيف تظنني أسلم قوماً مؤمنين الىٰ قوم كافرين يقتلونهم ؟ لن أفعل ذلك ! !

شعر رئيس الوزراء بالغيظ لهذه الاهانة واصدر أوامر بتعذيبه وعدم تقديم الطعام والشراب اليه فظل ثلاثة أيام ثم مات[1] .

وإفادات الرجل وما ورد في وقائع المحاكمة تشير الىٰ ان مسألة المهدي مسألة

---

(١) تاريخ الطبري: ٦٧/١٠ حوادث سنة ٢٨٥هـ

جادّة حتىٰ انها استغلت في تأسيس دولة قوية علىٰ انقاض دولة الادارسة في الشمال الافريقي كما أن الاثني عشرية وفقاً لافادته يطرحون منذ البداية مسألة الغيبة والعمر الطويل مع ان عمر الامام وقت المحاكمة يناهز الثامنة والخمسين عاماً.

كما أن مسألة وجوب وجود حجة لله قد ولجت في أذهان كثيرين ممن يناهضون الحكم القائم.

ونختتم هذا الفصل باثارة ما اثبته الدكتور عبدالسلام الترمانيني في موسوعته التاريخية.. وفي عمود الوفيات في سنة ٢٧٥هـ الذي جاء تحت عنوان اختفاء «محمد بن الحسن العسكري» : «هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي. أبو القاسم. آخر الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الامامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي المنتظر والحجة وصاحب السرداب.

ولد بسامرّاء ومات أبوه وله من العمر خمس سنين، ولمّا بلغ التاسعة عشرة من عمره دخل سرداباً في دار ابيه بسامرّاء ولم يخرج منه»[1].

وقد اعتمد الدكتور المؤرخ مصدرين هما :

وفيات الاعيان لابن خلكان وفيه : «.. وذكر ابن الازرق في تاريخ ميّافارقين» أن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأول سنة ٢٥٨هـ، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين وهو الاصح، وأنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين، وقيل خمس سنين وقيل أنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين.. وعمره سبع عشر سنة والله أعلم أي ذلك كان، رحمه الله تعالىٰ»[2].

كما اعتمد الأعلام للزركلي وقد ورد فيه :

---

(١) احداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين ج٢: ٢٣٧/١ ـ ٢٤٤ وقائع سنة ٢٧٥هـ

(٢) وفيات الاعيان: ١٧٦/٤ ط دار الثقافة بيروت.

«محمد بن الحسن العسكري (الخالص) بن علي الهادي، أبو القاسم آخر الائمة الاثني عشر عند الامامية. وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظر والحجة وصاحب السرداب. ولد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين. ولما بلغ التاسعة أو العاشرة أو التاسعة عشرة دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء ولم يخرج منه»[1].

وقد ذكرنا من قبل نبأ اعتقال المعتضد بأوامر من والده (الموفق) وشغب اتباعه مع اننا لا نعلم سبباً واضحاً للاعتقال لكنه يكشف بجلاء أن المعتضد كان له جهاز ارهابي كوّنه منذ وقت مبكّر وان «رشيقاً» وغيره اعضاء في ذلك الجهاز وإلّا ماتوترت الاجواء في بغداد سنة ٢٧٥هـ واندلاع حوادث شغب اثارها اتباع المعتضد وتجمعهم في جسر الرصافة ؟

وتذكر مدونات الامامية أن المعتضد ارسل قوات لاعتقال الامام وانه كان في السرداب يتلو القرآن وأنه خرج من السكّة التي علىٰ باب السرداب.

والرواية تورد اسم المعتضد صراحة لكنها لا تحدد تاريخاً للهجوم ولذا فمن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث سنة ٢٧٥هـ.

وبهذا يكون اختفاء الامام المهدي في السرداب طبيعياً جداً وقد أشرنا الىٰ واقعة اختفاء زوجة المتوكل بعد الاطاحة بابنها الخليفة (المعتز) سنة ٢٥٥هـ ولم يعثر لها علىٰ اثر بعد أن فرّت من نفق سرّي بين مخدع نومها ونقطة خارج أسوار القصر.

وتؤيد المدونات الشيعية هذا الاختفاء باعتبار الهجوم علىٰ دار الامام في عهد المعتضد هو آخر محاولة من الدولة للقبض عليه، ولعلّه قد غادر سامراء نهائياً بعد أن أخذت بالاضمحلال لعودة الخليفة الىٰ العاصمة الكبرىٰ بغداد، وهناك روايات تشير الىٰ ان الامام كان يدخل بغداد بزيّ التجار[2].

---

(١) الاعلام: ٦/٣١٠ ط٣.

(٢) محمد صادق الصدر موسوعة الامام المهدي / الغيبة.

كلمة أخيرة:

في ظروف سياسية وفكرية عاصفة منذ مصرع الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ وحتىٰ سنة ٣٢٩هـ وهي السنة التي شهدت فيها بغداد انقضاض الشهب منذ المساء وحتىٰ مطلع الفجر واجتياح دجلة في فيضان مدمّر منازل بغداد[١] التي اتسمت بالفوضى وغياب الاستقرار نجد حركة هادئة تتسم بالثبات والتوازن والعمق هي حركة المهدي التي مرّت بمراحل عديدة فقد كانت منذ تاريخ الرسالة المحمدية بشارة بشر بها النبي أمته، وظل الائمة من أهل البحث يتوارثون هذه البشارة حتى عصر الامام الهادي الذي أضاف الىٰ البشارة إجراءات عملية أشرنا اليها في ممارسته الاتصال من وراء حجاب (عبر الوكلاء) ومنحهم دوراً أكبر وتعزيز ثقة الناس بهم، وأيضاً شراء دار فخمة توفر أرضية مناسبة لاختفاء وحماية حفيده، وشراءه جارية تتوفر فيها مواصفات محددة ولتكون زوجة لنجله الحسن عليه السلام ثم دخلت حركة المهدي مرحلة أخرىٰ من خلال ولادته في ظروف خطيرة ودخوله ضمير كثير من الأفراد الواعين كحقيقة ساطعة، ثم مرحلة السفارة.

ونحن لا ننكر ظاهرة الحيرة التي وقعت للشيعة ابان وفاة الامام الحسن، ولكن من يقرأ تفاصيل تلك الحقبة ينتهي الىٰ تصوّر أن الحيرة كانت بمثابة سحابة صيف عابرة وأن حركة المهدي واصلت مسارها بشكل هادىء رغم تقلبات الظروف وهناك بعدان رافقا حركة المهدي في مراحلها كافة هي غيبته الطويلة وعالميته وهذا ما يجعلنا نتفهم أسرار الغياب الطويل، فالعالم يتحرك نحو العالمية بخطىٰ واسعة وهو أمر لم يكن مفهوماً آنذاك لكننا نجد حديث الأرض التي تملأ عدلاً وقسطاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً من أبرز الاحاديث التي ترتبط بالامام المهدي وتسمه بميسم ثابت.

---

(١) تاريخ بغداد: ٧٣/١ ط المكتبة السلفية وفيها ضربت صاعقة القبة الخضراء وتحطم تمثال الفارس الذي يتربع فوقها منذ سنة ١٤٥هـ وهي سنة بناء وتأسيس بغداد في عهد المنصور وهي نفس السنة التي انتهت فيها الغيبة الصغرىٰ.

ان حركة أهل البيت بشكل عام هي حركة مستقرّة في عمق التغيرّات الانسانية بعيداً عن انفعالات السطح ، فالعالم اشبه بالبحر المتلاطم الأمواج فيما مياه الاعـماق هادئة دائماً تغمرها سكينة وجلال .

ولعل في صمت الامام علي مدّة ربع قرن أكبر دليل علىٰ هذه الحركة الهادئة التي تنظر الىٰ المديات البعيدة حيث يتطلع الانبياء .

فعلي بن أبي طالب هو من نهض بمسؤوليته مذ كان صبياً في العاشرة وخاض غمار الحروب والمقاومة حتىٰ أصبحت للاسلام دولة فكان بطل الاسلام وسيفه الذي لا يقهر ، لكننا نراه يلوذ بالصمت التام عـندما ذرّت الأطـماع رؤوسهـا والنـفوس أطماعها في حطام الدنيا .

ظاهرة الانتظار..

الاشعاع الأخلاقي:

من الطبيعي أن تفرز النبوءات التي حملتها الكتب المقدسة والرسالات الالهية حالة من الانتظار والترقب.

وهذه الظاهرة التي ولجت الضمير الانساني وواكبت تاريخه الطويل تتأثر دائماً بالاطار البيئي، النفسي والتربوي، وسنلاحظ ان الانتظار يفرغ من محتواه الايجابي ليشل حركة الانسان في ضوء الاشعاع الفكري الذي يقعد بالانسان عن القيام بأي خطوة للتغيير بانتظار الذي يأتي وينهض بمهمة الاصلاح، فهذه حالة من الانتظار السلبي تسلب المرء ارادته ومبادرته، فيما نرى اشعاعاً ايجابياً لفكرة الانتظار تنطوي على أمل مشرق يلوح في الأفق وينعش حالة التحرك نحو تحقيق الهدف وبلوغ الغاية المنشودة.

فالوعد الالهي الذي يشع من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ**﴾[1] والذي جذّره النبي ﷺ بوضوح أكثر في قوله: «أبشركم بالمهدي يُبعث في أمتي على أختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2] هذا الوعد يرسم في الضمير الاسلامي النقي أفقاً مشرقاً يزخر بالأمل الأخضر والخلاص ونهاية مسلسل العذاب الذي يواكب حركة التاريخ البشري الطويل.

---

(١) الانبياء / ١٠٥.

(٢) مسند ابن حنبل: ٣٩٣/٣ ح١٩٧٤٦.

ومع هذا فان الانتظار إذا لم يلج الوجدان الانساني بنقاء فانه يفرز حالة سلبية لا تبعث على الحركة فحسب بل وتقضي على أي مخزون للطاقة في التحرك والسعي والتغيير وسيكون له دور اصطدامي مع آيات قرآنية صريحة المدلول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اَللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

اما الاتجاه الايجابي في الانتظار فانه ينطوي على قيمة حضارية كبرى انطلاقاً من وجود أمل كبير في حتمية تحقق الهدف النهائي والمنشود.

فالانتظار كظاهرة اجتماعية كانت تتأرجح بين كونها عاملاً في الحركة والسعي والتغيير، وبين صيرورتها أغلالا تكبل ارادة الانسان وتدفعه الى الترقب السلبي وهو انتظار خاو لا ينطوي على أي طاقة حضارية.

والانتظار بشكل عام ولّد تجربة نفسيه غنية تعد «من أوسع التجارب النفسية واكثرها عموماً بين أفراد الانسان»[2].

فالانتظار الذي ينهض على ايمان عميق بمستقبل أخضر للبشرية سيتفجّر عنه ينبوع الأمل إذ يتعدى حالة العزاء الى ما هو أبعد.. الى صيرورته طاقة حركية تمدّ عملية التغيير الاجتماعي بالروح والقوّة والصبر.

ولعل استقراءً لظاهرة الانتظار يقودنا الى اعتبارها نزوعاً فطرياً مغروساً في وجدان البشر، فحتى الماركسية الغارقة في تفكيرها المادي لم تتجاوزها يقول برتراند راسل: «الانتظار لا يخص الاديان فحسب، بل المدارس والمذاهب أيضاً تنتظر منقذاً ينشر العدل» فهو يكاد يوازي النزوع الوجداني للايمان.

الانتظار السلبي:

ليس هناك شك في أن مسألة غيبة الامام المهدي تفرز في بعض الظروف حالة

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) محمد باقر الصدر ـ بحث حول المهدي: ص٥٤ ط الغدير ١٩٩٦.

من الانتظار السلبي ، وهذه الحالة لا ترتبط بجوهر المسألة وانما تحددها ظروف بيئية وثقافية تفضي عادة الى الانتظار الذي يسلب الانسان ارادته وحقه في التغيير وبذلك يتعطل دور الآيات القرآنية التي تخاطب الانسان وتطالبه بأداء دوره العبادي في الارض ، ومن التعسّف ان نعلّق حالة الانتظارالسلبي على ظاهرة الانتظار بشكل لا يترك قدراً من المسؤولية الأخلاقية للانسان نفسه .

ومن المؤسف أن نجعل هذه الحالة وليدة الايمان بالامام الغائب الذي يجعل المرء في حالة انتظار سلبية ريثما يظهر الغائب .

ومع أن هذه الحالة قد تركت آثاراً تاريخية طبعت مسار المؤمنين بالامام الغائب بطابعها ، وعطلت دورهم الاجتماعي والسياسي ، ولكن هذه الظاهرة يجب أن تناقش في اطار الفهم البشري الذي يخطيء ويصيب وينمو وينحسر متأثراً بالظروف العامة .

ومع أن نصوص الانتظار لا تحمل في طيّاتها هذا الاتجاه في التفسير السلبي .

كما ينطوي بعضها على حالة اخبارية أي التنبوء بفشل واخفاق الحركات التغييرية التي تسبق ظهور الامام الغائب ، وهذا لا يعني بالضرورة ادانتها فأي ادانة مثلاً في هذا النص : «والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم ، الاّ كان مثَله مثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به» فكم من النظريات من حلق في سماء الفكر والسياسة والادارة ثم هوى على الارض صريعاً ؟ !

وهناك مساحة للعمل التغييري في اتجاه التمهيد لعملية التغيير الكبرى المنتظرة

ونموذجاً على ذلك ما قام به الامام الشهيد محمد باقر الصدر الذي ألّف في مسألة المهدي بحثه الرائد ، لم يفهم من الانتظار الجانب السلبي منه واقدم على خطوة استشهادية مستلهماً فيها ثقافة عاشوراء التي تخطط للاجيال والمستقبل .

وتزامنت خطوته مع ثورة الامام الخميني الذي يؤمن بالمهدي أعمق الايمان فلم تكن ولاية الفقيه سوى نيابة عن الامام الغائب في قيادة العمل التغييري نحو الامام باتجاه التكامل الانساني .

ومن هنا فان مسألة الانتظار في جوهرها تنطوي على اشعاع أخلاقي ودور اجتماعي ايجابي يرشّد العمل التغييري ويدفعه باتجاه الهدف المنشود.

المخزون الايجابي للانتظار:

يعبر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: ان المشهور من الكافة من أهل الاسلام على مرّ الاعصار، انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، يستولي على الممالك الاسلامية ويسمّى بـ«المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وان عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته»[1].

وهذا النص يترجم قوّة النقل الحديثي في النصوص الاسلامية حول مسألة المهدي التي ينبغي أن تجتاز لدى العالم السني حالة النص التاريخي المغيّب في بطون الكتب لتتحول الى هاجس مستقبلي، فمادامت القضية ترتبط بآخر الزمان هي قضية مستقبلية تتطلب التفكير الجاد على أساس ان المهدي يقود مستقبل الاسلام في نهاية المطاف.

وهنا يكمن الفرق بين العالم الشيعي الذي عاش قضية المهدي وجدانياً فتعثر حيناً ومشى يقطع أشواطاً في أحيان أخرى وأخطأ وأصاب قاطعاً خطوات هامّة في طريق التكامل والتعامل مع هذه القضية بشكل ايجابي فيما يتعامل العالم السني معها باعتبارها ارثاً فكرياً وجزءاً من التراث الاسلامي العريق.

والانتظار يتحول من خلال مخزونه الايجابي الى دافع للحركة والنمو وهذا يتوقف بطبيعة الحال على دخوله دائرة الضمير كأمل أخضر ودائرة العقل كأسلوب للتفكير وبالتالي استحالته الى رؤية للمستقبل القادم.

---

(١) مقدمة ابن خلدون / ٣١١.

ومن هنا يكون للانتظار قيمة حضارية بناءة ومؤثرة وفي أدبيات المذهب الامامي يدخل الانتظار في صياغة البعد الروحي من خلال الارتباط الوثيق بالغائب ودعوته الى الظهور ولعل في «دعاء الندبة» شاهداً ثقافياً جلياً يكشف عن صياغة روحية للانسان الذي يعلن عن استعداده الكامل في خوض عملية التغيير الكبرى.

ان «انتظار الانقاذ في ما ليس بوسع الانسان ان يقدمه أو يؤخّره، كما لو كان الغريق ينتظر وصول فريق الانقاذ اليه من الساحل ويراهم مقبلين إليه لانقاذه، فانه من المؤكد ان الغريق لا يستطيع ان يقدّم وصول فريق الانقاذ إليه، الاّ أنه من المؤكد ايضاً أن هذا الانتظار يبعث في الغريق أملاً قوياً في النجاة ويدخل نور الأمل على ظلمات اليأس التي تحيط به من كل جانب»[1].

فهنا يدخل الأمل كعنصر أساس في بعث روح المقاومة فيما يدخل اليأس كعامل انهيار وهزيمة.

فالانتظار يؤدي الى انبعاث الأمل والأمل يبعث روح المقاومة وبالتالي الحركة[2].

وهناك نقطة جديرة بالتأمل وهي أن ظاهرة الانتظار وبالرغم من كونها ظاهرة عامّة واكبت التاريخ الانساني ولكنها تعرّضت الى تغير جوهري لدى الامامية بعد الايمان بولادته سنة ٢٥٦ هـ وهذا التغير ينطلق من توقع ظهور الغائب في أية لحظة وما يزال الاشعاع الفكري مستمراً حتى الآن.

فهناك ايمان عام بحتمية الظهور ذات يوم ثم انتقل منذ ذلك التاريخ الى هاجس زمني بعد توفر المصداق خاصّة لدى جماهير الإمامية.

ولدى استقراء التاريخ الاسلامي بشكل عام والشيعي بشكل خاص نجد خطّاً بيانياً يتصاعد مضطرداً في الاهتمام بهذه المسألة.

---

(١) الشيخ الآصفي ـ الانتظار الموجّه / ١٣ ط دار الغدير لبنان ١٩٩٧.
(٢) المصدر السابق / ١٤ ـ ١٥.

فلم تكن في زمن النبي لتتعدى بضعة أحاديث تنتقل عبر صدور الرواة ثم ما لبثت ان اخذت مساراً جديداً عبر الزمن الى مطلع العصر العباسي الثاني واشتداد المحن التي المت بالعالم الاسلامي وبالخصوص القواعد الشعبية للمذهب الامامي .

ان مسألة الانتظار لدى الشيعة الامامية هي موقفهم خلال فترة الغيبة الكبرى ، ودورهم الاجتماعي وبوضوح أكثر مسألة الجهاد والحكم .

ان وهج الآيات القرآنية لا يمكن ان يخبو في ظل أي من الظروف فقوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا ٱستَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] .

يشير إلىٰ أن القرآن الكريم يؤكد استمرار خط الرسالات الالهية حتى في غياب النبوات بنفس الاتجاه الذي انطلقت فيه وهو هداية الانسانية نحو الكمال وبناء حياة تحقق إنسانية الإنسان وكرامته وهذا يستلزم استمرار حركة الجهاد وتزعم عملية البناء الاجتماعي وقيادته .

غير أن هناك نقطة جديرة بالاهتمام وهي ان الجهاد لا يعني دائماً رفع السلاح فالجهاد له اساليب متنوعة تمتد لتشمل حالات العصيان المدني .

وقد اثبتت تجارب الامم المعاصرة وبما اصطلح عليه بالنضال السلبي جدوى مثل هذا الاسلوب ولعل ابرز امثلته التجربة الهندية في الاستقلال على يد داعية اللاعنف غاندى .

غير ان تضخيم هذه الحالة ومحاولة التأسيس لها بشكل يلغي أو يسيء الى الاساليب الجهادية الاخرى أمر تعسفي مجانب للمنطق . « . . فان العزلة على أي حال

---

(١) الانفال: ٦٠.

(٢) التوبة: ١١١.

تعني السلبية والانسحاب والسلبية في الأعمال الأغلب تعني الراحة والاستقرار . ومن الواضح جداً أن الفرد لا يتكامل اخلاصه ووعيه الاسلامى الاّ بـالعمل والتـضحية ومواجهة الصعوبات»[1] .

ذلك ان الجهاد الايجابي تكاد تكون له الكفة الراجحة في ظـل الارث الروائي الذي يشير الى وجود من يخرج قبل عصر الظهور ليمهد للثورة الكـبرى : «يخـرج اناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه»[2] .

ومن هنا فان مسألة الانتظار الايجابي تكتسب من الأصالة مـا يجـعلها قـوية ومنطقية حتى مع وجود زخم اخباري يؤكد فشل واخفاق جميع نظريات الحكم : «ما يكون هذا الأمر (دولة المهدي) حتى لا يبقى صنف من النـاس الاّ وقـد ولّـوا مـن الناس ، حتى لا يقول قائل : إنّا لو ولينا لعدلنا . ثم يقوم القائم بالحق»[3] .

«ان دولتنا آخر الدول . ولم يبق أهل بيت لهم دولة الاّ ملكوا قبلنا ، لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا لو ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزوجل : ﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] .

فهذه التجارب الانسانية على تعددها تنطوي على عناصر التكـامل البـشري الذي يمهد الأرضية المناسبة لعملية التغيير الكبرى التي تتوقف على وجود انسان فذ واكب مسار الحضارات وتشرّب قوانين التاريخ والزمن .

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر :

ومن الواضح أن الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مـع حـجم التغيير نفسه ، وما يُراد القضاء عليه من حضارة وكيان ، فكلما كانت المواجهة لكيان

---

(١) محمد باقر الصدر ـ بحث حول المهدي / ٨٥ ـ ٨٩.

(٢) بحار الانوار: ٨٧/٥١

(٣) الغيبة / ١٤٦.

(٤) اعلام الورى / ٤٣٢.

أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يُراد تقويضها واستبدال حضارة العدل والحق بها؛ لأنّ من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تغمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش وفي نفسه الشعور بالهيبة تجاهها؛ لأنه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً وهي جبارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة.

وخلافاً لذلك، شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن ترى تلك الحضارة النور ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأُخرى ثم تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ..

ثمّ رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكوّن الفصل الأخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، راها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين..

ثمّ شاهدها وقد اتخذت مواقعها في أحشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر..

ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة أُخرى..

ثمّ واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله، فإنّ شخصاً من هذا القبيل عاش كلّ هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر إلى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسّه لا في بطون كتب التاريخ فحسب، ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو) إلى الملكية في فرنسا، فقد جاء عنه أنه كان يرعبه مجرد أن يتصور فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً

وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذ ؛ لأن (روسو) هـذا نشأ في ظـل الملَكية ، وتنفس هواءها طيلة حياته ، وأما هذا الشخص المتوغل في التاريخ ، فـله هيبة التاريخ ، وقوة التاريخ ، والشعور المفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة وليد يوم من أيام التاريخ ، تهيأت له الأسباب فوُجِد ، وستتهيأ الأسباب فيزول ، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يَوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد ، وأنّ الأعمار التـاريخية للحضارات والكيانات مهما طالت فـهي ليست إلّا أيـاماً قـصيرة في عـمر التـاريخ الطويل .

هل قرأت سورة الكهف ؟

وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ؟ وواجـهوا كياناً وثنياً حاكماً ، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وهدة الشرك ، فضاقت نفوسهم ودبّ إليها اليأس وسدّت مـنافذ الأمـل أمـام أعينهم ، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحـلول ، وكبر في نفوسهم أن يظل الباطل يحكم ويظلم ويقهر الحق ويُصفّي كلّ من يخفق قلبه للحق .

هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم ؟

إنه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف ، ثمّ بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة ، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه قد تداعى وسقط ، وأصبح تاريخاً لا يُرعِبُ أحداً ولا يُحرك ساكناً ، كلّ ذلك لكي يشهدَ هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره ، ويروا انـتهاء أمره باعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم .

ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكلّ ما تحمل مـن زخـم وشموخ نفسيّيْن من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدّد حياتهم ثلاثمائة سنة ، فإن الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يـتيح له أن يـشهد

العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة والإعصار وهو مجرد نسمة .

أضف إلى ذلك ، أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة ، والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود ؛ لأنها تضع الشخص المدّخَر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكلّ ما فيها من نقاط الضعف والقوة ، ومن ألوان الخطأ والصواب ، وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها ، وكل ملابساتها التاريخية .

ثمّ إنّ عملية التغيير المدّخرة للقائدة المنتظر تقوم على اساس رسالة معينة هي رسالة الإسلام ، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأُولى ، قد بُنيت شخصيته بناءاً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة التي يُقدّر لليوم الموعود أن يحاربها .

وخلافاً لذلك ، الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتنفتح أفكاره ومشاعره في إطارها ، فإنّه لا يتخلص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها ، وإن قاد حملة تغييرية ضدها .

فلكي يُضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي أُعدّ لاستبدالها لابدّ أن تكون شخصيته قد بُنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تكون في الروح العامّة ومن ناحية المبدأ الى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود الى تحقيقها بقيادته[1] .

ومن هنا يدخل الانتظار قيمة حضارية تخلق «الأمل» و«المقاومة» و«الحركة» التي تؤدي في غالبية الأحوال الى الخلاص أو التمهيد للخلاص فالأمل يسلح المرء برؤية تخترق قضبان الزمن الى المستقبل المشرق فتستحيل عذابات الحاضر الى

---

(١) محمد باقر الصدر ـ بحث حول المهدي / ٨٥ ـ ٨٩

اختبار وامتحان يلزمه الصمود والصبر والمقاومة ويكون صبره لاخنوعاً ومقاومته لا تحملاً فقط وانما مواجهة حقيقية لتغيير الواقع .

ونحن ندرك أن قانون التغيير يعتمد معادلة طرفاها الله سبحانه والانسان : «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم» فالفعل التغييري يتوقف على حركة الانسان هذه الحركة التى تؤهله لعملية التغيير .

ونذكّر مرّة أخرى بالحركة التمهيدية التي تسبق ظهور الامام الغائب والتي تنسجم تمام الانسجام مع فكرة الانتظار بمعناها الايجابي ومخزونها الحضاري .

ومراجعة للأحاديث التي تتعلق بجهود الموطئين توضح المساحات الجغرافية المترامية التي تنهض بهذه المهمة التغييرية .

فهناك رايات سود تظهر في الشرق تتقدم نحو النصر بخطى ثابتة حتى تسلّم اللواء الى رجل من أهل البيت[1] .

وهناك راية تظهر في خراسان تقاتل السفياني حتى تصل بيت المقدس تمهد للمهدي حكومته[2] .

وتمتد هذه الحركة من ايران الى اليمن[3] لتتكلل فيما بعد في الحجاز والعراق ومشاريع التمهيد ستكون واسعة وكبيرة جداً ومصيرية وسيحتدم الصراع في البداية مع ثقافة الاستكبار التي تحاول قهر العالم الاسلامي وتذويب شخصيته وكيانه قبل أن يتطور الصراع الى مواجهة تظهر فيها المدافع والطائرات من مخابئها .

وستكون هناك استجابة حقيقية لنداء القرآن الكريم : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ﴾ .

---

(١) مستدرك الصحيحين / ٤٦٤، بحار الأنوار: ٢٤٣/٥٢.

(٢) عصر الظهور: ٢٠٦.

(٣) بحار الانوار: ٢٣٢/٥٢.

وفي هذا الفصل من فصول التاريخ الانساني ستبرز بشكل واضح ومدهش ثقافة الاستشهاد بعد هزيمة الثقافة التخاذلية التساومية .

وفي هذه المرحلة من تاريخ البشر سيتجلى أيضاً الحبّ الالهي ، هذا الحبّ الذي يرشّد حركة الانسان مذ كان طفلاً يحب والديه ثم أخويه وأخواته واصدقاءه ومن ثمّ الى الحب الطاهر الذي يقوده الى نصفه الآخر ليتكامل في ظل الشرعية والسير في الطريق المضيء طريق الفضيلة والخير والسلام .

ولدينا نموذج متألق في ما حدث في ايران فثقافة الانتظار الايجابي والايمان الراسخ بالمصلح الغائب وحضور النائب هي وراء انتصار الثورة الاسلامية بقيادة السيد الخميني .

وليس هناك من ينكر أن الدعاء وخاصّة الدعاء من أجل المهدي !

«اللهم كن لوليّك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعينا حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً» وكذا دعاء الشكوى والألم والاستعانة من أجل التغيير : «اللهم إنّا نشكو اليك فقد نبينا وكثرة عدونا وقلة عددنا وشدّة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا . . اللهم إنّا نرغب اليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»[1] . وغيرهما يشكل جزءً من المخزون الروحي الذي أهل الشعب الايراني وقاده في دروب الجهاد والثورة .

وفي ضوء ما تقدّم نستوعب ما روي عن النبيﷺ قوله : أفضل أعمال أمتي الانتظار[2] .

فالانتظار حركة باتجاه التغيير وليس توقفاً بانتظار الخلاص .

---

(١) دعاء الافتتاح.

(٢) الزام الناصب: ٤٦٩/١.

عالم الغد

ليست هناك من حدود فاصلة بين ما نطلق عليه الماضي والحاضر والمستقبل، ذلك ان مسار الزمن يبقى متصلاً حتى يبلغ الكتاب أجله.

أنه لا يعني ان ما يقع فيه من حوادث سيكون متكرراً بصورة وأخرى فهو ينطوي في حركته على غائية ما نجهلها ونحاول الكشف عنها.

من هنا وبسبب ميل فطري لدى الانسان قديماً وتجسّد في محاولات الكشف عن استار الغيب وحوادث الغد ظهرت أخيراً مراكز علمية لإستشراف المستقبل.

وتنامىٰ الاهتمام بالداراسات المستقبلية في عالم اليوم فاصبحت لدى بعض الامم جزءاً حياتياً من نشاطها وكفاحها فهناك رغبة قوية في استشراف المستقبل للتحكم فيه والسيطرة عليه في عملية التغيير الاجتماعي.

مع التأكيد على أن الدراسات الاستشرافية عادة ما تنهض على مجموعة من الاهداف والغايات وفي ضوئها تصاغ الخطط المستقبلية.

وبالرغم من ان الدراسات تهتم بالمستقبل على مديات زمنية متفاوتة ولكن الاهتمام ينصب على الحاضر لاكتشاف جهة ما في حركة الواقع وقد يدخل الماضي أو التاريخ في صميم الدراسات لاستكشاف بعض القوانين الاجتماعية التي تدخل في صياغة المستقبل أو التاثير فيه.

ويتضمن الخطاب القرآني دعوة قوية لدراسة التاريخ للاعتبار، والاعتبار يعني اكتشاف البدائل والافادة من أخطاء الأمم السابقة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

وفي نفس الوقت نلاحظ وعداً الهياً عن المستقبل ان الساعة آتية لاريب فيها ؛ وقد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

وسوف يحصل هذا ضمن قوانين اجتماعية وتاريخية لا تقبل التغيير ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ .

ومسألة التخطيط ينبغي أن تتضمن نقطتين جوهريتين هما تحديد الغاية والوسيلة اضافة الى تعيين اطار اخلاقي يرشدهما معاً فالوسيلة يجب أن تكون بمستوى الهدف ، ولذا فأن معادلة أخلاقية دقيقة جداً تربط بينهما ؛ ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نبرر وسيلة ما بسمو الغاية مهما بلغت من درجة السمو .

وقد مرّت الانسانية في القرنين الأخيرين بعدّة تجارب تألقت في أحلامها وأمانيها وطموحاتها لافتات متألقة ومؤثرة ، الديمقراطية ، الاشتراكية .

ثم نرى من ناحية أخرى فكرة ثالثة بدأت دوراً كبيراً لا تنقص أهميتها عن دور الديمقراطية والاشتراكية في العالم .

يقول المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي «فنحن نرى فكرة السلام قد دخلت المجال القومي والدولي ، وأصبحت في كل مكان شعاراً للسياسة ومنبهاً للأفكار في مختلف البلدان . نرى صوتها يرتفع في كل مناسبة ، ونرى الأفراد والشعوب تصغي إليه بكل خشوع ، لأنه يعبر أيضاً عن حاجة للإنسانية في القرن العشرين . فقد باتت اليوم كل سياسة ترفع لواء السلم مهما كانت النوايا وراء الكلمات والمواقف الظاهرة . إنها كحاجة تفرض نفسها . . سواء في المجال الساسي أو المجال الأدبي .

فكل لسان اليوم حينما يتكلم ، وكل قلم حينما يكتب فإنما ليعبر عنها طوعاً أو كرهاً . ولا يقوم من يهدد السلام بتصرفاته إلّا باسم السلم في أقواله .

هذا هو واقع العالم اليوم ، الواقع الجبار الذي يجذب إليه طاقات الإنسانية ، وقوى التاريخ إلى مستقر لا يعلمه إلّا الله .

والآن ينبغي لنا أن نتساءل : ما هو موقفنا من هذا الواقع ، حتى نعلم ما هـو مركزنا وما سوف يكون عليه في العالم الجديد ؟

إن علينا أن نفكر في طريقة تصوغ الجواب على هذا السؤال في صورة محسوسة بقدر الإمكان . ونحن نستطيع أن نصل إلى هذا الهدف إذا جعلنا للكلام الذي تقدم صورة جغرافية . . . فنعطي لكل حاجة من الحاجات الثلاثة التي كشف عنها بحثنا لوناً خاصاً . وذلك بأن نجعل اللون الأزرق مثلاً يعبر عن الديمقراطية ، واللون الأحمر عن الاشتراكية ، واللون الأخضر عن السلام . فإذا ما وضعنا هذه الألوان الثلاثة على الخريطة متبعين مبدأ الأولوية ، اتباعاً يكون معه في المكان الواحد لون واحد يعبر عن الحاجة الشائعة هناك ، أو على النزعـة السـائدة في ذلك المكـان ، ثم استفتينا معلوماتنا العادية في هذه الأمور والتاريخ والصحافة اليومية أيضاً في تـوزيع هـذه الألوان ، فإن الجـواب سيجعل كل لون يستقر في رقـعة مـعينة . ويحـدد لنـا قـارة أيدلوجية معينة مطابقة لمبدأ من المبادئ الثلاثة التي وزعنا بمقتضاها الألوان . وهكذا نرى في النهاية أن لون الديمقراطية قد استقر على مساحة الرقعة الجغرافية التى تطابق رقعة الحضارة الغربية ، أي الرقعةالتي تشمل أوربا الغربية وأميركا . وأن اللون الأحمر لون الاشتراكية قد جعل من الرقعة التي تنتشر عليها البلاد الشيوعية مقاماً . وأن لون السلام الأخضر قد أوى إلى شبه القارة الهندية .

وليس هذا يعني بالطبع أن روح الديمقراطـية الخـالصة تـقطن البـلاد الغـربية وأميركا . . تلك البلاد التي انبعثت منها روح الاستعمار الخبيث ورائحته . وأن روح الاشتراكية لا توجد إلّا في البلاد الشيوعية ، فلقد نـعلم أن بـلاداً أخـرى كـالبلاد الاسكندنافية قد تحققت فيها أروع التجارب الاشتراكية ، دون أى تعد على حريات الفرد ودون أي عنف .

كما أننا لا نعترف أن الهند تمثل روح السلم الصرف دون استثناء ، فلقد انبعثت منها أحياناً أنفاس لا تليق بروح المـهاتما غاندي ، روح اللاعنف ، وذلك في بـعض

المشاكل كمشكلة كشمير . ومع ذلك فإنه لا مجال للإنكار في أن الإنسانية اليوم تشعر بأنها تصغى لصوت السلام حينما يرتفع صوت نهرو في نيودلهي ، أو صوت كريشنامينون في الأمم المتحدة . ولقد أظهرت الأزمة الأخيرة التي أثارتها السياسة الصينية على حدود الهند أن الإنسانية لم تخطئ في شعورها هذا ، بل إننا لندهش إذ نرى الهند لم تغير موقفها إزاء الصين في الوقت الذي تطأ فيه الجنود الصينية ترابها .

وليس من خطأ التقدير أن نقول أيضاً إن البلاد الغربية تمثل الديمقراطية في العالم الجديد ، مع علمنا بما في هذا التقدير من نسبية . وإن البلاد الشيوعية تمثل اليوم الفكرة الاشتراكية مع التنبيه أيضاً على نسبية هذا التقدير .

هذا هو واقع العالم اليوم ، فإذا أردنا أن نعلم مكاننا الآن منه فإن علينا أن نرجع إلى الخريطة الأيديولوجية التي رسمناها ونبحث عن لوننا أين هو ؟ ولن نلبث حتى نجد رقعتنا على هذه الخريطة بيضاء كتلك المساحات التي كانت تبقى بيضاء على خرائط القرن التاسع عشر . إشارة إلى أنها لا تزال مجاهيل ، لم يكتشفها علماء الجغرافية ولم يمسحوها . فرقعتنا إذن بحسب منطق حديثنا ذات لون أبيض ، لأنها لا تمثل حاجة من حاجات الإنسانية الكبرى في القرن العشرين . فنحن في حالة تغيب عن العالم الجديد لأننا لا نرى لوناً على الخريطة يدل على وجودنا فيه .

فإذا ما شئنا الجواب على السؤال الذي أوردناه في صدر الحديث ، فإننا سنعترف بأن مكاننا في المجمع العالمي سوف يكون تافها ، لأننا لا نمثل مصلحة ذات أهمية عالمية .

وهنا يبدو سؤال جديد : هل هناك مخرج من مأزق كهذا ؟ أم لابد أن نستسلم لليأس فنطأطىء الرأس أمام هذا الواقع ؟ ونقتنع بوظيفة فراش في المجتمع العالمي ؟

ويبدو لي أنه من اللائق أن نفكر في الأسباب التي أدخلتنا إلى هذا المأزق ، قبل أن نفكر في الأسباب التي يمكننا بها الخروج منه . إن دوافع الحياة هي التي ورطتنا في الأزمة التي نحاول منها الخروج . ورطتنا منذ أكثر من نصف قرن ، حينما استيقظت

الشعوب العربية الإسلامية على خطر الاستعمار، فقد كانت يقظتنا الفجائية دافعاً من دوافع الحياة وفي الوقت نفسه دافعاً من دوافع الخطأ.

فكان مثلنا كنائم استيقظ فجأة فوجد النار في غرفته، ودون أي تفكير ألقى بنفسه من نافذة الغرفة التي هي في الدور الرابع أو الخامس لينجو من النار.

فنحن قد ألقينا بأنفسنا من حيث لا نريد في هوة التقليد حتى ننجو من الاستعمار. إننا نفكر في الخلاص تفكيرا معقداً؛ وإنما دفعتنا دوافع لا شعورية لتقليد حضارة الاستعمار حتى نعصم أنفسنا منه. ولقد دعانا هذا إلى السير في الطريق التي شقته الشعوب الغربية أمامنا على أنه يوصلنا إلى ما وصلوا إليه.

ولا شك أن هذا ممكن لو أننا نسير جميعاً دون دخل للوقت والتطور في حياتنا.

ولكننا نتطور نحن ومن نقلده. وعليه فإذا سرنا على مبدأ تقليده فسوف نقلده إلى ما لا نهاية. وهكذا كان الدافع الذي دفعنا في مطلع هذا القرن إلى الحياة قد دفعنا في الوقت نفسه إلى الخطأ فبتنا نسير في هذا الطريق، لأن السابق إلى الشيء دائماً أولى به. ومن المسلم به أن من نقلده أسبق منا في هذا المضمار.

فلو أننا افترضنا أن الصاروخ هو في النهاية الغاية التي تريد الإنسانية تحقيقها وهذا افتراض لا نسلم به إلّا جدلاً، فإن المجتمعات التي سارت قبلنا على طريق الحضارة المادية سوف تصل حتماً إلى تلك الغاية قبلنا. وهكذا نصبح في النهاية نسير إلى غير غاية حققها غيرنا قبلنا.

فالخطأ إذن بين، ويزيده وضوحا أن تخرج القضية من إطار المنطق البسيط إلى منطق الواقع الصحيح: فنحن لا نرى أن الذي قد حصل على الصاروخ قبلنا ونقتفي أثره عن طريق الحياة المادية، حقق بذلك غاية الإنسانية، فأشبع حاجة من الحاجات الكبرى التي نريد إشباعها، بل نراه هو نفسه يخشى الصاروخ الذي في يمينه والقنبلة الذرية التي في يساره، فهو يلوح بها لخصومه وأعدائه بيد ترتعش خوفاً مما

تحمل ، فهل نؤمن ـ والحالة كما ذكرنا ـ أنه بما حصل عليه في طريق الحضارة المادية ، قد أسعد نفسه أو أسعد الإنسانية ؟

فالخطأ واضح إذن من الجانب النفسي والأخلاقي والمنطقي معاً . وبهذا يتبين لنا كيف دخلنا في المأزق وبقي أن نتساءل : كيف نخرج منه ؟

قد وضح مما بينا أننا دخلنا إليه عن طريق التقليد ، فلم نفكر في مسلكنا حينما استيقظنا بل سرنا مقلدين لا مبتكرين ؛ وأرى الآن أن نتمهل فنراجع أنفسنا ، فإن الاعتبارات التي قدمناها لا تدلنا على أنه ينبغي علينا أن نستغني عن نتائج الحضارة المادية ، وإنما أن نقدرها بالنسبة لوضعنا ، في عالم أصبح فيه نوع جديد من التخصص . لا تتخصص فيه الأفراد فحسب كما كان الأمر من قبل ، لإشباع حاجات الحياة المادية ، ولكن تتخصص الكتل البشرية لتسد كل حاجة من الحاجات التي تتضمنها الحياة الإنسانية الأيديولوجية . . وتحقق لها في المجتمع العالمي مكاناً . .

فإذا ملكنا الصاروخ فمرحباً به لخدمة الإنسانية ، ولكن مع العلم أنه قد وصل إلى يد غيرنا قبلنا . وإنه مع ذلك لا يشبع حاجة من الحاجات الإنسانية .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات ، علينا أن نراجع أنفسنا ونتساءل : ما هو المخرج ؟ إنه في أن يكون في نشاطنا الروحي ما تعترف به الإنسانية كحاجة مثل الديمقراطية والاشتراكية والسلم ، حاجة لا بد من إشباعها .

ونحن حين نضع المشكلة هكذا فإنه يبقى أن نعلم هل لهذه المشكلة حل في هذه الصورة ؟ وبتعبير آخر ، هل في أنفسنا بصفتنا عرباً وفي أرواحنا بوصفنا مسلمين منبع ينبع منه خير للإنسانية ؟

إنه يمكن الخطأ في الجواب ، ولكن هذا لن يقلل من أهمية السؤال . يمكن لي أن أخطئ في رأيي الخاص أمام هذا السؤال ، ولكن هذا لا يغير من صورة القضية ، فإنه يجب أن يكون في نشاطنا شيء تعترف به الإنسانية بوصفه حاجة من حاجاتها ، شيء يضمن لنا مركزاً كريماً في المجتمع العالمي .

وأنا هنا سوف أبدي مجـرد رأي .. ولا ضير أن يأتي غيري برأي أحسن منه شريطة أن نظل في صلب القضية ، فإن حاجة الإنسانية لا تـتمثل في الديمـقراطـية وحدها ، التي فيما يبدو قد استأثر بها الغرب ، ولا الاشتراكية وحدها التي ـ فيما يبدو ـ قد تخصصت بها البلاد الشيوعية ولا السلم وحده الذي قد رفعت رايته الهند ، فهناك في نظري مجـال نسـتطيع فـيه أن نسـجل بـلون خـاص وجـودنا عـلى الخـريطة الأيديولوجية . إن الإنسانية في حاجة ـ عـامة ـ إلى صـوت يـناديها إلى الخـير ، وإلى الكف عن جميع الشرور ، وإنها الحاجة أكثر إلحاحاً من سواها ، لأن الإنسـان توّاق إلى الخير بفطرته ، وإنما تحرمه منه معوقات مختلفة تكونها الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أحياناً ، غير أنه حينما تؤثر هذه المعوقات في سلوكه فتجعله يكذب أو يسرق أو يظلم أو يقتل فإنه يشعر بالحرمان .

إن الطيار الأمريكي الذي ألقى القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما ، قد دفعته إلى عمله دوافع مختلفة يسميها البطولة الوطنية ، دوافع كونتها في نفسه ثقافته وبيئته . غير أنه حينما انجلى الانفجار الهائل في الأفق ، وكشف عن أطـلال مـدينة كـاملة ، وظهرت الأكداس من الجثث الممزقة الموقوذة المشوهة ، ظهر بـين تـلك الأطـلال الحزينة وفوق تلك الأكداس الرهيبة وجه الشر ، وكأنما ارتفعت منه ضحكة نكراء ، إنها ضحكة الشر المنتصر ، قد وصل صداهـا إلى أذني ذلك (البـطل) الذي سـحق المدينة بقنبلته الفتاكة .

ولقد حاول أن يتوارى عن ذلك الوجه المفزع ، وأن يُـصم أذنـيه عـن تـلك الضحكة المزعجة ، فأطلق لطائرته سرعتها حتى يغير من ذلك المنظر ويبدل من ذلك الصوت ، ولكن هيهات أن يزايل المشهد مخيلته أو يهدأ رنين الصوت في أذنه ، فإنه يحمله في نفسه ، في فطرته ، في ضميره الذي تحرك حينما رأى سوء عمله .. لقد فر وأمعن في الفرار ، ولكن ذلك لم يجعله في نجوة من شعوره بالإثم ، ومن رؤيته لوجه الشر سافراً فوق الأطلال المحطمة ، ومن سماع ضحكته الصاخبة فوق الجثث الهامدة .

فر من الجيش ، من الحياة العائلية ، من الأصدقاء ، من الملذات ، وأوى أخيراً إلى دير عله يجد في العزلة تسلية .

إن في هذه الحادثة لعبرة . إنها تشير إلى أن الإنسان لا يفقد من نفسه معنى الخير كله مهما أحاطت به دوافع الشر . لأن الأصل في قلبه الخير والشر عارض . وإن هذا ليعني أن الخير حاجة تشعر بها النفس شعوراً عنيفاً ، كذلك العنف الذي تجلى في سلوك الطائر الأمريكي بعد عودته من هيروشيما[1] .

ويخلص المفكر الراحل الىٰ مشروع انساني جديد قائلاً :

«ونحن حينما ندقق الأشياء نرى أن الدوافع النفسية التي تعبر عنها فكرة الديمقراطية أو فكرة السلام ، إنما هي في الواقع دوافع واحدة في صور مختلفة : إنها دوافع الخير في نفوس مختلفة . وإن هذا يعني «بعدما تصح هذه الملاحظة» أن في النفس مجالاً لفكرة الخير ، وأن من يرفع راية الخير قد يسد حاجة تشعر بها الانسانية في أعماقها ، ويحقق لنفسه مكاناً كريماً في المجمع العالمي .

وفي هذا المجال يمكن أن يكون مجالنا إذا حققنا في سلوكنا معنى الآية الكريمة : ﴿وَلِتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى اَلْخَيْرِ﴾[2] .

فإذا ما تحققت هذه الآية في سلوكنا العام ، بوصفها تخصصاً لمجتمعنا بالنسبة لحاجة الإنسانية ، فسوف نكون قد لقينا على الخريطة الإيديولوجية لوناً يجعلنا من أكرم سكان المجمع العالمي . وأنا أتعمد شيئاً حينما أقرن الخير بالسلوك ، فالسلوك هو الذي يحقق في الواقع معنى الخير المجرد . فليس الخير مجرد حقيقة نعلمها أو نقولها ، مجرد حقيقة تقبلها العقول ، وربما تنفر منها الأنفس أحياناً إذا لم يكن الخير في صورة محببة للناس ، إذ ربما يحدث دوافع سلبية لا تشبع في أنفسهم حاجة لخير ، بل تحدث فيها حالة حرمان .

---

(١) مالك بن نبي. تأملات / ٢١٠ ـ ٢١٦.

(٢) آل عمران: الآية ١٠٤.

وقد كرر القرآن الكريم النصائح في هذا الاتجاه إذ يقول للنبي: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]. أو حينما يقول له بصفة عامة ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

فهذا هو ـ فيما أرى ـ شرط دخولنا في المجمع العالمي. ونحن حينما ندخل إلى هذا المجمع غير مقلدين، فإننا سنكون أسبق من غيرنا إلى وظيفة، تسد حاجة من حاجات الإنسانية الكبرى في القرن العشرين، ولحققنا بذلك لأنفسنا مكاناً كريماً في العالم الجديد[3].

ولكن أيّة لافتة يمكن أن ترفع بعد أن تبدد بريق اللافتات الأخرى وما الذي يمكن أن يصبح هاجس الضمير العالمي في هذا المقطع من تاريخه المرير؟

خاصّة وان لافتة جديدة هي «العولمة» باتت تثير مخاوف الامم والشعوب وتدفع شبابها إلى التظاهر ضدها كخطر يهدد كيان الشعوب وهويتها!

ولقد أنت البشرية من الاستبداد فظهرت الديمقراطية كنافذة للخلاص ثم ضغطت الرأسمالية بشدّة على الضمير الانساني فتألقت الاشتراكية كطريق مضيء، وتعذبت بسبب الحروب والصراع فأشرقت فكرة السلام في ضميرها ووعيها..

وها هي الانسانية تعيش الظلم بكل مستوياته وأصعدته وأصبحت العدالة هاجساً يراود أحلام المظلومين في كل مكان.

وهناك نقطة ينبغي اثارتها في الدراسات المستقبلية وهي تجاوزها حالة الاستشراف الذي ينجم عادة عن الاعتراف بالواقع، فيما المطلوب التخطيط لصياغة مستقبل أفضل فالـ«سوبرمان» الذي أفرزته الحضارة الغربية فلسفياً هو انسان خارق يقوم بدور انقاذي محدود جداً لأنه لا يستطيع التدخل في مسار التاريخ.

---

(١) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) فصلت: الاية ٣٤.

(٣) مالك بن نبي تأملات / ٢١٦ ـ ٢١٧.

ولذا نجد الدراسات المستقبلية في الغرب تتضمن الاعتراف بالواقع الحضاري الغربي ومحاولة صياغة عالم ينسجم ويستجيب للنمط الغربي وسلطته .

وقد اخترنا دراسة الاستاذ نادر فرجاني[1] القيمة مصدراً فيما سنورده في هذه السطور حول الدراسات المستقبلية وقد استهل دراسته بالاشارة الى خطوة لها مغزاها وهي اجتماع ثلاثين شخصية علمية في «روما» لمناقشة المعضلات الحالية والمستقبلية التي تواجه البشرية .

واستهدفت هذه الخطوة العلمية الهامة دراسة المشاكل المعقدة التي تواجه البشر في العالم وهي : الفاقة ، تدمير البيئة ، فقدان الثقة بالمؤسسات ، الانتشار الحضري المنفلت ، اغتراب الشباب ، رفض القيم التقليدية ، التضخم والاضطرابات النقدية والاقتصادية الاخرى ، واصطلح على تسميتها مجموعةً «مشكلة العالم» ومن المهم كما يقول الاستاذ الاشارة الى ان التوصيف المقدم أعلاه لمشاكل العالم يأتي من منظور الغرب المصنِّع وهو بالتأكيد لا ينطلق من الهموم الجوهرية لغالبية البشرية .

وتنتقل الدراسة الى «نموذج باريلوتشي» للعالم ومن الضرورة الاشارة الى موطنها في العالم الثالث وهو مشروع تخطيطي اكثر من استشرافي معياري أي «يحاول رسم طريق يوصل الى غاية محددة سلفاً . وهذه الغاية هي عالم متحرر من التخلف والبؤس» .

وكلمة «نموذج» التي استعملت في المشروع تتضمن اشارة الى مفهوم «المجتمع المثالي» .

كما ان الدراسة التي انجزها العلماء جاءت ردّاً على المدرسة الفكرية للغرب والتي ترجع مشكلة العالم الى النمو السكاني ، لكن نموذج باريلوتشي يختلف جذرياً وهي

---

(١) عالم الفكر ١٩٨٨ المجلد ١٨ مستقبل البشرية بين رؤى العالم الثالث وفظاظة العالم «نموذج باريلوتشي».

لديه «ليست حدوداً طبيعية تتعارض مع النمو السريع للسكان، ولكنها اجتماعية ـ سياسية تنجم عن التوزيع غير المتكافئ للقوة بين خارج البلاد وداخلها. ومن ثم فإن المجتمع المثالي الموصوف يقوم على أن الانسان لن يتحرر من القهر والتخلف في نهاية المطاف الاّ عن طريق تغييرات جذرية في التنظيم الاجتماعي السياسي للعالم»[1].

وينتقد النموذج بداية نموذجي التنظيم الاجتماعي السياسي السائدين في العالم المعاصر الرأسمالي والاشتراكي بتنويعاتهما القائمة حالياً.

فالنموذج الرأسمالي يقوم على الملكية الخاصة والربح ويؤدي الى طبقية تدمّر أسس المساواة وتنمّي نوازع السيطرة والاستغلال والمزيد من اغتراب الانسان.

كما ان النموذج الاشتراكي قد عرّته التجربة التاريخية وكشفت عن ظهور بيروقراطيات الحزب والدولة التي تحولت الى مراكز سلطوية أفضت الى فروق اجتماعية تنهض على مدى الانتماء الى الاقلية الحزبية التي تمسك بأزمّة السلطة والحكم.

ونموذج باريلوتشي يتبنى قيمتين اساسيتين في رؤيته للمجتمع المنشود هي المساواة الأساسية بين البشر، ومفهوم التاريخ كعملية لا حدّ لها يتوقف اتجاهها في التحليل الأخير على رغبات وأفعال البشر. الاولى تشكل الاساس الصالح الوحيد لبناء عالم يسوده الوفاق والثانية شرط أساسي لتحقيق هذا العالم[2].

ومن المهم هنا أن نثبت ما ورد في النقطة الرابعة والأخيرة من الوصف الاجمالي للمجتمع الجديد:

«يوفر تطبيق هذا النموذج في عدد متزايد من بلاد العالم الظروف الأساسية لخلق نظام عالمي متوافق قادر على نشر العدالة، الرفاهية والديمقراطية وعلى اقتلاع جذور

---

(١) المصدر السابق / ٤٢.

(٢) المصدر نفسه / ٤٣.

الحرب ويمكن أن يؤدي الى نشوء شكل من التنظيم الدولي يحترم حرّية وذاتية كل الدول، ويـــروج للانـدماج التـدريجي في جمـاعة دوليـة مـتحررة مـن النزعـات الاقليمية[1].

ويؤكد النموذج على ضرورة مراجعة المفهوم الشائع الذي يفترض انه ما دامت الأرض محدودة، فلا بد أن تكون مواردها محدودة كذلك. وهذا بالقطع صـحيح. ولكن المغالطة التي تقدم كبرهان دامغ على الكارثة القادمة التي ستحل بالعالم نتيجة لاستمرار تزايد السكان، تخلط بين المحدودية والنفاد.

بخلاف استثناءات قليلة، لا تفقد الكميات الهائلة من المعادن في قشرة الأرض بمجرد تعدينها واستعمالها، ولكنها تستمر لتكون جزءً لا يتجزأ من الموارد المـعدنية للكوكب. فقد تدخل مؤقتا في سلع رأسمالية أو استهلاكية، وقد تدمج كيميائيا مـع عناصر أخرى. ولكن، على الرغم من هذا، تبقى ولا تـفنى. وقـد أثـبت الفـن الانتاجي الحديث قدرته على إيجاد طرق لاستخلاص الموارد من أكثر التركـيبات الجيولوجية تنوعا، وعلى تـدوير المـواد التى اسـتخدمت قـبلا، مـرة أو أكـثر في استخدامات جديدة.

أمـــا بـــالنسبة لمـــوارد الطـــاقة، فـــقد أظـهرت دراسـات بـاريلوتشي أن الهيدروكاربونات، في صورة سوائل وغازات، يحتمل أن تبقى لمدة مائة عام تقريبا، بينما قدر أن هناك ما يكفي من الفحم، على معدلات الاستهلاك الحالية لمـدة حوالي أربعة قرون. ولكن مصدر الطاقة المستقبلي الأهم هو الوقود النووي. وكان التقدير أن الاحتياطيات المحتملة من اليورانيوم والثوريوم تكفي لسد الاحتياجات من الطاقة إلى الأبد تقريباً. وعليه، فإنه لا يوجد داع، من منظور التـوافـر المـادي، لتـوقع مشاكل في مصادر الطاقة في المستقبل المنظور. وتؤكد الدراسة أن أزمة الطاقة التي ركز عليها الغرب المصنّع هي، في المنظور التاريخي، ذات طابع عرضي.

---

(١) المصدر نفسه / ٤٤.

وتفرق دراسات باريلوتشي بين التلوث في البلدان الغنية والفقيرة . في الأولى يقترن التلوث بتوسع النشاط الصناعي ، والأعداد المتزايدة من السيارات وغيرها من معالم معدلات الاستهلاك المرتفعة . وضبط هذا النوع من التلوث ممكن شرط وجود سياسات مكافحة مناسبة . أما في البلاد المتخلفة ، فينتج التلوث من الفاقة : تلوث الماء ، أوضاع سكن سيئة ، غياب الصرف الصحي ، الخ . . . والحد من هذا النوع من التلوث رهن بإشباع الحاجات الأساسية . وختاما ، فإن النمو الاقتصادي لا يرتبط بالضرورة بزيادة التلوث . وعليه فإنه يمكن ضبط كل أنواع التلوث تقريباً إذا تم اتخاذ القرارات المطلوبة ، وتنفيذ الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية اللازمة .

وإحدى السمات الرئيسية للنموذج التي تميزه عن أغلب النماذج التي بنيت حتى وقت إعداده ، وخاصة تلك التي تمت في إطار نادي روما ، هي أن حجم السكان يولد داخليا بواسطة نموذج فرعي يربط المتغيرات السكانية بالمتغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية . ويعكس هذا النموذج الفرعي أحدى المقومات الأساسية لمشروع باريلوتشي ، وهو أن الطريقة الوحيدة الكافية لضبط نمو السكان هي تحسين مستويات المعيشة .

لا ريب أن مشروع باريلوتشي هو من أهم الأعمال في مجال الدراسات المستقبلية التي تناقش مصير البشرية . وتعود أهمية هذا العمل إلى تبنيه ، صراحة ، لوجهة نظر اجتماعية ـ سياسية محددة ، والى بعض النواحي الفنية ، التي ألمحنا لبعضها فيما سبق .

ولكن مشروع باريلوتشي يكتسب قيمة كبيرة من حيث كونه العمل الكبير الوحيد في ميدان الدراسات المستقبلية الذي نبع من العالم الثالث تعبيراً عن رفض كثير من الأوضاع السائدة في العالم وقت إعداده ، بما في ذلك الدراسات المستقبلية ، وكشفا لخلفيات هذه الأوضاع ، واستشرافا لمستقبل أفضل واكرم لكل البشر .

لقد بين النموذج الرياضي إمكانية إشباع الحاجات الأساسية لأغلب سكان العالم

حول مطلع القرن القادم ، إذ ما طبقت السياسات المقترحة للوصول إلى المجتمع المثالي في رؤى باريلوتشي . وأظهر مشروع باريلوتشي برمته أن العقبات التي تقف حاليا في سبيل تحرر البشرية من الفاقة والبؤس ليست طبيعية أو اقتصادية بالمعنى الضيق ، وليست النمو السريع في حجم السكان . ولكنها في الأساس ، اجتماعية ـ سياسية .

وعليه فإن مشروع باريلوتشي قد أكد لنا أن مستقبل البشرية لا يتوقف ، في النهاية ، على عقبات طبيعية لا تذلل ، وإنما على عوامل اجتماعية وسياسية هي من صنع البشر ، وبالتالي فإن في مقدورهم تعديلها وصولا لوجود إنسان أغنى ، ولكن أين العالم من هذا المسعى ، بعد أكثر من سنوات عشر على نشر نتائج المشروع ؟ هل اقترب العالم من مجتمع باريلوتشي الجديد ؟ أم زاد احتمال الكارثة ؟

وليس مشروع باريلوتشي ، للأسف ، الأكثر انتشارا في مجال الدراسات المستقبلية لمصير البشرية ، حتى في العالم الثالث . وإن كان في هذا الأمر مدعاة للأسف ، إلّا أنه ليس بمستغرب . فمشروع باريلوتشي قام ضد كل العناصر المهيمنة في بنى القوة الحالية في العالم . ومن الطبيعي أن تحارب هذه العناصر انتشار مثل هذه الرؤى التي تنتصر للفقراء وتدعو لتقويض أركان الهيمنة والاستغلال في العالم .

فمازلنا نعيش في عالم يعاني فيه الكثير من سكان الجنوب من نقص وسوء التغذية ، بينما يشكو الغرب المصنع من عبء بحيرات الحليب وجبال الزبد ، أما عن تردي أوضاع التعليم والسكن في البلدان النامية فحدث ولا حرج ، وعوضا عن تكريس المشاركة والمساواة نجد اتجاها متعاظما لتكريس القهر وتهميش الناس خاصة في بلدان العالم الثالث . وبدلا من تعميق قيم المساواة ، نواجه استقطابا متزايداً داخل مجتمعات العالم الثالث ، وعلى صعيد النظام الدولى .

ويرتبط ذلك كله بموجة قوية من زيادة الاندماج في النظام الرأسمالي العالمي عمت العالم منذ منتصف السبعينات تحت شعار «الانفتاح الاقتصادي» ، حتى قاربت الاشتراكية أن تكون كلمة قذرة ، وفي النهاية ، فإن محصلة هذا كله هي مزيد من تبني

مُثُل المجتمع الرأسمالي الغربي ، ونمطه الاستهلاكي المدمر ، وخاصة بعد أن اهتزت أهم المحاولات المعاصرة لبناء «الإنسان الاشتراكي» في الصين الشعبية .

والخلاصة ، أننا نقدر أن العالم يقترب من الكارثة التي تنبأت بها دراسات نادي روما ، ولكن لأسباب غير تلك التي زعمتها هذه الدراسات . إن الاقتراب من الكارثة يعود كما بينت دراسة باريلوتشي ، إلى أسباب كامنة في أشكال التنظيم الاجتماعي ـ السياسي في العالم المعاصر .

ولا يمكن الاجتماع بواقع الحال في العالم على مشروع باريلوتشي . فالمشروع لم يحاول التنبوء بمستقبل البشرية ، وانما قدم توقعات بما يمكن أن يكون عليه الأمر اذا تحققت افتراضات معينة حول السياسات الكفيلة بالتحرك صوب المجتمع المنشود . وحيث إن الافتراضات لم تحقق ، فلا يتصور عاقل أن تحقق النتائج المترتبة عليها .

إن رؤى باريلوتشي تبدو لنا كمولود بهي الطلعة ، مبشر بالخير ، ما لبث أن عصفت به تصاريف واقع غاشم لكن يبقى الأمل ما بقيت الذكرى ، والمذكرون[1] .

ان هذه الدراسة التي انجزها فريق باريلوتشي تنطوي علىٰ قيمة بالغة الاهمية ذلك أنها لاتستشرف المستقبل علىٰ أساس مجريات الواقع ومعطيات الظروف وانما هي محاولة رسم مستقبل جديد .. مستقبل يتوقف علىٰ اجراء تغييرات جوهرية اجتماعية وسياسية وهي مهمة اصلاحية كبرىٰ تستلزم توفر شروط روحية وشعور عميق بالمسؤولية الاخلاقية ازاء المصير الانساني .

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر :

ان اقامة الحق والعدل وتحمل مشاق البناء الصالح بحاجة الى دوافع تنبع من الشعور بالمسؤولية والاحساس بالواجب . وهذه الدوافع تواجه دائما عقبة تحول دون تكونها أو نموها .

---

(١) مجلة عالم الفكر م١٨ ع٤ مستقبل البشرية ٩٩٧ ـ ١٠٠٤.

وهذه العقبة هي الانشداد الى الدنيا وزينتها والتعلق بالحياة على هذه الارض مهما كان شكلها ، فان هذا الانشداد والتعلق يجمد الانسان في كثير من الاحيان ويوقف مساهمته في عملية البناء الصالح ، لان المساهمة في كل بناء كبير تعني ، كثيراً من ألوان الجهد والعطاء وأشكالا من التضحية والاذىٰ في سبيل الواجب وتحملاً شجاعاً للحرمان من أجل سعادة الجماعة البشرية ورخائها .

وليس بامكان الانسان المشدود الى زخارف الدنيا والمتعلق بأهداف الحياة الارضية أن يتنازل عن هذه الطيبات الرخيصة ويخرج عن نطاق همومه اليومية الصغيرة الى هموم البناء الكبيرة ، فلابد لكي تجند طاقات كل فرد للبناء الكبير من تركيب عقائدي له أخلاقية خاصة تربي الفرد على أن يكون سيدا للدنيا لا عبدا لها ، ومالكا للطيبات لا مملوكاً لها ، ومتطلعاً الى حياة أوسع وأغنى على الارض هي تحضير بالنسبة الى تلك الحياة التي أعدها الله للمتقين من عباده» .

وتبقىٰ الاشارة الىٰ سبب اختيار هذه الدراسة ونجمله في نقاط منها انها دراسة اكاديمية علمية كما أن ظهورها خارج العالم الاسلامي يشكل بعداً آخر في اهميتها على أساس تحررها الكامل من أية تأثيرات مسبقة من قبيل النبوءات الدينية والمؤثرات الفكرية والاسطورية .

المستقبل.. تأملات في حشد من المؤشرات:

نحاول أن نلج هذا الفصل من خلال النبوءة القرآنية في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾ .

ومن خلال هذه النبوءة نتصور اتجاه البشرية الىٰ يوم موعود ووراثة الانسان الصالح الأرض وفاعلية القانون الاجتماعي الذي حدّدته آية قرآنية أخرىٰ وهي قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ .

ونحن نعرف جميعاً أن البشارة والنبوءة تتمحور حول ظهور الانسان المنقذ في

فصل تاريخي تئن فيه الأرض من ويلات الظلم والعذاب، فيرفع راية العدالة ويملأ الأرض خيراً بعد أن يطهرها من الشرور.

كما نعرف أيضاً أن هناك دائرتين واسعتين تكادان تتقاسمان العالم هما الدائرة الغربية بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية والكيان اليهودي السياسي الغاصب في فلسطين ودائرة العالم الاسلامي والتي ينتمي اليها المستضعفون في الأرض على أساس المساحة الانسانية المشتركة وهموم المصير.

ولأن اميركا في الوقت الحاضر تمثل أو تحاول الظهور بمظهر القطب الاكبر في العالم بعد انهيار منافسها التقليدي فستكون نموذجاً عند الحديث عن الغرب اضافة الى علاقتها الاستراتيجية مع اسرائيل هذه العلاقة التي تكتسب اهمية بالغة لارتباطها الوثيق بمصير الامة الاسلامية واحتمالات نشوب صدام مصيري مع الكيان الاسرائيلي.

اميركا هي تطور سيء للحضارة الغربية، التي تعاني من تمزقات في نسيجها الداخلي يهددها بالأفول.

وبالرغم من أن العلم الذي نهضت عليه الحضارة الغربية في انطلاقتها وتفوقها المادي فانه بالذات قد استحال غدّة سرطانية يهددها بالموت.

ذلك أن انفصالاً رهيباً قد وقع بين الضمير الانساني والعلم ولأن الحضارة الغربية كانت مفتونة بالعلم الذي اضحى لديها كعجل السامري، فقد انتهى دور الضمير في بلورة قيم أخلاقية يمكنها أن ترشّد أو تحدّ من جموح حضارة مجنونة بكشوفها وآلاتها.

واصيبت الحضارة الغربية بتضخم الذات أو بنرجسية خطيرة.

«ولكن هذه «الذات» قد قامت في الواقع بدور «تلميذ الساحر»، فلقد أبدعت آلات لم تستطع السيطرة عليها، ثم استنامت لتلك الآلات تقودها بعقل آلي، وتزدردها في أحشائها من جديد فصارت الحياة أرقاماً، واضحت السعادة مقيسة

بعدد ما لديها من وحدات حرارية وهرمونات ، وصار العصر عصر (كم) يخضع الضمير فيه للنزعة الكمية ، كما صار عصر النسبية الأخلاقية ، حيث استهل قرنه بالمبدأ القائل : «كل شيء في الحياة نسبي» ، فلم يعد أحد يدرك معنى «الفضيلة المطلقة» ، بل إن الكلمة نفسها قد أضحت من المعميات ، أضحت كلمة ميتة لا معنى لها ، لأن القرن العشرين وهو قرن العقل الوضعي الذي يشبه عقل الآلة ، لم يعد يفهم شيئاً وراء التصورات النسبية للمادة .

لقد مات معنى الفضيلة «المطلقة» ، من الوجه الذي مات منه مفهوم «العدالة» في قول أحد الأوربيين :

«إن تسوية جائرة خير من قضية عادلة» ، وصارت الحياة الاقتصادية نفسها إلى مصيرها ، يوم وجد بعض الناس في أنفسهم قحة وجرأة ليؤكدوا أن «التجارة هي السرقة الحلال» .

وهكذا نجد أن أوربا النازعة إلى «الكم» وإلى «النسبية» قد قتلت عدداً كبيراً من المفاهيم الأخلاقية ، حين جردتها من أرديتها النبيلة ، وأحالتها ضروباً من الصعلكة ، وكلمات منبوذة في اللغة ، طريدة من الاستعمال ومن الضمير ، وكأنما صارت القواميس «أحياناً» مقابر لكلمات لا توحي بشيء ، لأن مفهومها لا ينبض بالحياة .

ولقد تعاظم خطر تلك النزعة الكمية في أوربا طبقاً «للعامل المضاعف» المتمثل في القوة الفنية ، والذي تملكه صناعة غزت العالم ، كأنها أخطبوط يضاعف بصورة هائلة شهوة الإنسان إلى المادة ، فهي تملي على الطفل اتجاهه في الحياة ، بحيث لا يختار طريقه فيها إلّا وقد وضع نصب عينيه ما يأخذ من المجتمع لا ما يعطي ، إنه يبحث عن حظه لا عن رسالته ، وتلك طريقة جيدة لإعداد مدير المستقبل في المستعمرات ، لأن ذلك الموظف لم يعد لديه أدنى قدر من التحفظ الذي يحول بينه وبين الأخذ بمبدأ النسبية الأخلاقية في بلاده ، بل والمضي فيه إلى أبعد مدى . فهناك في المستعمرات

تسلك الأخلاق النسبية في نفوس الناس باسم «السيادة القومية»، وبذلك يسقط قناع «التحفظ» كأنه مسحوق يذوب بحرارة الشمس، في جو حميت فيه الشهوات المنطلقة، والغرائز المطلقة، فالناس ما بين راغب وآخذ.

والناس في أوربا ذاتها، قد لزمهم ما درجوا عليه في حياة المستعمرات من عادات وأذواق وأفكار، فلم تعد مطامحهم تسعى لإدراك «علة» الشيء، ولا «كيفية» حدوثه، وإنما هي متعلقة بالبحث عن «الكم»، غير أنهم يحاولون نفاقاً أن يستروا هذه النزعة بما يتيسر لهم من البلاغة واللسن، لكن هذه البلاغة سرعان ما تختفي لتنكشف الأمور على حقيقتها، وتتسمى بأسمائها، فإذا بالقط قط، وقد كان منذ قليل نمرا، وإذا بالنزعة الكمية تشمل مرافق الحياة الاجتماعية جميعاً، في الإنتاج، وفي عمليات الدفع والشراء، بل وفي عملية الأكل أيضاً، فالحياة تجري على سنن «الكم» وحده.

لقد أصبح «الرقم» سلطاناً في المجتمع الفني الآلي الذي قام بأوربا منذ عام ١٩٠٠، وصار الإحصاء لا معقب لحكمه، فليس للفطرة الإنسانية، أعني الضمير الإنساني ذاته، دخل في الحياة الجديدة، شأنه في ذلك شأن ما لا يدخل في عداد الأرقام، ولا يقاس بالكميات. وبذلك أصبحت حياة الانسان وظيفة تكمل الارقام فالماكينات هي التي تحرر وتحسب بل وتسخر الانسان في حركة اجهزتها»[1].

وهذا ما جعل مبدع «الساعة الخامسة والعشرون»[2] يسجل هذه النبوءة: «ان انهيار المجتمع التكني هذا، سيعقبه اعتراف بالموهبات الانسانية والعقلية، وسيشرق هذا النور العظيم من الشرق ولاشك.. من آسيا..

ولكن ليس من روسيا.. ان الروس قد انحنوا خاضعين أمام نور الغرب الكهربائي..

---

(١) مالك بن نبي ـ وجهة العالم الاسلامي: ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) الروائي الروماني كونستانين جوريجو.

لذلك لن يعيشوا ليروا الاشراق.. سيكتسح الانسان الشرقي المجتمع التكـني، وسيستعمل النور الكهربائي لإنارة الشوارع والبـيوت.. لكـنه لن يـصير له عـبداً أبداً... ولن يقيم الهياكل كما هو الحال اليوم في بربرية المجتمع التكني الغربي..

انه لن يضيء بنور «النيون» خطوط الفكر والقلب.. ان انسان الشرق سيجعل من نفسه سيّداً للآلات وللمجتمع التكني، مستعيناً بعقله كما يستعين رئيس الفـرقة الموسيقية بعبقريته المستمدّة من الجرس الموسيقي..».

ومالك بن نبي يشير الى نقطة هامة هي: «أن العالم الاسـلامي لا يسـتطيع في غمرة هذه الفوضى أن يجد هداه خارج حدوده، بل لا يمكنه في كل حال أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته، ولكن عليه أن يبحث عن طريق جديد ليكشف عن ينابيع إلهامه الخاصّة»[1].

ومن خلال رمزية بعض الاخبار الواردة عـن النـبيﷺ يمكـننا أن نـتصور الدجال الأعور هو هذه الحضارة الغربية المادّية والتي نهضت بعين مفتوحة هي العلم وعين أخرى مفقودة هي الضمير فهي «تنظر الكون بعين واحدة تنظر الىٰ مادته دون الروح والخلق الرفيع والمثل العليا»[2].

ويسجل المفكر مالك بن نبي ملاحظة اثبتها نمـوذج باريلوتشي عندما يـقول: ولكن سخرية مؤسية خيمت على هذا البؤس، فلأول مرة في التاريخ الانساني تصبح علة البؤس وفرة الانتاج، لا قلة الثروات، وتلك أمارة عبقرة القرن العشرين، فلقد استطاعت بعلمها أن تجعل من أسباب الرفاهية عوامل فاقة وشقاء. فأين إذاً مكان الداء..؟ هل هو في تفوق المنحنى البياني للإنتاج على منحنى الاستهلاك..؟ هذه مسألة صبيانية!! فالفنيون الذين يلمون بمـعرفة الحساب يعرفون كيف يـصححون

---

(١) وجهة العالم الاسلامي: ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) محمد الصدر موسوعة الامام المهدي ـ الغيبة الكبرى: ٥٢٦.

المسائل ، ويعيدون المنحنيات إلى مستوى معين ، وبذلك يكون الحل رياضياً يتلخص في إعدام الفائض ، فهذا أبسط شيء ، وبهذه الصورة تم إحراق القطن والقمح والبن ، على الرغم من أن شعوباً كثيرة لا تجد أثراً منها في بلادها . وهكذا وجدنا أن الحضارة التي أبدعت نظرية «مالتوس» القائلة بتحديد النسل للموازنة بين الثروة وبين مستهلكيها ، تشرع في تطبيق هذا التحديد على الأشياء المستهلكة لا على المستهلكين .

لم تنهض أية سلطة روحية للتنديد بتلك الفضيحة ، فأولئك الذين كانوا يستطيعون إنقاذ أوربا من فوضاها الاقتصادية لم تكن حاجات الشعوب لديهم مربحة ، فإن الشعوب المستعمرة العارية الجائعة لم تكن تستطيع أن تشتري شيئاً ، فلقد اعتبرها المستعمرون مجرد أدوات للعمل ، فخرجت بذلك من عداد المستهلكين .

إن النظام الذي خلق الفوضى في أوربا ذو صبغتين ، فهو علمي واستعماري في آن ، فإذا ما كان في أوربا فكّر بمنطق العالِم ، أما إذا انساح في العالم فإنه يفكر بعقلية الاستعمار ، حتى إذا وافى إبّان الأزمة عام ١٩٣٠ كان المنطقان قد امتزجا ، وبلغ الوحش بهذا الامتزاج أبلغ أحوال الضراوة .

وبتأملنا للظواهر في تخلقها ، نجد أن حريق عام ١٩٣٩ ، لم يكن سوى عودة للضرام ، في لحظة نقم فيها ميكيافيلي على نفسه ، وسخط الشيطان على عمله ، فهدم ما كان قد بناه ، وتلك لحظة تهب فيها ريح القضاء المبرم على شراع الإنسانية المشرع ، حتى يبلغ القدر مداه ، لقد علمنا رسول الله (محمد)ﷺ وهو النبي الاجتماعي درساً قال فيه «من حفر مغواة لأخيه أوشك أن يقع فيها» ، وكان أخوف ما يخاف على أمته ما ترتكب من مظالم لا ما تتعرض له منها .

ولقد صدق تاريخ عصرنا لسوء الحظ هذا الحكم ، فأوربا التي كان عليها أن تهدي سعي الإنسانية ، قد اتخذت من مشاعل الحضارة «فتيلاً» يحرق بدل أن يضيء ، وفي ضوء ما أشعلت من نار أشاعت وهجها في المستعمرات حتى جارت

على أرضها هي ؛ أوربا هذه رأينا الفوضى تنتشر فيها ؛ نفس الفوضى التي أشاعتها في بقية أجزاء الأرض ، ونفس الضلال . بل إنها قد تجرعت نفس الكأس المحتوم ؛ كأس الاستسلام لقوى الشر الأسطورية ، نعم . . الأسطورية»[1] .

الدائرة الاسلامية:

ان وجود اسرائيل في قلب العالم الاسلامي يؤكد الحالة المرضية التي تعيشها امتنا ، كما أن غطرستها ومحاولاتها في فرض هيمنتها علىٰ الصعيدين السياسي والاقتصادي يكشف عن ضعف شديد في البنية الاجتماعية لدىٰ المسلمين والعرب خصوصاً .

هذا الوجود الذي يجعل من الجمل العربي لعبة بيد صبي يهودي معتوه !

ومن المفيد أن نعرف أن مجموع الأخبار الواردة حول خطوة المهدي الاصلاحية تشير إلى أن جهوده «في أول ظهوره تكون مبذولة علىٰ الأمة الاسلامية أكثر من أي أمة أخرىٰ يصنع منها في فترة قصيرة أمة قائدة للعالم ورائدة للحق»[2] .

وهناك ما ينبغي قوله في سطور هذا الفصل وهي أن الوعي الامامي ونعني وعي اتباع هذا المذهب هو كأي وعي بشري ينمو ويتبلور ويتكامل ويتأثر بحركة التاريخ والزمن ، ويكون للتجارب دورها في مساره ، وهو يمتاز عن غيره بما أفرده من منزلة كبرىٰ للعقل ، فالفكر الامامي يمجد العقل الانساني ويرفعه الىٰ أعلىٰ ذروة يمكن أن يبلغها ومن غير المنطقي أن يركن الىٰ اساطير يخلقها وينحتها ويجمد عليها .

ومن اللافت للنظر في أدبيات مسألة المهدي وجود روايات تذكر صراحة ان دولة المهدي هي آخر الدول :

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال : «ما يكون هذا الأمر حتىٰ لا يبقىٰ صنف

---

(١) وجهة العالم الاسلامي / ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) محمد الصدر ـ تاريخ ما بعد الظهور: ٣٠.

من الناس إلّا وقد ولّوا علىٰ الناس حتىٰ لا يقول قائل : إن ولّينا لعدلنا ، ثم يـقوم القائم بالحق والعدل»[1] .

وعن الامام الباقر عليه السلام قال : «دولتنا آخر الدول ، ولا يبقىٰ أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا ، حتىٰ لا يقولوا اذا رأوا سيرتنا : اذا ما ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء ، وهو قول الله عز وجل : ﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»[2] .

فليس هناك استثناء لأي من نظريات الحكم مهما بلغت مـن نـقائها وقـوّتها ، ومسألة تشكيل الحكومة الاسلامية في عصر الغيبة يجب إلّا تنطلق في مشروعيتها علىٰ أساس نيابة المعصوم في غيابه فقط بل علىٰ وجوب تطبيق شريـعة الله وعـلىٰ ضرورة الحكومة في ادارة الحياة الاجتماعية .

وأدبيات المسألة تتضمن تأكيداً علىٰ فشل واخفاق وبمستويات مختلفة نظريات الحكم التي تعد ارهاصات سابقة تهيىء الأرضية المناسبة للنجاح النهائي .

فالنضج الفكري في التنظير والتطبيق لا يحدث فجأة ، بل أنه عملية تبلور تتم ببطء وهدوء ، والانسانية تتعلم من تجاربها الطويلة وترقى شيئاً فشيئاً سلم الرشـد والكمـال ، فـالربط بـين مسألة المـهدي وأي مـن نـظريات الحكـم في حـقانيتها ومشروعيتها هو ربط فيه تعسّف لامبرر له .

إنّ أية دراسة للحركات الاسلامية في البحث عن جـذور نشـوئها ومـبررات استمرارها لابد وأن تخلص في التحليل الىٰ عنصرين : الأول الخطاب القرآني الصريح في وجوب اقامة الصلاة ، وجوب الجهاد ، وسائر الواجبات الفردية والاجتماعية التي لا يمكن أداءها إلّا من خلال نظام سياسي واجتماعي وإداري .

والعنصر الثاني : هو بداهة وضرورة وجود نـظام الحكـم لادارة دفـة الحـياة

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤٤/٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٢.

الاجتماعية وأي محاولة لاقامة نظام اسلامي انما تكتسب مشروعيتها القانونية في هذا الاطار بغض النظر عن الفاصلة التي تبعدها وتقربها من الصوابية .

ولذا سيكون من العدوان والظلم الهجوم علىٰ مشروعية نظرية للحكم الاسلامي انطلاقاً من التشكيك في ولادة الامام المهدي وغيبته ، لأن مسألة ميلاد الامام وغيابه مسألة مستقلّة تماماً عن أي من نظريات الحكم مهما بلغت الذروة في النقاء النظري ، ذلك أن اسباب الاخفاق لا تنحصر في الخطأ النظري وانما تتعداه الىٰ الخطأ والخلل في التطبيق ، والامام الشهيد محمد باقر الصدر الذي نهض بمسؤوليته كثائر يهدف الىٰ تطبيق واقامة حكم اسلامي فذ وشريف[1] يعلن صراحة : ان العلم لا يصنع حقيقة انما يكشف عنها ، وأنه لا يحل مشكلة انما ينبه لها فقط .

بل اننا نجد عاملاً ثالثاً في الاخفاق لا يعود الى خلل في النظرية أو تعثر في التطبيق وانما الىٰ غياب الظروف المواتية التي تساعد علىٰ النجاح .

فالخطة الاقتصادية التي نهضت بالاقتصاد الالماني من تحت أنقاض حرب مدمّرة فشلت فشلاً ذريعاً في أول محاولة لتطبيقها خارج بيئتها الأصلية[2] لأن ظروف المانيا العامّة تختلف جوهرياً عن ظروف البلدان الأخرى .

وفي عالم الطبيعة كم هي البذور الكامنة في الأرض غافية تترقب المناخ الملائم للانبات حتىٰ إذا توفرت الظروف المواتية اهتزت وتحركت جذورها ، ثم ظهرت أوراقها لتنمو وتنشر ظلالها الوارفة وتؤتي أكلها ولو بعد حين .

العصر الجديد:

حشد من الروايات والاخبار يؤكد خطوة التجديد الكبرىٰ التي تتم على يدي

---

(١) كما ورد ذلك في نداءاته الأخيرة قبيل استشهاده.

(٢) مشكلة الافكار في العالم الاسلامي / مالك بن نبي: ص١١٤ ـ ١١٥ ط دار الفكر.

الامام المهدي هذه الخطوة التي ستأتي في اعقاب فراغ حضاري هائل وازمة أخلاقية تعصف بالعالم.

يقول الامام محمد باقر الصدر في ختام بحثه حول المهدي: «هناك افتراض أساسي واحد بالامكان قبوله علىٰ ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه والتجارب التي لوحظت لعمليات التغيير الكبرىٰ في التاريخ وهو ظهور المهدي عليه السلام في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة. وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتدّ، وهذه النكسة تهيّء الجو النفسي لقبولها، وليست هذه النكسة مجرد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وإنما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ المنقطع عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ التي لا تجدُ لها في نهاية المطاف حلّاً حاسماً فتشتعل النار التي لا تُبقي ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة؛ ليطفىء النار ويقيم على الأرض عدل السماء».

وعن الامام الصادق عليه السلام: «كأني أنظر اليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد»[1].

الامام الباقر عليه السلام: «يقوم بأمر جديد»[2].

الامام الصادق: «يبايع الناس بأمر جديد»[3].

وهناك أخبار أخرىٰ تؤكد الظاهرة الجديدة التي قد تصل الىٰ حدّ المفاجأة كما هو الحال في ظهور الدعوة الاسلامية في العصر الجاهلي وحدوث التغيرات الكبرى وهذا ما يكشف عنه حديث الامام الباقر في قوله عليه السلام: «ان قائمنا إذا قام دعا الناس الىٰ أمر جديد كما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبىٰ للغرباء»[4].

---

(١) النعماني الغيبة: ١٩٤ باب ١١ ح١.

(٢) المصدر السابق: ٥٣ باب١٤ ح١٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٢ باب١٤ ح٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٠ باب٢٢ ح١.

وهذا التجديد القادم سوف يطال كل شؤون الحياة الانسانية لخصتها الأخبار وعبرت عنها بالأمر الجديد بل أن الكتاب الجديد لا يعني ابتداع كتاب آخر غير القرآن لأن هذا غير وارد بالمرّة ؛ فحديث النبيﷺ يؤكد مواكبة أهل البيت لحركة القرآن الىٰ يوم القيامة وحديث الثقلين صريح ومعبر : «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1] .

واشتهر عن الامام عليعليه السلام في أزمة تدوين القرآن الكريم : «لا يهاج القرآن بعد اليوم» .

ونحن ندرك اليوم وأكثر من أي وقت آخر أن مشكلة المسلمين هي في تفسير القرآن أو ما يدعىٰ اليوم بالقراءة الدينية ، وأننا لنشهد في العصر الحاضر جدلاً حول قراءة الدين ، وتعددية القراءة . . ولاشك أن الاختلاف في القراءات يعني وجود مسافات متباينة بين قراءة وأخرىٰ وأن نسبة ما من التعثر والخطأ في القراءة موجود ويعود الىٰ مستويات الادراك البشري .

من هنا نفهم وجود قراءة تمثل عين الحقيقة والصوابية وهذه متوفرة لدىٰ الامام المعصوم ، وهذا ما تشير اليه الآية القرآنية في قوله تعالىٰ : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وآية آخرىٰ تشهد لأهل البيت بالطهارة : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ .

فالسيرة الجديدة التي يظهر فيها الامام المهدي تمثل استئنافاً لسيرة النبيﷺ ، يقولﷺ عن الإمام المهدي : «هو رجل من عترتي يقاتل علىٰ سنتي كما قاتلت أنا علىٰ الوحي»[2] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «يقفو أثري لا يخطىء»[3] .

وهذا يشير الىٰ أن سنة النبيﷺ سيطالها التغييب والتعطيل والاقصاء ، ولعل

---

(١) أمالي الطوسي: ح١١٦٨.
(٢) معجم أحاديث المهدي: ٢٢٤/١.
(٣) الفتوحات المكية: ٣٣٢/٣.

هذا يحصل وربما من المؤكد علىٰ أيدي الفقهاء «فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود»[1] كما روي عن رسول الله ﷺ: «سيجيءُ أقوامٌ فِي آخرِ الزَّمَن وجُوهُهُم وجوهُ الآدميين وقلوبُهُم قلوبُ الشياطين... السُّنَّةُ فيهِم بِدْعَةٌ والبِدْعَةُ فِيهم سنَّةٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُسَلِّطُ اللهُ عَلَيْهِم شِرَارَهُمْ، فَيَدْعُو خِيارُهُمْ فَلايُستجَابُ لَهُم».

«وذم العلماء بلحاظ مالهم من قدرة على التأثير في الناس من جهة ومن حيث قدرتهم على التلاعب في التشريعات، كما حصل هذا الشيء في برهات عديدة من تاريخ الشريعة الاسلامية لقد دون التاريخ نماذج عديدة من علماء الدين الذين باعوا دينهم بدنياهم وبرروا جرائم ومجازر الطغاة بتبريرات دينية واعتبروا مواقف هؤلاء الطغاة جزء من الدين وسلوكهم تطبيقا لما انزل الله.

اضافة الى هذا اننا لا نشك بوجود البدع والاضافات على الشريعة الاسلامية الاصلية؛ وان ظاهرة البدعة بدرجة من الرواج قلما يخلو منها مذهب وهي ظاهرة مارستها المذاهب عمداً للتمييز بينها وبين باقي المذاهب تارة وقصوراً وجهلاً تارة اخرى.

ان الاختلاف بين المذاهب الاسلامية يصل تارة الىٰ مستوى التناقض والتضاد وهو امر يجعلنا نطمئن بسقم واحد من الرأيين المتناقضين ولا يمكن الحكم بصحة كل من الرأيين المعتمدين في كلا المذهبين.

كما ان الروايات التي تحكي قتال المهدي عليه السلام على سنة الرسول ﷺ مثل الرواية التالية: «هو رجل من عترتي يقاتل علىٰ سنتي كما قاتلت على الوحي» كما تحتمل قتاله ونضاله لاجل احياء السنة المندثرة تحتمل قتاله لاجل تصحيحها وتقويمها».[2]

---

(١) البحار: ٥٢/١٩٠ باب ٢٥.

(٢) مجموعة مقالات / ١٦٤ ـ ١٦٥ (بالفارسية).

وتطال خطوة التجديد دائرة القضاء والتي تأتي بعد فترة النضال وتثبيت دعائم الحكم العادل.

يقول الامام الصادقعليه السلام : «يحكم بحكومة آل داود لا يسأل عن بينة يعطي كل نفس حكمها»[1].

«اذا قام قضىٰ بين الناس بعلمه كقضاء داودعليه السلام لا يسأل البينة»[2].

ويحتمل «أن المعروف بقضاء داود قضاء يعتمد آلية علمية متقدمة لم يكتشف بعد، ويكتشف بعد الظهور من حيث تطور العلوم آنذاك على يد الامامعليه السلام، وعلى اساس هذا التطور يتمكن القضاة آنذاك ـ ولو كانوا غير معصومين ـ الكشف عن الحقائق مستغنين في ذلك عن الادلة الظنية مثل الشهود والبينات وغير ذلك.

ولا يبعد هذا، حيث ان الآليات والتقنيات المستعملة في الوقت الحاضر لكشف الجرائم ومعرفة الحقائق بدرجة كبيرة من الدقة بحيث قلما يصعب على العاملين في هذا المجال معرفة آثار المجرمين فكيف بها اذا تطورت بتطور العلوم اضعافا مضاعفة.

ان الاعتماد على بصمات الاصابع والكلاب البوليسية والميكرسكوب والمختبرات والكامبيوتر و... هذه كلها تقنيات تمكن المحقق من الوصول الى الحقيقة في الوقت الحاضر رغم ان العلم لم يبلغ الكمال بعد، وهناك مشوار طويل لم يجتزه العلم لبلوغ الكمال؛ فكيف اذا كمل وبلغ قمته؟! طبيعي أن يتطور كل شي ومنه ما يتعلق بالقضاء والبحث الجنائي»[3].

وفي العصر الجديد تتجلىٰ العدالة في ربوع العالم وينشر الأمان اجنحته البيضاء وتشهد الانسانية ثورة علمية تؤتي ثمارها حلوة في خدمة البشر جميعاً وعندها «يرضىٰ عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلّا وهبته

---

(١) الكافي: ٣٩٧/١.

(٢) المصدر السابق: ٥٠٩.

(٣) تحسين بدري / الجديد في ثورة المهدي مجموعة مقالات: ١٦٧.

ولا الأرض من نباتها إلّا أخرجته، حتى يتمنىٰ الأحياء الأموات»[1].

وتستحيل الأرض التي أحرقتها الحروب علىٰ مرّ الزمن الىٰ أرض خضراء معطاء.

وتشهد الانسانية تكاملاً عقلياً وأخلاقياً علىٰ درجة كبيرة من الرقي والحضارة والتقدم: «اذا قام قائمنا وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم»[2].

وتتحقق يومئذ كل الطموحات الانسانية والخيالات التي داعبت أحلامهم وتطلعاتهم: «العلم سبعة وعشرون جزءً جميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزءين، فاذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءً، فبثها في الناس وضم اليها الجزءين، حتى يبعثها سبعة وعشرين جزءً»[3].

ولا شك أن هذا النجاح الذي يحرزه المهدي في تنفيذ العدالة مردّه الىٰ ان النظام الاداري الذي سيعتمده سيكون علىٰ درجة عالية من الرقي والدقة والنزاهة، ما يجعلنا نتصور نظاماً اخلاقياً يبلغ درجات غاية في السمو والنقاء.

ولنا أن نتصور عناء الانسانية من الويلات والحروب والدمار وتعسّف النظم الادارية وبطش الحكومات واستعباد الشعوب، ثم اذا بالسماء تنفتح علىٰ الأرض بأمطار الخير والبركات.. أمطار غزيرة تحيي الأرض بعد موتها هذه الأمطار التي تجعل الناس يتطلعون بأمل الىٰ الخلاص في وجود من يفكر باستثمار هذا الفيض السماوي بدلاً من العدوان وشن الحروب وتغذية الصراعات الدامية.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «اذا آن قيامه، مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير مثله»[4].

---

(١) معجم أحاديث المهدي: ٢٢٩/١.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٥/٣.

(٣) البحار: ٣٣٦/٥٢.

(٤) الزام الناصب: ١٥٩/٢.

وقد أورد الشيخ المفيد مجموعة من العلامات الدالّة علىٰ الظهور تُختتم بهطول : «أربع وعشرين مطرة تتصل فتحيا بها الأرض بعد موتها وتعرف بركاتها»[1] .

وقد اثبت «التلمود» ملامح مذهلة عن عالم المستقبل خاصّة في الميدان الزراعي حيث الاشجار المثمرة تهب ثمارها كل شهرين فيما تهب الحقول حبوبها كل اسبوعين مرّة[2] وتدفق الينابيع[3] .

وستشرق شمس العدالة»[4] .

على أن السعادة التي يبشر بها التلمود ستعني فقط بني اسرائيل اتباع دين موسىٰ ، وعندما «يأتي الوثنيون لاعتناق دين يهود فأنهم سيطردونهم»[5] .

وهذه النظرة العنصرية ينضح بها الفكر اليهودي حيث الحقد علىٰ الامم والشعوب والتخطيط لدمارها مبثوث في التلمود الذي يتمتع بالقداسة لديهم أكثر من التوراة .

---

(١) القزويني / الامام المهدي من المهد الىٰ الظهور: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) گنجينه تلمود (بالفارسية): ٣٥٧ (يروشلمى تغيث).

(٣) المصدر السابق: ٣٥٨ (حزقيال: ١٢/٤٧).

(٤) المصدر نفسه (ملاكي ٢/٤، ١٩/٣).

(٥) المصدر نفسه: ٣٦٠ (عو ودازارا، ٣ب)

الحرب والسلام

الصراع الاسلامي الاسرائيلي / المسألة اليهودية:

انه من السذاجة بمكان أن نتصور ولو على مستوىٰ الاحتمال الضعيف جداً امكانية حل المشكلة الفلسطينية سلمياً ذلك أن الكيان الصهيوني الذي نهض علىٰ جماجم أطفال فلسطين لايعرف غير منطق القوة ولغة الرصاص وأن التناقض من الحدّة بحيث لا يمكن استبعاد انفجار الوضع بشكل حرب ضارية وأن المعركة الفاصلة قادمة لا محالة .

وهذا ما يجعلنا نعتقد أن المسألة الفلسطينية ليست محنة عربية ولا حتىٰ اسلامية فحسب بل انها قضية مصيرية تهدد سلام العالم واستقراره .

ان عالمنا اليوم يعيش هاجس العدالة والسلام ، ومن المؤكد أيضاً وجود قوىٰ خيرة في كل العالم تطمح الىٰ أرض يغمرها النور والدفء والسلام .

ومن المؤكد أيضاً وجود قوىٰ شريرة تريد الاستيلاء علىٰ العالم وتسخيره اذا لم نقل تدميره ، وفي مقدمة قوىٰ الشرّ الحركة الصهيونية التي تسيطر اليوم بقوة علىٰ مقدرات دولة عظمىٰ هي الولايات المتحدة الامريكية .

فالعلاقات الامريكية الاسرائيلة هي أوسع من تحالف سياسي وعسكري بل أن هناك من التوحد في النسيج الشيطاني ما يعزز القول ان امريكا مستعمرة ذليلة تابعة لاسرائيل والحركة الصهيونية .

فالفلسطينيون الذين اكتووا بنار الصهيونية هم أوعىٰ شعوب الأرض بحقيقة امريكا :

إنها امبراطورية نمت فوق مزبلة ليس فيها ما يشرف البشرية وما زالت تتآمر حتى الآن وتتفنن بتصدير العذابات إلى شعوب العالم .

وليس بدعاً أن يرىٰ جيفارا ذلك الثائر الباسل ان رسالته الانسانية في الحياة

هي محاربة الولايات المتحدة الامريكية عدوة الجنس البشري .

وبلغ الامام الخميني الراحل الذروة في ايمانه العميق والراسخ حول طبيعة النسيج الامريكي الاسرائيلي يقول (رض) :

«على المسلمين أن يعلموا جيداً أن العدوّ للاسلام والقرآن والنبي الكريم هي القوى الكبرى لا سيما امريكا ووليدتها الفاسدة اسرائيل»[1] .

«ليعلم إخوتنا ان امريكا واسرائيل تعاديان اساس الاسلام ، لا نهما تريان ان الاسلام والكتاب والسنة شوكة في طريقهما وعقبة دون نهبهما»[2]

ويقول ﷺ : «ان اميركا دولة ارهابية بطبيعتها ، وهي الدولة التي اشعلت النيران في ارجاء العالم كلّه وحليفتها الصهيونية العالمية هي التي ترتكب من أجل بلوغ مطامعها جرائم تخجل حتى الاقلام عن تسطيرها والألسن عن النطق بها ، وان الاوهام التي يسعون لتحقيقها وهي «اسرائيل الكبرى» تجرّهم الى ارتكاب كل جريمة»[3] .

الشخصية الصهيونية:

لعل أوضح وأعمق ما كتب عن الصهيونية قد جاء في المادة ٢٢ من الميثاق الوطني الفلسطيني الذي يقول :

«ان الصهيونيَّة حركة سياسية مرتبطة عضوياً بالامبريالية العالمية ، ومعادية لكلِّ الحركات التحررية والتقدمية في العالم ، وهذه الحركة ذات تركيبة عنصرية متعصبة وأهداف عدوانيّة وتوسعية واستعمارية وأساليب فاشية ونازية .

إن اسرائيل يد الحركة الصهيونيّة وذراعها ، وقاعدة بشرية وجغرافية

---

(١) صحيفة نور ١٩ / ٤٦ من ندائه (رض) في ٨٢٩ / ١٩١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه ١٧٢/٢١ من وصيته (رض) التي قرئت في مجلس الشورى: ١٩٨٩.

للامبرياليّة العالميّة ، ومحل تمركز وانطلاق لها في قلب الوطن العربي ، يستهدف القضاء على تطلعات الأمة العربية في الحرية والوحدة والتقدم .

ان اسرائيل مصدر دائم لتهديد السلام في الشرق الأوسط والعالم برمّته ، ولما كان تحرير فلسطين ينهي الوجود الصهيونيّ والامبرياليّ ، ويساهم في إحلال السلام في الشرق الاوسط ، لذا فان الشعب الفلسطيني يتوقّع من كل قوى التقدم والسلام ويطلب اليها أن تقدّم ـ دون النظر الى القومية والمعتقدات ـ كلّ انواع العون والاسناد للكفاح العادل الذي يخوضه هذا الشعب من أجل تحرير وطنه) .

يكفي أن نعرف أن اسرائيل بدأت نشاطها الذري بعيد الاعلان عن قيامها وبدأت عزمها في انتاج القنبلة الذرية وها هي الآن تمتلك أكثر من ٣٠٠ رأس نووي موجهة الى نقاط محددة .

ان الوهم الصهيوني باقامة اسرائيل الكبرى من «دلتا النيل الى نهر الفرات» يوجه الخطط الاسرائيلية كما ان انتخاب شارون لرئاسة الحكومة يكشف عن المخزون الدموي الفظيع لهذه الحركة الهدّامة .

واليهودي التلمودي يعيش عقدة التفوق ويرى نفسه وحده الجدير بالحياة في الأرض ، ويبرر التلمود هذه الأفضلية بقوله ان الله تجول في كل القرى وعرض على الشعوب التوراة فرفضها الا قوم اسرائيل[1] .

والتلمود يردد اكثر من مرّة هذه المقولة : «كما ان العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء ، فانه لا يمكن أن يعيش بدون اسرائيل»[2] .

وهذا يتضمن نزعة عنصرية موغلة وعقدة لا يمكن الخلاص منها .

فهم ابناء الله وهم شعب الله المختار فهم «عام عولام» أو الشعب الأزلي و«عام نيصح» أو الشعب الأبدي .

---

(١) التلمود بميدبار رب ١٠/٤ ـ ٢٢.

(٢) الشخصية الاسرائيلية / حسن ظاظا ـ عالم الفكر ص١٣ عن التلمود البابلي عبود زاده ١٠.

وفي تعبيراتهم الشعرية يرون ان الرب قد اتخذ امتهم عشيقة له ، بل انه تزوجها زواجا أبديا ، حتى انها اذا خانته ودنست شرف العلاقة التي بينها وبينه لم يطلقها كما يفعل أحقر مخلوق من البشر ، ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضى ، وان يعاقب ثم يصفح . فهي الأمة الحبيبة المعشوقة المدللة ، التي تعلم مقدما ان الرب لن يجرؤ يوما ما على قتلها مهما أجرمت .

ويصف نبي اليهود هوشع هذا الموقف بقوله على لسان الرب : «سأكشف الآن عورتها على مرأى من عشاقها ، ولن ينقذها أحد من يدي . فأبطل كل افراحها وأعيادها وغرر شهورها وسبوتها وكل حفلاتها ، وأدمر كرمها وتينها ؛ اذ قالت هو أجري جعله لي عشاقي ، فأصيّر ذلك أجمة يأكلها وحش الصحرا ، وأحاسبها على ايام الاصنام التي بخرت لها ، وتزينت بأقراطها وحليها وانطلقت وراء عشاقها ونسيتني ، يقول الرب . ثم انني اتملقها وآتي بها الى البرية ، وأخاطب قلبها ، وأعطيها كرومها من هناك ، مع وادي عكور ، بابا للامل . فتغني هناك كما في أيام صباها ، وفي يوم صعودها من أرض مصر» . (هوشع ٢ : ١٠ ـ ١٥) . وتكثر في مثل هذا المعنى أقوال الانبياء والكهنة والشعراء والحالمين والصوفية على مدى أجيال اسرائيل . ومن هنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم «شعب الله المختار» . ويفسرون هذا الاختيار الالهي بأنه تفضيل للاقوى والأصلح ، ويردونه الى ليلة المصارعة العجيبة التي أدى فيها جدهم يعقوب ـ اسرائيل ـ امتحان القوة والصبر على المكاره بنجاح باهر ، ويرون ان هذا الاختيار قد تختفي دلائله عندما يضعف اليهود ويذلون ، ولكنهم يعودون الى الجبروت والسطوة من جديد» ، لأن الرب سيرحم يعقوب ، ويعود فيصطفي اسرائيل ، ويريحهم في أرضهم ، وينضم الغريب اليهم ، ويتصل ببيت يعقوب . وتأخذهم الشعوب وتحضرهم الى مكانهم فيمتلكهم بيت اسرائيل في أرض الرب عبيدا وجواري ، فيأسرون الذين أسروهم ، ويستولون على من سخروهم» . (اشعيا ١٤ : ١ ، ٢) .

وواضح من مثل تلك النصوص ان اعتقاد اليهود في اختيار الرب لهم ليس مجرد مفخرة يتشدقون بها ، بل هو برنامج ؛ فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى ، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان ، متسلطين على رقاب العالم ، وهم باختصار الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل ، مسرح التاريخ ، والأمم الأخرى ليست الا اشخاصا ثانوية خلقها الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها ، على نحو تظل فيه البطولة لاسرائيل . ومن هنا تبرز خطورة النفسية الاسرائيلية على أمم العالم ، ويتضح مدى احتياجها لعلاج ناجع ـ لا بد أن يكون مرا ـ حتى تصحو من غرورها لتندمج في امم العالم .

والداء الذي نشير اليه مزمن عند القوم . فـي مـصطلحاتهم نجـدهم يسـمون أنفسهم ايضا «الشعب الأزلي ـ بالعبرية : عام عولام ـ كما يسمون أنفسهم «الشعب الأبدي» بالعبرية : عام نيصح ـ وهكذا تطاولوا على الرب ـ ولو مجازا ـ فتخيلوا انهم يشاركونه في أزليته وأبديته ، وانهم مثله لا أول لهم ولا آخر ، ولا بداية ولا نهاية . وهو قول كبير ، أحسّ بعض مفكريهم بفداحته ، ففسروه على أنهم من أقدم شعوب العالم ، وهو المقصود بالأزلية ، ومن أدوم شعوب العالم ، وهو المقصود بالأبدية . وهي دعوى خرافية حتى بعد هذا التخفيف الشديد ، فاليهود كما يعلم الجميع ليسوا اقدم من الفراعنة ، ولا من سومر وبابل وآشور ، ولا من الهنود أو الصـينيين ، ولا مـن العرب . وهم أيضا ليسوا أطول دواما من كثير من تلك الأمم . وهم وراء ذلك كله : أمة لا حضارة لها[1] .

ويطول بناء الحديث لو أننا اردنا تتبع كل آثار هذا الأدب الفنائي عند اليهود . فاكثر سفر النبي حزقيال من قبيل هذه الرؤى النهائية الحتمية ، تشب فيها حروب ، تبدأ بتطهير المجتمع اليهودي نفسه من الدنس الذي كان قد غرق فيه الى الاذقـان .

---

(١) مجلة عالم الفكر / م ١٠ ـ ع ٤ ١٩٨٠ الشخصية الاسرائيلية / ٢٥ ـ ٢٦.

وهو تطهير يتم بالحرب والحصار والموت. يسلط فيه الله غضبه على اورشليم وساكنيها «ثلث يموت بالوباء وبالجوع يهلكون في وسط المدينة، وثلث يسقط بالسيف من حولهم، وثلث يذريه الرب في كل ريح، ويرفع من ورائهم سيفا مسلولا» ـ (انظر حزقيال، الاصحاح الخمس). وبعد هذا التطهير يكون الشعب المختار ـ او من بقي منه ـ قد اصبح جديرا بخوض المعركة النهائية التي ينتصر فيها على العالم ويخضعه لارادته[1].

ويكمن الخطر في تلك الأوهام التي تتخذ شكل النبوءات وقد عشنا جميعاً دوي الكتاب الذي ترجمه محمد خليفة التونسي «برتوكولات حكماء صهيون» والذي كشف عن وجود حكومة سرّية. هدفها السيطرة على العالم وتسخيره للاطماع والاوهام اليهودية المريضة وما تنطوي عليه من خطط تفوح برائحة الدم.

«من ذا، وماذا يستطيع ان يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. ان المحفل الماسوني المنتشر في كل انحاء العالم لا يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا. ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا، وفي مركز قيادتنا، ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا.

يمكن الا يكون للحرية ضرر، وان تقوم في الحكومات والبلدان من غير ان تكون ضارة بسعادة الناس، لو ان الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله، وعلى الاخوة والانسانية، نقية من افكار المساواة التي هي مناقضة مباشرة لقوانين الخلق، والتي فرضت التسليم. ان الناس ـ محكومين بمثل هذا الايمان ـ سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم (هيئاتهم الدينية)، وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة، تحت ارشاد ائمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض. وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع

---

(١) المصدر السابق.

مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية . ثم ، لكي نحول عقول المسيحيين عن سياستنا ، سيكون حتما علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة ، وهكذا ستنصرف كل الأمم الى مصالحها ، ولن تفطن ، في هذا الصراع العالمي ، الى عدوها المشترك . ولكن لكي تزلزل الحرية حياة «الجوييم» الاجتماعية زلزالا ، وتدمرها تدميرا ، يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة . وستكون نتيجة هذا أن خيرات الأرض المستخلصة الاستثمار ، لن تستقر في أيدي الأمميين (غير اليهود) ، بل ستعبر خلال المضاربات الى خزائننا .

ان الصراع من أجل التفوق ، والمضاربة في عالم الاعمال ، سيخلقان مجتمعا أنانياً ، غليظ القلب ، منحل الأخلاق . هذا المجتمع سيصير منحلاً كل الانحلال ، ومبغضا أيضاً للدين والسياسة ، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد ، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب ، متخذاً اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب ، مذهباً أصيلاً . وحينئذ ستنضم الينا الطبقات الوضيعة ، ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين ، دون احتجاج بدافع نبيل ، ولا رغبة في الثورات أيضاً ، بل تنفيسا عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا .

بهذا ينتهى البروتوكول الرابع الذي يصف فن اليهود في انتهاز كل الفرص : الحرية والاستبداد ، السلم والحرب ، المادية والروحية ، التقوى والالحاد ، الاغنياء والفقراء . كل ذلك يستغلونه لمصلحتهم هم بوصفهم شعب الله المختار ، وبفضل حكومة سرية في أيام الشتات ، قد لا تكون دائما الماسونية ، أو قد تكون بجانبها قوى رهيبة ظاهرة أو باطنة مثل القهيلة ، أو السنهدرين ، أو الرأسمالية اليهودية ، أو الشيوعية اليهودية أيضاً ، أو دولة الصحافة والاعلام والملاهي ـ وبخاصة السينما ـ وكذلك الكتب التي تمجها المطابع بغزارة ، لا للتثقيف ولكن لقتل الوقت والهاب النفوس بانفعالات مدمرة : جنسية وخرافية واجرامية ، وما الى ذلك[1] .

---

(١) المصدر السابق / ٥٨.

العدوان:

ان الحقد هو الابن الشرعي للشعور بالاضطهاد، فالاحقاد الصهيونية تجاه العالم نابعة من هذا الشعور مع ان الاضطهاد في الواقع كان نتيجة طبيعية لتلك الاحقاد الهائلة التي يكنها اليهود للعالم انك تراهم لا يندمجون مع المجتمع الانساني اينما كان وفي أية دولة ولا يمارسون عملاً زراعياً مفيداً بل ينصرفون الى ادارة أعمال الصيرفة والربا الفاحش لتدمير اقتصاد البلدان التي يعيشون فيها والسيطرة عليها.

وبعد قيام اسرائيل ظهرت الشخصية الاسرائيلية على حقيقتها وكشفت عن كائن تلمودي مريض فلا نعجب أن نرى على شاشات التلفاز ذلك المشهد الفظيع في قيام مجموعة جنود اسرائيليين بالانقضاض على فتى فلسطيني وقتله بطريقة مؤسفة وأليمة فيما كانت عدسة صحافي تلتقط تفاصيل هذا المشهد الأليم عن بعد!

وقد أوردت دراسة «أدب الحرب بين العهد القديم والقرآن الكريم» التي تقدم بها الباحث وجيه محمد عوض[1] لنيل الدكتوراه حقائق مذهلة عن طبيعة النفسية التلمودية.

وتنقل الدراسة عن التلمود أيضاً ان «الشفقة والرحمة ممنوعة بالنسبة لغير اليهود؛ لأن اليهودي إذا رأى أحداً واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليه أن ينقذه منه؛ لأن الشعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان، والمراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلط بباقي امم الأرض، وعليه يلزم قتل الأجنبي ومحاربته؛ لأنه من المحتمل أن يكون من نسل الشعوب السبعة، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، وإذا لم يقتله يخالف الشرع؛ لأنه جاء في الكتب: كيف لا ابغض يا إلهي من يبغضك؟».

---

(١) الدعوة صوت الحق والقوة والحرية ع١١١ ربيع الأول ١٤٢٢ ـ يونيو ٢٠٠١ عرض وتقديم خالد الأصور ص٣٥ ـ ٣٧.

جذور الارهاب

وتشير الدراسة إلى أن محاربة وقتل «الاجنبي» ـ أي غير اليهـودي ـ عند بني إسرائيل تعد من الفضائل حتى إنهم يسامحون القاتل في هذه الحـالة ، وقـد ورد في التلمود كذلك : «أن من يقتل مسيحياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس الأعلى» ، ومن مظاهر الحرب من خلال العهد القديم الزعم بأن شمعون ولاوى ابـنا يـعقوب «أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا إلى المدينة بأمن وقتلا كل ذكر بحد السيف» وتبع ذلك سلب ونهب المدينة (سفر التكوين : ٢٤/٢٥ ـ ٢٩) .

ويصور سفر الخروج ـ في مواضع مختلفة ـ أعمال الرب تجاه الأمم الأخرى فهو يقتل كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم (التكـوين : ١٣/١٥) فـهو رجـل الحرب (التكوين : ١٥/٣) ، ويطرد الأمم الأخـرى دون حـل وسـط مـن أمـثال الكنعانيين الحثيين (التكوين : ٢٣/٢) تمهيداً لإحلال بني إسرائيل محلهم .

وترجع الدراسة أصول وجذور الإرهاب لدى بني إسرائيل وسفك الدماء إلى ما ورد في سفر العدد من وصف للشعب اليهودي «هو ذا شعب يقوم كلبؤة ، ويـرتفع كأسد لا ينام حتى يأكل فريسة ، ويشرب دم قتلى» (٢٢/٢٤) ، كما يـصور سـفر التثنية الإرهاب الفظيع للغاية لدى اليهود ، فهو موجه لا للإنسانية فحسب ، بل لكل ما هو على وجه الأرض : «إلهكم يجـعل خشـيتكم ورعـبكم عـلى كـل الأرض» (١١/٢٥) .

وتلفت إلى ما تميزت به حروب اليهود من أعمال عنف وإرهاب بشعة بقسوتها ووحشيتها في تاريخ البشرية جمعاء في مختلف العهود ، منذ النصف الأول من القـرن الثاني قبل الميلاد مـع الاسـتعانة بمـا أورده المـؤرخ اليهـودي الشهـير «فـلافيوس يوسفوس» وهو اقدم مؤرخ يهودي عاش في القرن الميلادي الأول .

وترصد الدراسة طبيعة الحرب في عقيدة بني إسرائيل ـ قديما وحديثا ـ فالحرب عندهم عمل مقدس وقائد هذه الحرب في زعمهم هو «رب إسرائيل» فهو «رجـل

حرب» و«رب الجنود» في حين آخر، و«إله سلام» فكيف يتم التوفيق بين هذه المتناقضات!

وعلى عكس منهج اليهود في الحرب ـ استنادا إلى العهد القديم المحرف ـ والذي يقوم على القسوة والهمجية والظلم أوردت الدراسة منهج الحرب في القرآن ـ وعماده العدل والرحمة ـ موضحة مفهوم الحرب وحكمة مشروعيتها وأنواعها وفرضية الحرب، وتدرج التشريع في الحرب وشروط المحارب في الإسلام في دراسة مقارنة بما جاء في العهد القديم.

كما القت الدراسة الضوء على تعريف الغنيمة وبيان دليل مشروعيتها وكيفية تقسيم الغنيمة وحكم أربعة اخماس الغنيمة وتقسيمها، وأحكام معاملة الأسرى من حيث حكم قتل الأسرى وحكم استرقاقهم والمن والفداء، وبيان المدى البعيد للشريعة الراحمة للإسلام حتى في المعارك الحربية، وذلك على عكس الطبيعة العدوانية لبني إسرائيل من خلال العهد القديم واستخدامهم لأبشع وأفظع الوسائل الوحشية من العنف والإرهاب المتأصل في دمائهم منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ وحقدهم المتجذر دينياً وتاريخياً على الفلسطينيين بصفة خاصة، وبقية الشعوب الاخرىٰ بوجه عام عن طريق الاحتلال والتوسع والسيطرة والاستيطان، أو سياسة الاعتماد على الغير ـ اليونان والرومان قديماً وبريطانياً وأمريكا حديثا ـ والحرب الجماعية أو الأمة المسلحة، مع تحقيق الأفكار التي يحتويها العهد القديم وبيان الحقائق التي يكشفها القرآن الكريم على ضوء مصداقيته الحقة تجاه ما يتصل بهذا الموضوع من مصادر يهودية وخاصة التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، وتكوين فكرة شاملة عميقة عن تأثير التعاليم الدينية اليهودية التوراتية والتلمودية في تكوين العقيدة العسكرية الصهيونية.

وإذا كانت الدراسة قد اثبتت الجذور «النظرية» للإرهاب الصهيوني من خلال نصوص التوراة ـ المحرفة ـ والتلمود فإن الممارسة «العملية» لليهود على مر التاريخ

وخاصة في العصر الحديث تنسجم مع معتقداتهم وتصوراتهم الشائهة ، حيث يعتبر العنف والارهاب ركيزة من اهم ركائز الفكر الصهيوني وأحد مقومات الأيديولوجية الصهيونية ، فمنذ أن بدأت أفواج المهاجرين اليهود بالزحف إلى فلسطين بدأ الصهاينة في ممارسة الإرهاب بشكل منظم ومدروس ، فمارسوا القتل والتدمير ضد الشعب الفلسطيني لطرده من دياره وإحلال المهاجرين اليهود مكانه .

وقد مارس اليهود الارهاب من خلال منظمات إرهابية مثل : «الهاجانا شتيرن ، والأرغون» ، وغيرها ثم مارس الصهاينة بعد قيام «الكيان الصهيوني» كدولة من خلال أجهزة مخابرات الصهيونية المختلفة مثل : «الموساد ، والشين بيت» ، وغيرها بالإضافة إلى عمل المنظمات الصهيونية المتطرفة ، والمستوطنين ، فالصهاينة يجدون في جميع صنوف الإرهاب عملاً مشروعاً ـ استناداً إلى كتبهم ـ لتحقيق أهدافهم ، في حين يعتبرون مقاومة الشعب الفلسطيني لهم والتي اقرتها كل الشرائع والمواثيق الدولية «إرهاباً» يجب محاربته والقضاء عليه .

وبعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ أصبح الإرهاب والقتل الجماعي «حرفة يهودية» يقوم بها عبدة «العجل» وقتلة الأنبياء ، فتم تنظيم هدم المنازل وتدمير القرى وتشريد السكان ومصادرة أراضيهم لإقامة المستوطنات الجديدة لليهود القادمين وأصبح هذا سياسة عامة للحكومة والجيش الصهيوني الذي ضم جميع العصابات الصهيونية الإجرامية التي ارتكبت أعمال القتل والتدمير والنهب قبل قيام الكيان الصهيوني وتحت حماية قوات الانتداب البريطاني .

وقد ارتكب الصهاينة خلال الحقبة ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ عدداً كبيراً من الأعمال الإرهابية زاد عددها ـ في هذه الفترة فقط ـ عن ٢١ الف حادثة إرهابية حسب سجلات الأمم المتحدة ، أي بمعدل أكثر من ألف حادثة سنوياً أي نحو ثلاث حوادث يومياً .

ومن أخطر الأعمال الارهابية التي ارتكبها الصهاينة سواء أيام الانتداب

البريطاني أو بعد قيام الدولة الصهيونية في فلسطين هي المجازر والمذابح الجماعية ضد المدنيين العزل لبث الرعب والخوف في نفوس السكان لإجبارهم على ترك أوطانهم، ويلاحظ أن هذا الأسلوب لم يتغير منذ ارتكاب أول مجزرة كبيرة في دير ياسين في ١٩٤٨/٤/٦ تلك البلدة الواقعة على مشارف «القدس الشريف»، والتي راح ضحيتها ٢٥٤ فلسطينياً معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، مروراً بمذبحة «صبرا وشاتيلا» في المخيمات الفلسطينية بجنوب لبنان حيث تم إطلاق نيران المدافع الرشاشة الثقيلة والقذائف والقنابل وجرى قصف مئات المنازل واستمرت المجزرة على مدى أربعين ساعة متواصلة.

وقدر عدد الضحايا الذين سقطوا في أيام ١٦ و١٧ و١٨ من «ايلول» عام ١٩٨٢م بأكثر من ٢٠٠٠ ضحية انتهاءاً ـ وليس نهاية ـ بمذبحة الحرم الإبراهيمي عام ١٩٩٤ حيث استشهد اكثر من ٦٠ مصلياً في ساحة المسجد ومذبحة «قانا» بجنوب لبنان في نيسان / أبريل أيضاً عام ١٩٩٦.

وأخيراً ـ وليس آخراً ـ السلسلة المتواصلة للمذابح الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الصابر في انتفاضته المباركة الحالية والتي راح ضحيتها اكثر من ٤٠٠ شهيد ـ وما زالت قوافل الشهداء تترى ـ وعشرة آلاف مصاب ومعوق باستخدام قذائف المدفعية والدبابات والطائرات كل هذا ضد المدنيين العزل، وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

هذه هي اسرائيل التي ظهرت ككائن تلمودي مخيف مثقل بعقد نفسية تجعله مسخاً[1] منسلخاً عن الطبيعة الانسانية وقيمها الأخلاقية النبيلة.

آفاق الحل!:

والسؤال هنا هل ثمة حل أو علاج لهذه الظاهرة المرضية ؟

---

(١) «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» البقرة: ٦٥.

يرى الاستاذ حسن ظاظا الكيان السياسي في اسرائيل التي جاءت كحل استعماري للحركة الصهيونية حالة مرضية اجرامية تمثل نتيجة لسلسلة من الاصابات العميقة ، وتحمل اضطرابات في الشخصية سببها وراثة ثقيلة من أمراض الاسلاف ، ثم حالة من الصحة النفسية والاجتماعية تأبى الانخراط في الحياة العادية للمجتمع الانسانى .

وفي جميع التشريعات نجد القضاة يضعون موضع الاعتبار كون التصرفات الاجرامية صادرة عن شخصيات مريضة ، ويعتبرون ذلك ظرفاً مخففاً ، بحيث يكون حكمهم في النهاية وافيا بغرضين : الحد من الجريمة ، والعلاج من المرض .

وفي رأينا ان الشخصية الاسرائيلية من هذا النوع . وقد استفحل مرضها ، حتى وصل في بعض الاحيان الى الجنون المطبق ، بسبب افواج المتطرفين والحمق والمصابين بالهستريا والهلوسة وجنون العظمة واحلام اليقظة وأزمات الاكتئاب واليأس والبكاء ، تولوا مقاليد هذه الجماعة ومقدراتها ، قديما وحديثا فكانت نتيجة كل ذلك الصهيونية .

فالصهيونية فكرا وسلوكا وتطبيقا موبوءة بالتعصب العنصري والتعصب الديني ، ، وعقد الشعور بالاضطهاد ، والفزع من اللاسامية ، كما انها مصابة بأورام انتقلت عدواها اليهم من طغاة كثيرين فتكوا بالاسرائيليين ، وتفننوا في التنكيل بهم ، وكان من أواخر ذلك البوجروم واللاسامية الهتلرية . فراح الغلاة من الصهاينة يقلدون اولئك السفاحين .

والعلاج من هذه المجموعة من الامراض ، ما كان منها وراثيا ، وما أخذ بالعدوى ، وما تحوصل في ثنايا الشخصية الاسرائيلية في الظروف التي شاء اليهود أن يعيشوا فيها ، او التي اجبروا عليها ، لا بد أن يكون طويلا يحتاج الى صدق نية منهم في الشفاء ، والى نظرة انسانية شاملة من جميع النفوس المحبة للخير . وهي تجربة ليست بالسهلة . فمن السمات المميزة للشخصية الاسرائيلية العناد ، والاسراع الى

الارتداد عن طريق الخير. وصفهم ربهم في التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة، ابعد الناس عن الطاعة وعن لين الجانب (الخروج ٣٢: ٩ و٣٣: ٣، ٥ و٣٤: ٩ التثنية ٩: ٦، ١٣)، كما اكثر انبياؤهم الشكوى من كفرهم وعنادهم وقسوتهم، ويكفي في ذلك ان نسوق سطورا من كلمة طويلة للنبي ارميا يقول فيها: «مثل خزي اللص اذا وقع، هكذا خزي آل اسرائيل، هم وملؤهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم، اذ يقولون للخشب أنت أبي، وللحجر انت والدي، لانهم اداروا نحوي قفاهم لا وجههم، وفي وقت مصيبتهم يقولون قم وخلصنا. فاين آلهتك التي صنعت لنفسك؟ فليقوموا ان استطاعوا ان يخلصوك في وقت بليتك لأنه قد صارت آلهتك بعدد مدنك، يا يهوذا. لماذا تخاصمونني؟ كلكم عصيتموني، يقول الرب. ضربت ابناءكم بلا فائدة، إذ لم يقبلوا تأديبا. سيفكم أكل انبياءكم كأسد مفترس» (ارميا ٢: ٢٦ ـ ٣٠).

وقد حاول مفكرون من عظماء اليهود على مر الاجيال ان يعالجوا الامة المريضة من دائها القديم فلم ينجحوا. كان كلام بعضهم يفسر على غير ما اريد به، اما لكي يتجه بتفسيره المفتعل نحو اهدافهم ومآربهم، كما صنعوا بفكر الطبيب موسى بن ميمون، واما للتشنيع والتجريح والافتراء على رواد الاصلاح من اخوانهم، كما فعلوا بصاحبهم موسى مندلسون، احد الانسانيين الكبار في القرن الثامن عشر. فقد ذهب هذا المصلح اليهودي الى ان مشكلة اليهود الحقيقية تكمن في ان شخصيتهم قد تبلورت وراء اسوار الجيتو، وان فكرهم نفسه قد اقيمت من حوله حواجز اقوى من اسرار الجيتو، صنعوها هم بانفسهم وتحصنوا في داخلها، وتعودوا على ظلامها الدامس.

ورأى ان الخروج من هذا الحبس الاجتماعي والفكري لا يكون الا باعتبار اليهودية عقيدة وديانة واخلاقا ونمطا في المعيشة، لا دخل فيها للعنصرية ولا للكبرياء النابعة من الخرافات.

هو الذي رفع في قومه الشعار المشهور : «كن يهوديا في بيتك ، ومواطنا مخلصا في الطريق» . وكان حله هذا في حقيقة الامر متسقاً مع اتجاه العالم نحو الحرية ، فقد قامت الثورة الفرنسية ، التي اعلنت فيها حقوق الانسان بعد موت مندلسون بثلاث سنوات فقط . فما كان جزاؤه من قومه عن هـذا الجـهد المـضني ؟ الكـذب والافك المفترى الذى يخدش الرجل فى علمه وعقله وكرامته وعرضه واسرتـه . انـبرت له الاقلام اليهودية المسمومة بالتعصب ، فلم تترك جانباً من جوانب حياته الا لوثته . وتعقب المعاندون من رجال الدين الاسرائيلي كتبه فجمعوها واحرقوها ، وحـرموا على قومهم قراءتها ان أعيد طبعها ، وجعلوا هذا التحريم مؤبدا الى يوم القيامة ، لانهم وصفوا الرجل بالزندقة ايضاً .

وقبل مندلسون ظهر في هولندا الفيلسوف اليهودي المتحرر باروخ سبينوزا ، في القرن السابع عشر وكان هو ايضا يعتقد ان نهـاية الشقاء اليهـودي ، شـقاء اليهـود وشقاء العالم باليهود ، تكمن في ايمان هؤلاء الناس بالدين فقط ، وتخلصهم من النعرة القومية الاسطورية التي تفسد ما بينهم وبين الانسانية كلها . وكان يرى ان الشخصية الاسرائيلية يمكن ان تحافظ على فضائلها لو انها لزمت شرائع الدين ، دون ان تفكر في الاتجاه نحو ارض معينة مثل فلسطين بحجة انها ارض الآباء والاجداد . ففي يقينه ان الله لا يشترط لعبادته مكانا جغرافيا معينا ، وانه يقبل الصلاة ويسمع الدعاء من اي مكان على ظهر الارض . وكان يوضح منطقه هذا بـقوله انـه هـولندي يـؤمن بشريعة موسى ، والمعبد اليهودي في امستردام هـو بـالنسبة له كـهيكل سـليمان في اورشليم بالنسبة لسليمان . ولم يكن الحل يقتصر على تعليم اليهود وحدهم ، بل كان يشجع كل من قصده ليتلقى عنه العلم ، لانه لم يكن من ضيق الافق بحيث يحصر نفسه في نطاق التلمود والمدراش . كان مفكرا وفيلسوفا يؤمن بوحدة الوجود : فـالله سر كبير يسري في الخليقة كلها . وهكذا يستحيل ان يكون له «شعب مختار» دون سائر الشعوب .

فماذا كان جزاء هذا المصلح اليهودي من قومه ؟ أعلنت السلطات الدينية الاسرائيلية طرده من الدين ، والصقت به من التهم ما امدهم به خيالهم الخصب . ولم يحاول الرجل ان يتصدى لهذه الغوغائية في الفكر ، وانصرف الى العلم ، والى عمله الذي يكتسب منه رزقه ، وهو صناعة العدسات البلورية . واذا بالقهل يحاول ارهابه ، ثم يحاول قتله ، لولا ان تداركه بعض المعجبين به من تلاميذه ومحبيه ، فنصحوه بان يترك امستردام ، ليعيش في بعض الارياف القريبة منها ، حتى يتمكن هو واصدقاؤه من تمييز الارهابيين والسفاحين والقتلة لو ان بعضهم حدثته نفسه بالمجئ اليه في المكان الذي اعتزل فيه .

ولم نشأ ان نذكر في تلك الزمرة سيدنا المسيح عليه السلام ، لان دعوته كانت من نوع آخر ، ليست اجتهادا عقليا فلسفيا ، ولكنها وحي من السماء . لقد تعب المسيح مع اليهود . حاول في اول الامر ان يجعل دعوته بينهم هم وحدهم ، فأخذهم العناد ، وتصلبت أعناقهم ، وكابروا وتآمروا ، وطالبوا بقتله . فلما رآى ذلك منهم حطم اسطورة العنصر ، وجعل الشريعة للناس كافة . ويرمز الانجيل الى هذا الانتقال بقصته مع امرأة من غير بني اسرائيل ، يصفها القديس متى بأنها كنعانية ، ويزيد القديس مرقس ذلك تحديدا فيقول انها كانت من الجوييم «أممية ، وفي جنسها فينيقية سورية» ، (انجيل مرقص ٧ : ٢٦) . وقد بدأ المسيح كلامه معها بقوله «انني لم ابعث الا للخراف الضالة من بني اسرائيل» ، (انجيل متى ١٥ : ٢٤) . ولكن المرأة الحت عليه ، مما تأكد معه انه تؤمن ببركته ، وكانت تطلب منه ان يدعو لابنتها المريضة حتى تشفى . فشفاها ، واعلن بعد ذلك انه بالايمان وحده ، لا بالنسب ، يدخل الانسان في ملكوت السماء .

ومع ذلك بقي اليهود مرضى حتى الآن .

وبعد ، فهل هناك من حل ؟ ان بداية الحل في استئصال اسباب المرض . وهذه الاسباب تحوصلت في العصر الحديث في الصهيونية ، التي تلعب بالمريض لعب

الساحر الدجال في المجتمعات الجاهلة المتخلفة ، الذي يعد بالشفاء والعافية عن طريق تحضير الجن ، واطلاق البخور ، وتكثيف الظلمات ، واصدار القعقعة الشديدة التي تصم الآذان ، ليشعر المريض شعوراً وهمياً بأن القوى الخفية قد انطلقت لتحل له جميع مشاكله . لقد دأبت الصهيونية على أن توسوس في صدور اولئك الناس بأوهام الغزو والفتح والانتصار والسيطرة على العالم العربي والوصاية على ارزاقة ومقدراته»[1] .

ومن هنا يمثل صعود شارون السفاح (بطل) مجازر صبرا وشاتيلا مؤشراً على استفحال المرض وضرورة حصول عملية جراحية عاجلة لاستئصال هذه الغدة السرطانية ، وعندها فقط سيعي المريض قوّته الحقيقية وخلاصه من أوهام القدرة وجنون العظمة .

فالحرب القادمة مهما كانت بواعثها واسبابها المباشرة هي حرب من أجل السلام العادل ومعالجة مريض يستحوذ على اسلحة الدمار الشامل !

قال الله عزوجل : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[2] .

المسيح الدجال.. نبوءة أخرىٰ

«إن عاد ، ضربها الله أول الزمان ، وآخر الزمان سيأتي يوم الله القادر على كل شيء ، لتنهار عاد التي حملت آمال صهيون ، ستنهار رغم مشاريع حرب النجوم ! ستنهار على أيدي أناس بسطاء .

وهكذا صنع اليهود الزيت الذي يحترق على خطاهم !!

---

(١) مجلة عالم الفكر / ٦٠ ـ ٦٢ م١٠ ع٤ ١٩٨٠.

(٢) الاسراء: ٤ ـ ٧.

ولأنه من المعتاد، أن لا يرقص أحد على أنغام الأرغن والآلات الموسيقية التي تعزف في الكنائس[1] وهي تشدو ايام الشمس التي هي أيام الآحاد. إلّا أن اليهود يحق لهم أن يرقصوا، لأن عالمهم تحصنت طرقاته!! حتى اللصوص عندهم أمسكوا في أيديهم القنابل الذرية!!

إن النصارى لا يقرأون في كتابهم المقدس، وإذا قرأوا لا يحق لهم أن يسألوا أنفسهم عن معنى الذي قرأوه، لأن تفسيره لا يعلمه حتى رسل المسيح. ولأنه كذلك احتفظت الكنيسة بحقوق التفسير.

إن النصارى يطالبون بحق اليهود ونحن لن نأخذهم إلى كتبنا، بل نقول لهم اقرأوا ما بين أيديكم. إن نصوصكم توصيكم آخر الزمان بالفرار من اليهودية..

[... عندئذ ليهرب الذين في المنطقة اليهودية إلى الجبال، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه..][2].

قال المفسرون: [إننا أمرنا أن نتوقع هذا، فاليهود يجب أن يعاقبوا والخراب يجب أن يحل بهم، بهذا يثبت عدل الله. ولقد خرجت الكلمة من الله وسوف تتم حينها[3] وهذه الحوادث لا بد أن تتم كوسيلة لغاية سامية، يجب أن يهدم المسكن القديم قبل إقامة الجديد، يجب إزالة الأشياء المتزعزعة لكي يبقى التي لا تزعزع..][4].

قد يقال إن هذا حدث في الماضي في تدمير ٦٦ ميلادية فإذا كان هكذا فمن صاحب المسكن الجديد الذى يجاء بعد هذا التدمير (؟) إن الأسلم هو أن نتوقع سنوياً ان هذا سيحدث مستقبلاً، فإذا كان هذا سيحدث مستقبلاً لليهود، فكيف

---

(١) مواقف من تاريخ الكنيسة ص٩٧.

(٢) متى ١٧/١٦/٢٤.

(٣) تفسى متى / متى هنري ص٣٢٢.

(٤) تفسير متى / متى هنري ص٣٢٣.

يستقيم مع دعوتهم بأن لهم ملكاً آخر الزمان ، ثم لننظر إلى هذا النص أيضاً :

[... وأجمع كل الأمم على أورشاليم فتؤخذ المدينة ...][1] .

تؤخذ ممن ؟ وتعطى لمن ؟

قال المفسرون : (إن ، اليهود سيخرجون من نار فتأكلهم نار . هذا ما تم مع هذه المدينة المذنبة أورشاليم في كل تاريخها الماضي والحاضر (والمستقبل) ففي الماضي جاء نبوخذ نصر على أورشاليم وفي المستقبل ستجتمع عليها كل الأمم للمحاربة .. وتؤخذ المدينة)[2] .

تؤخذ المدينة من اليهود !! وتعطى لمن ؟!

ثم لننظر أيضاً ونتدبر هذا النص :

[... يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً ، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل الممالك وهي تثبت إلى الأبد][3] .

ـ ألم تنقرض مملكة اليهود ؟ ألم يسحقوا ؟ أليسوا هم عار الإنسانية في الماضي والحاضر والمستقبل باعتراف مفسري أهل الكتاب ؟ إذن فمن هم أصحاب هذه المملكة ، هل هم النصارى ؟ فإذا كانوا هم فعلى أي إنجيل يثبتون ؟ وعلى أي قانون إيمان الذي زاد فيه قسطنطين أم السابق عليه ؟

إن أصحاب هذه الدولة قوم آخرون !! صحيح أن اليهود الآن يعيشون على أرض اغتصبوها ولنقرأ ما يقوله المفسرون !!

هذه هي جملة أقوال المفسرين في العقاب الذي ينتظر اليهود آخر الزمان .

[... ومرة أخرى ستذوق أورشاليم غضب الله وقضاءه في نهاية هذا الدهر (الحاضر)[4] والمسيحية في الغرب قد انهارت حتى أن الذين كان أجدادهم في القرون

---

(١) دانيال ٤٥/٢.

(٢) تفسير حزقيال / رشاد فكري ص١٢٦.

(٣) دانيال ٤٥/٢.

(٤) تفسير حزقيال / الاستاذ فكري ص٥٩.

الماضية يشنون الحرب الصليبية بذريعة حماية القدس باعوا فلسطين لليهود في القرن العشرين[1] وهنا يجب أن نوجه كلمة تحذير. فليس هناك فرق بين إسرائيل والنصرانية ففي يوم قادم هو قريب جداً، سيتعامل الرب بقضائه المخيف ولا سيما مع المسيحية بالاسم (المسيحية بالاسم هي في نظر المفسرين هي مسيحية العصر)[2]].

إنه لا يصح نحن أبناء المسيح أن نقدس ما قدسه شعب اليهود من أساطير وملاحم وتعاويذ[3] ويجب أن نعلم أن الخراب سيتتابع على اليهود أينما كانوا، كما يشم النسر الفريسة[4].

إننا نرى الآن أن اليهود قد تجمعوا في فلسطين وجاءوا من أوروبا الشرقية والغربية إلى أرض آبائهم... فيالهذا الشعب التعس المخدوع. فهم يتصورون أنهم وجدوا ملجأً لهم في آخر الأمر، يكونون فيه بمأمن من الاضطهاد، وبمأمن من الخطر.

لا!!

إنهم يهيئون أنفسهم على غير علم منهم لمعصرة غضب الله][5].

تلك هي اقوالهم بالحرف الواحد!! وفيهم من يعرف الحقيقة ولكن لم يقلها!!

نعم لقد جاؤوا من أوروبا إلى هذه الديار متصورين أنهم وجدوا ملجأً لهم!

ولكن!!

إن حساب الناس في الدنيا أو الآخرة ليس من شأن العبيد، إنما هو من شأن الله وإنه لمما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي او المستبد الفاسد أو الملحد الكافر ممكناً

---

(١) العلاقة بين اليهود والمسيحية / الأب سركيس ص٥٥.

(٢) تفسير حزقيال / أستاذ فكري ص٦٧.

(٣) خطر اليهودية / الأب طانيوس منعم ص٣٨.

(٤) تفسير متى / هنري ٣٤٠.

(٥) تفسير دانيال / هـ أ. ايرانساید ص١٣٣.

له في الأرض غير مأخوذ من الله. ولكن النـاس يسـتعجلون!! إنهـم يـرون أول الطريق أو وسطه..

ولا يرون نهاية الطريق ونهاية الطريق لاترى إلّا بعد أن تجيء[1].

العالم الأخضر

ان حصيلة ما يمكن تصوره عن اسرائيل والحركة الصهيونية انها حركة تستغل أساطير وأوهام ونبوءات توراتية وانها عندما أرادت حل المسألة اليهودية جـاءت بحل استعماري غاية في الدموية والبطش والقسوة ومثقلاً بالأطماع التوسعية وأوهام السيطرة وجنون العظمة.

ولذا فإن السلام الذي يتحدث عنه التملود هو سلام القبور والذي لن يتحقق الاّ بقتل الشعوب السبعة وتسخير الذين سينجون من القتل!!

ومن هنا فأن حركة كهذه وقد نجحت الى حين في تأسيس كيان يمتلك رؤوساً نووية واسلحة ذرية ويعاني من عقد نفسية يعني انه يمـثل إرادة الشرّ هـذه الإرادة السلبية التي ستفضي الى عالم مؤلف من رماد وأنقاض.

وفي مقابل هذه الإرادة تبرز حركة المهدي التي واكبت التاريخ والحضارات حتى الآن لتمثل إرادة الخير والعدالة، وسنجد في ثـناياها عـالماً أخـضر يمـثل تـطلعات الانسانية وطموحات البشر عبر العصور[2].

---

(١) سعيد أيوب عقيدة المسيح الدجال ٨٥ ـ ٨٩

(٢) يقول الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب في مقدمة مطولته الملحمية فجر السلام: «لا أظن ان بي حاجة الى شرح أهداف حركة السلام ومراميها وتبيان خطوطها العامة، فذلك مـا تولاه الكثيرون من قبلي وما سيتولاه الكثيرون من بعدي، وما جاءت هذه القصيدة تعبر عنه بالمقدار الذي يستطيع أن يشرح به ويبين دون أن يفقد كونه شعراً، ولكن لي رأياً واحداً أود أن أقوله، رأياً يلمسه القارئ في المقطع الأول من هذه القصيدة.. ان الصراع بين الشر والخير، ≺

ونورد هنا تلخيصا ما ورد في دراسة مفصلة[1] تبدأ بتثبيت البواعث النفسية التي تفضي الى عالم اللامساواة والانحراف فهناك تثقيف حكومي موجه ينهض على أسس تتنافى وفطرة الانسان، وهموم الدولة في دفع رعاياها الى الطاعة لقوانين تجانب روح العدالة.

وحالة التنافس المادي الذي يدفع بالانسان عادة الى انتهاج كل الاساليب في الحصول على المال.

اضافة الى التهافت الاجتماعي وتشرّب الأفراد بثقافة الرفاه المادّي الذي يختزل السعادة والرفاه بالحصول على أكبر قدر ممكن من وسائل العيش الحديثة من مسكن وملبس ومركب والذي يفرز ضمن تلك الثقافة حالة من النفوذ والمركز الاجتماعي.

وأخيراً اختزل ازمة الحب بمسائل الجنس والاغراء والاستغراق في الجانب الحيواني منه.

وتتداخل هذه الاسباب وتتشابك فيجد المرء نفسه محكوماً بمسار يعتبره قدراً مقدوراً وأن سعادته وهناءه يتوقفان عليه وأن تيار الحياة هو هذا ولا غير فتضمحل شيئاً فشيئاً جوانب الحياة المعنوية والروحية والاخلاقية وهنا تكمن أولى خطىٰ العملية التغييرية[2].

➢ بين الموت والحياة، بين قابيل وهابيل، منذ أقدم الأزمنة، وقد تبلور الآن في هذه الحركة حركة السلام العالمي.. فانقسم العالم ليس الى آشوريين ومصريين ولا الى يونان وفرس، ولا الى مسيحيين ومسلمين ولا الى دول متقدمة ودول متأخرة، ولا الى شيوعين ورأسماليين، كما كان يحدث دائماً، وإنما انقسم الى شيء أهم من ذلك وأشمل وأحفل بالروح الانسانية كما عبر عنها بوذا والمسيح ومحمد وجميع الأنبياء والمصلحين منذ أقدم العصور حتى الآن.. انقسم العالم الى أخيار وأشرار. والأخيار كلهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأديانهم وعقائدهم السياسية في معسكر واحد هو معسكر السلام، والأشرار كلهم في معسكر آخر هو معسكر أعداء السلام». ديوان بدر شاكر السياب ـ المجلد الثاني / ٢٣٥.

(١) محمد الصدر تاريخ ما بعد الظهور / ٧٥٦ ـ ٨٢٠

(٢) لقد تشربنا وعلى مدى سنوات طويلة فكرة خلاصتها أن النمو الاقتصادي خاضع لمتوالية عددية، فيما النمو السكاني خاضع لمتوالية هندسية وهذا يعني ان الكارثة قادمة!

ولذا تتضمن الأخبار في هذا المضمار منهجاً تربوياً يحقق ثقافة نقية تربي الانسان على طاعة الله وعبادته الحقيقية وسلوكاً أخلاقياً رفيعاً يصدر عن اجهزة الاعلام والمؤسسات التعليمية .

ولأن شعار العملية التغييرية هو تنفيذ العدالة الحقيقية ، وهو ما ينسجم مع الطموح الانساني وتطلعات البشرية ، فان ارضية الانحراف والظلم سوف تتراجع أمام برامج الخير والصلاح .

حيث التنافس سيكون موجهاً ضمن معادلة أخلاقية تؤدي الى النفع العام .

كما ان نجاح البرامج والخطط والمشاريع الاقتصادية سوف يفرز مسلكاً أخلاقياً رفيعاً وتجربة انسانية نبيلة إذ يحقق الفائض في الانتاج والعدالة في التوزيع وضعاً اجتماعياً تتراجع فيه بواعث الجريمة ، ولن تكون هناك مبررات للاجرام التي يشكل العوز الاقتصادي والظلم الاجتماعي مساحة كبيرة فيها .

ثم تأتي برامج تنظيم العلاقات الانسانية بين الجنسين في الاطار الذي يحقق رسالة الدين وأهدافه الانسانية ، على أساس انسجام الجانب التشريعي مع الجانب التكويني ومكافحة كل التقاليد والأعراف التي تتناقض مع رسالة الدين وجوهره الانساني في تحقيق حياة كريمة تنظر الى الانسان وتعترف بميوله وترشد هذه الميول في ما يحقق انسانيته وكرامته .

ومع الايمان بتوفر عنصرين في ظهور المهدي وهما البرنامج الحياتي الشامل والكامل والاستقامة في التنفيذ والتطبيق ، فأن توفر عنصر ثالث وهو تطلع البشرية الى خطوة الانقاذ هذه سوف يسهم في تحقيق انسجام كامل مما يساعد في نجاح التجربة بشكل أخاذ .

فهناك اشارات نكتفي بذكر نموذج يؤكد تنامي الاتجاهات الانسانية وسيادة حالة من الأخوة والتضامن . عن أبي هريرة في حديث عن النبي ﷺ انه قال :

«لتذهبن الشحناء والتباغض»[1].

وعن الامام الباقر عليه السلام قال: «اذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم»[2].

وفي هذا ما يؤشر درجة الوعي يومئذ.

وبسبب نجاح الخطط والبرامج الاقتصادية والثورة العلمية المذهلة سيتحقق رخاء اقتصادي، وفائض في الانتاج ووفرة في النقد الذي يعني قوة شرائية على درجة كبيرة.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعدّه»[3].

وعنه صلوات الله عليه: «لا تدّخر الأرض من بذرها شيئاً الاّ أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً الاّ صبته عليهم مدراراً»[4].

«تتنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتي الأرض أكلها»[5].

«تكثر الماشية وتعظم الأمة»[6].

«ابشروا بالمهدي! رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلما وجورا. ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غناه ويسعهم عدله»[7].

«اذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت السبل وأخرجت

---

(١) صحيح مسلم ٩٤/١.

(٢) منتخب الأثر / ٤٨٣.

(٣) صحيح مسلم ٤٥٤/٤.

(٤) مستدرك الحاكم ٤٦٥/٤.

(٥) المصدر السابق ٥١٤/٤.

(٦) المصدر نفسه: ٥٥٨/٤.

(٧) ينابيع المودة / ٥٦٢، الحاوي للسيوطي ١٢٤/٢.

الأرض بركاتها»[1].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء عن قلوب العباد»[2].

«تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها الاّ على النبات»[3].

فاذا كانت الصحراء بين الشام والعراق المليئة بالرمال تستحيل الى ارض خضراء يغمرها الأمن والسلام، فانه ليس بوسع الخيال أن يتصوّر الثورة الزراعية التي سيشهدها عصر الظهور.

وتفند دراسة «تاريخ ما بعد الظهور» مقولة الانفجار السكاني الذي يهدد الأرض بالمجاعة.

فمن السخف أن يقال: إن البشرية متجهة نحو المجاعة، وان زيادة النسل يؤدي حتماً إلى قلة الأرزاق في العالم. ان ذلك إنما يتحقق، حين يكون الإخلاص ضئيلاً والعمل مبعثراً والتشريع ظالماً، كما هو الحال في عصر ما قبل الظهور. وأما حين توجد الدولة المخلصة والتشريع العادل والأيدي العاملة المجدة والعمل المنظم عالمياً، فسوف يمكنه أن يحفظ للبشرية أرزاقها مهما تزايدت وتكاثرت، بل يمكنها أن تزيد الانتاج إلى أضعاف مقدار الحاجة، وتُضاعِف الدخل الفردي لكل البشر بشكل لا مثيل له في ما سبق من تاريخ.

وأما المنهج التفصيلي التشريعي والعملي الذي يتبعه المهدي عليه السلام في دولته لنيل هذه النتائج الزراعية الرائعة، فالتعرف عليه موكول إلى وعي ما بعد الظهور، وإنما المستطاع التعرف على بعض فقراته من خلال ما بين أيدينا من قواعد وأخبار».

---

(١) الطوسي أعلام الورى / ٤١٣.

(٢) البحار ١٨٢/١٣.

(٣) البحار ١٨٢/١٣.

«إن نفس الأخبار التي سمعناها، تعطينا بعض الحقائق التي تفيدنا بهذا الصدد. فالإمام المهدي عليه السلام، سيأمر بحفر نهر خلال الصحراء الواقعة بين كربلاء والنجف، حتى ينزل الماء في النجف، ويعمل على فوهته القناطير، يعني الجسور والأرحاء ـ وهو جمع أرحية وهي المطحنة القديمة للحب ـ ومن هنا قال في الرواية: فكأني بالعجوز على رأسها مكتل فيه بر، تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كري، أي بدون أجره.

فإذا علمنا أن ذلك ليس إلّا مجرد مثال، ذكر طبقاً للفهم القديم، استطعنا أن نتصور مقدار الأنهر والقنوات الممدودة في الصحاري للري، ومقدار التجهيز الآلي الزراعي المباح التصرف فيه للناس مجاناً، ليساعد على سرعة الإنتاج وضخامته، وعلى سرعة التوزيع والتسويق.

وستؤدي هذه الثورة الزراعية طبقاً لإيديولوجية الدولة المهدوية، إلى عدة نتائج مهمة، نفهم بعضها:

منها: توفر الأطعمة والثمار بكثرة لدى الناس، مع رخص قيمتها السوقية، بل توفرها مجاناً للكثير من الناس.

ومنها: توفير العمل المنتج للعديد من الأيدي العاملة، وبالتالي إشباع الملايين من العوائل التي كانت فقيرة ومضطهدة في عهد ما قبل الظهور.

ومنها: العمران الواسع خلال هذه الأرض المزروعة، ذلك العمران الذي ستتميز بعض تفاصيله.

ومنها: توفير الفرص الكبيرة لازجاء الحاجات الحياتية مجاناً، وبدون عوض وبذلك نستطيع أن نتصور حصول النتيجة المهمة الكبرى المطلوبة[1].

وفي مجال التعدين تورد الدراسات ما يلي:

---

(١) محمد الصدر تاريخ ما بعد الظهور / ٧٨٨ ـ ٧٨٩.

«نصت الأخبار الواردة بطرق الفريقين : بأن الأرض تظهر معادنهـا وكـنوزها على سطحها حتى يراها الناس ، وتلقي بأفلاذ كبدها كأمثال الأسطوانات من الذهب والفضة .

وهذا يمكن فهمه على أساس إعجازي . بمعنى أن يفترض أن ظهور المعادن على سطح الأرض يكون عن طريق المعجزة ، تأييداً من الله تعالى للمهدي ودولته .

وهذا الفهم محتمل .. إلّا أنه ليس فهماً منحصراً . بل يمكن تقديم فهم آخـر لا يكون الفهم الإعجازي أولىٰ بالقبول منه على أقل تقدير .

وهو أن نفهم الشكل الطبيعي لظهور المعادن ، وهو استخراجـها بـالآلة ، عـن طريق تخطيط معين واهتمام خاص من قـبل الدولة ، حـتى تـتوفر المـعادن بأيـدي الكثيرين للقيام بها في الصناعات وإزجاء مختلف الحاجات .

ولا يخفىٰ علينا في هذا الصدد ، أن تطبيق الحكم الإسلامي على المعادن يجعلها مملوكة للأفراد لا للدولة ، بخلاف القوانين الوضعية التي تعتبرها جميعاً ملكاً للدولة . كما أنه يجعلها منتشرة بأيدي الآلاف لا بأيدي عدد قليل من الناس .

وذلك : بأن نـفترض أن الدولة المـهدوية هـي التي تـوفر آلات الإسـتخراج الضخمة ، مع تطبيق الحكم الإسلامي القائل : أن كل من استخرج شيئاً من المعدن يجب عليه أن يدفع خمسه إلى الفقراء وهو يملك المقدار الباقي . فينتج أن آلاف العمال العاملين في المعادن سوف يملكون كميات ضخمة من المعدن المستخرج ، وملايين من الفقراء سوف تنسد حاجتهم عن طريق دفع خمس المقدار المستخرج إليهم .

فإذا ضممنا إلى ذلك الحكم الإسلامي القائل : بأنه لا يجوز للمستخرج أن يزيد مقدار ما يستخرجه وما يملكه من المعدن ، على قوت سنته .. عرفنا أنه ليس من حق أي فرد من العاملين في المعدن أن يثري على حساب الآخرين ، وإنما بمجرد أن تصل ثروته إلى حد معين يفي بحاجته السنوية له ولعياله بما يناسب حاله إجتماعياً ، منعته الدولة عن الحصول على المقدار الزائد من المعدن ، فاما أن يعتزل العمل ويسمح لغيره

بالإستخراج، لكي يملك من المعدن بهذا المقدار أيضاً، أو أن يعمل ويكون الناتج للدولة مباشرة.

وعلى اي حال، فالدولة تملك الكمية الفائضة من المعادن عن كميات العمال، وهي كميات كبيرة، قد تزيد على ما ملكه العمال جميعاً بأضعاف كثيرة. وهذه الكميات تستخدمها الدولة في صناعاتها وسد احتياجات العمل فيها.

ومن هنا تكون المعادن، تحت الحكم العادل، قد أفادت بطريق مباشر وغير مباشر ملايين الناس، وأغنت ملايين العوائل في العالم.

الجهة السادسة: في السياسة المالية للدولة المهدوية، كما أشارت الأخبار واقتضتها القواعد الإسلامية العامة.

وهناك فصل جديد يتعلق بصورة العالم في المستقبل لقد اعتدنا على أن نتصور التأثيرات الطبيعية في الحياة الاجتماعية أما العكس فقد يصعب علينا بسبب طريقة تفكيرنا وتأثرها بمناهج مادّية فلا نتصور العكس. يقول السيد محمد الصدر في هذا المضمار:

«المستفاد من عدد من النصوص من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، ان تطبيق العدل الإلهي أينما وجد، والمجتمع المؤمن أينما تحقق، فإن الطبيعة تكون مساعدة له بمشيئة خالقها الحكيم لانتاج النتائج الحسنة والوصول إلى الرفاه الاجتماعي. وهذا أمر صحيح برهانياً.

قوله تعالى ـ نقلاً عن هود النبي عليه السلام:

﴿وَيَاقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1].

وقوله نقلاً عن نوح النبي عليه السلام:

---

(١) ١١ / ٥٢.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّماءَ عَلَيْكُم مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[1].

فإن إرسال السماء مدراراً وشق الأنهار وزيادة البنين ونحوها امور تكوينية ليس للإنسان فيها يد، وخاصة في عصر نوح عليه السلام، ومع ذلك فقد قرنت مع الاستغفار والتوبة، ومع إصلاح النفس والإخلاص بشكل عام. وهذا صادق بالنسبة إلى المجتمع المحدود، فكيف إذا أصبح المجتمع كله صالحاً مؤمناً.

فهذه مستويات ثلاثة من التأييد الإلهي، لا حاجة الآن إلى الزيادة عليها.

الناحية الثانية: في تطبيق ذلك على الدولة المهدوية، وما عرفناه من أشكال التأييد التي تعتبر كنتائج لإحدى هذه المستويات.

من الواضح أن الصفات المعتبرة لاستحقاق التأييد في المستويات الثلاثة كلها موجودة في أصحاب الإمام المهدي عليه السلام خاصة وفي الدولة العالمية العادلة، ككل؛ فمن الطبيعي أن يكونوا مشمولين لكل هذه الأشكال الثلاثة.

وأما من حيث النتائج التي تعرضها علينا الأخبار السابقة، فتتجلى في صور مختلفة:

الصورة الأولى: سهولة استخراج المعادن بشكل خارج عن الحسبان، سواء فهمناه من زاوية إعجازية أو من زاوية طبيعية. وقد تحدثنا عن ذلك.

الصورة الثانية: اتساع الزراعة والأراضي المزروعة بشكل عظيم لم يسبق له مثيل. «لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلّا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلّا صبته».

الصورة الثالثة: ارتفاع الدخل الفردي بشكل لا مثيل له، إلى حد ينغلق الطمع بالمال الزائد تماماً، كما صرَّحت به الروايات.

---

(١) ٧١ / ١٠ ـ ١٢.

الصورة الرابعة : انه عليه السلام : «تطوى له الأرض» وهو تعبير عن سرعة الوصول إلى المكان البعيد ، أما بشكل إعجازي أو بشكل طبيعي .

الصورة الخامسة : شمول الأخوة لكل الناس وعموم الصفاء بينهم جميعاً ، الأمر الذي لم يحدث في أي نظام آخر . كما نصت عليه أخبار الفريقين .

الصورة السادسة : إن الأمن والصفاء لا يشمل البشر فقط ، بل يشمل الحيوانات أيضاً : البهائم والسباع «واصطلحت السباع والبهائم» فيما بينها . وهي لا تضر الإنسان ايضاً «لا يهيجها سبع ولا تخافه» .

وهذا الصلح أحد المظاهر الواضحة للتأييد الإلهي للمجتمع المهدوي . حتى أن الوحوش تصبح ملهمة بقدر الله عزوجل ، على أن تتجنب كل ما يضر بالبشر من قتلهم او قتل مواشيهم أو إفساد مزروعاتهم وغير ذلك بل لعلها تشاركهم فيما يشعرون من سعادة ورفاه وأخوة «يرضى عنه ساكن السماء» وهو الطير .

وهذا المطلب لا يمكن إثباته من ناحية العلم التجريبي الحديث ، ولا يكون قابلاً للتصديق من قبل اي فرد ممن وثق بهذا العلم واطمئن إليه ولكن حسبنا تجربة المستقبل ، وحدوث يوم الظهور نفسه ، فبيننا وبين المفكرين المحدثين ، وجود المجتمع العالمي العادل :

﴿فَٱنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ﴾ .

فإن تجربة وجود هذا الصلح لا يمكن تحققها بدون تحقق ذلك المجتمع فإنه الشرط الأساسي له . ولا يعقل أن يتحقق الشيء قبل توفر سببه . فإن حدث ذلك المجتمع ، ولم يحدث الصلح بين السباع والبهائم كان كلام المنكرين صادقاً . ولكنهم لا يمكنهم إثبات ذلك في العصر الحاضر ، بأي حال من الأحوال[1] .

ونحن لا نهتم كثيراً بمستقبل العالم الحيواني فهاجسنا الوحيد المستقبل الانساني

---

(١) المصدر نفسه / ٨٠٦ ـ ٨٠٩

خاصّة وقد روّض الانسان كل حيوانات الغابة بما في ذلك سلطانها المهيب .

لكنه عجز عن ترويض نفسه فأصبحت الأرض غابة مخيفة يخشىٰ الانسان فيها حتى ظلّه .

ولم يعد كما في الماضي ليخاف زئير الأسود وعواء الذئاب ، بقدر ما يقلقه ازيز الرصاص وهدير الطائرات ودوّي المدافع فيما يرقد الشبح الذرّي المرعب يهدد الانسانية بمصير «هيروشيما» في كل مكان ان هاجس الضمير الانساني اليوم هو الخصب والعدالة والسلام .

المحتويات

كلمة المركز ٧

البشارة / القرآن والكتب السماوية الأخرىٰ ٩

المهدي في بشارات العهدين ١١

الامام المهدي عليه السلام والنداء السماوي ١٥

ما معنى «اثني عشر رئيساً»؟ ١٨

الميلاد / ولادة الإمام المهدي وظروف الغيبة الصغرىٰ ٢٣

المشكلة التاريخية ٢٣

في صميم البحث ٢٤

قدر من التفصيل ٢٩

القصور في سامراء.. الجوسق الخاقاني نموذجاً ٣٢

المقطع الأخير من مسلسل البشارة ٣٤

الموقف العام في الجبهات والعلاقات الدولية ٣٥

نيرون العرب ٣٦

وصول الامام الهادي الىٰ سامراء ٣٧

دار الامام ٤٠

أوراق من تاريخ الرومان ٤٤

رواية تاجر الرقيق بشر بن سليمان النخاس ٤٤

لنسجل بعض النقاط المفيدة باختصار ٤٧

سامراء.. مشهد ما قبل الولادة ٥٠

ولادة الامام المهدي لماذا ١٥ شعبان ٢٥٦هـ ٥٧

مشهد الولادة كما تصوّره السيدة حكيمة ٥٨
حياة الامام الحسن.. أشعة الغروب ٦٩
عشية الرحيل ٧٤
مشاهد أخرىٰ حتى عام ٢٦٣ هـ ٨٧
«المعتضد» السفاح الثاني! ٩٢
كلمة أخيرة ١٠٩
ظاهرة الانتظار ١١١
الاشعاع الأخلاقي ١١١
الانتظار السلبي ١١٢
المخزون الايجابي للانتظار ١١٤
عالم الغد ١٢٣
المستقبل.. تأملات في حشد من المؤشرات ١٣٨
الدائرة الاسلامية ١٤٤
العصر الجديد ١٤٦
الحرب والسلام ١٥٣
الصراع الاسلامي الاسرائيلي / المسألة اليهودية ١٥٣
الشخصية الصهيونية ١٥٤
العدوان ١٦٠
جذور الارهاب ١٦١
آفاق الحل! ١٦٤
المسيح الدجال.. نبوءة أخرىٰ ١٦٩
العالم الأخضر ١٧٣

* * *